

رواية

لعبت الثالث

لعنة الصقيع

لكنه حبي



@ART_OF_BOOK



«يتيه المرء معمى حتى عندما يظن
أنه يبصر، يلهي بأمور دنيوية ومادية
بعثة، لا يستيقظ إلا عندما يدرك
أن المحطة الأخيرة لا تبعد عنه كثيراً،
بل أنها تنادي باستمرار، وترسل رسالتها
لاقتطاف الأرواح بشكل مؤبد.»



بيادق

علت الصيحات المستنجدة وتخطت من على الجدران
البيضاء التي كستها رشات الدم القرمزي لتصدي في ذلك
القبو الكثيب الذي لم يخبُ من الاستجارات بالسماء
والتأوهات المتألّمة.

لاحت الزنانات متراصة على طول الممر وكأنها لا تنتهي.
أحدهم كان يعوي بصوت أعلى من إخوته.

- «اخرس لقد أزعجتنا!»

صرخ أحد الرهبان المتدثر بالبياض بينما ركل الأعمدة
الحديدية التي فصلت ما بينه وما بين المخلوق الساكن
بداخلها.

ولكن الصراخ استمر بلا انقطاع، صوت مدوّ وهيسيري
لا يكف عن الارتجاج في آذان من استمع.

عبس الراهب محدقًا بالفتى الذي اكتسح جسده الدم
المتخثر، مشكلاً بقعاً ولطخات تموه جروحه التي لا تزال
تنبض بذلك اللون القرمزي.

كان هيكله ضعيفاً وكأنه جلدٌ على عظم، يحوط رأسه
بذراعيه النحيفتين ويصرخ متألّماً بأعلى رثيته.

بدا وكأنه يتصارع مع نفسه، وكأن هناك شيئاً ما داخل
بدنه يقاتل للخروج منه، كيائناً يرفض الخضوع والاندماج مع
وعاء طيني ما، شيئاً يرفض تماماً الخنوع.

- «سحقاً لك يا مسخ!»

تمتم الراهب قبل أن يبصق متقزراً على الأرض من أمامه.

- «أينادي علي؟»

علا صوت ذو نبرة فرحة في المكان.

التفت الراهب فزعاً ليلقى رجلاً شديداً المظهر، بابتسامة
ماكرة لا تفارقه، وأعين قرمزية مهيبة، يتدثر بالسواد، ما أن
ألقى نظره عليه حتى انحنى الراهب ليحييه مباشرة.

سأل (إيكول) برنة ماكرة: ومن يكون هذا؟ افتح الباب
ودعنا نكتشف.

وضح التردد على الراهب: ولكن سيدي...

أصبحت نبرة (إيكول) أكثر حدة: افتح الباب.

لم يود الراهب اختبار صبره لأكثر من ذلك، وقام بتنفيذ
أمره فوراً، ليخطو (إيكول) داخل الزنزانة بهدوء تام ويقف
أمام الفتى الذي لم يكف عن الصراخ.

وقف ملك الفوضى مكانه لوهلة، مميلاً رأسه متأملاً،
حتى أدرك شيئاً ونطق: آه، نعم. أهذا أنت يا (كيرنونس)؟

توقف الفتى عن الصياح ليحديق بالرجل الواقف أمامه
بأعين متوهجة، ليعلو صوت عميق من باطنه رغم عدم
تحرك شفثيه: (إيكول)، أيها الوغد، أتربطني بغلام إنسي!؟

قهقهه (إيكول) بسخرية: ويحك، ألا يناسبك وعاءك؟

علا الصوت متحشرجًا ومهددًا بقسوة: أخرجني من هنا
قبل أن يحصل ما لا يحمد عقباه!

ظل (إيكول) مكانه محدقًا بدونية للفتى والروح التي
ركبته مرغمة: ملك الوحوش، اعرف مكانك، واستسلم
لكينونتك البشرية طوعًا أو جبرًا، فلن تجد من الأمر مخرجًا.

بدأ الصوت يجلجل في الأنحاء بينما بدأت ملامح الصبي
بالتغير، أنيابه تنمو خارج فكه ووجهه يتشكل ليشبه حيوانًا أكثر
من بشري: توقف عن الهراء! لن تحكم الأرواح المالكة يومًا!

قفز الفتى وكأنه ذئب مفترس واثبًا على (إيكول) ولكن الأخير
أمسكه من رقبته رافعًا إياه في الهواء، ظل الفتى ينتفض في
قبضته بغضب عارم يحاول الانقضاض عليه بلا جدوى.

حدق (إيكول) بالفتى: أترى أن القدر أكثر عدلاً مني في
اختياري؟ لا فرق ما بيني وبينه، كلنا نختار لكم قواقعكم
قسرًا، أتعلمون الأمر منه ولكن مني فلا؟

دوى الصوت بحدة: لا ملك لك علينا، ولا ما تبقى من
الدهر أرحم عليك منا!

عبس (إيكول) وتنهد بثقل قبل أن يمد ذراعاه بسرعة
ليخترق صدر الفتى ويخرجها مرة أخرى ليلقي بجثته على
الأرض كقطعة لحم فاسدة ليتوقف النحيب ويخيم الصمت
على المكان لوهلة.

تمسك (إيكول) بكرة زجاجية تومض بين أنامله الدامية
ليتدنى ويسحب القطعة القماشية الرثة التي سترت عورة
الفتى الذي بات جثة الآن من عليه ليغلف الكرة بها وناولها
للراهب الذي وقف فاغراً فاهه بجانبه: اغرزها في غلام
آخر، اخترفتى قوي البنية، شديد العزم، وعنيداً كالثور،
ليحتوي ملك الوحوش.

أوماً الراهب برأسه موافقاً على مضمض بينما شاهد ملك
الفوضى يشق طريقه خارجاً من السرداب.

مر الهواء خلال أجنحة طير أبيض اللون رفرف بأطرافه
بقوة ليسبح خلال السماء الزرقاء، ظل متسارعاً حتى التقطت
عيناه بقعة مغرية للهبوط فاتبع حاسته ليتنازل من الهواء
وتمسك أرجله بأغصان شجرة سامقة، حيث كان الشاهد
الوحيد على محادثة دارت ما بين روحين تائهتين.

«يجب أن نستعد، نحكم خطة ما، ونعود للعالم السابع
حيث بدأ كل شيء لإنهاء الأمر.»

قال شاب ذو شعر بني وأعين تماشيه في اللون، وجهه أصبح أكثر خشونة وكان صدمات الحياة بدأت تتشكل على معالمه.

تنهد الرجل الأشقر الملتحي ورد بنبرة أرغمت الآخر على الصمت: أتود خسارة ذراعك الأخرى يا (مالين)؟

امتعض وجه (مالين) بينما تفقد الفراغ الذي أشغل مكان يده اليسرى، عبس وأحال بوجهه للأرض.

لم يستطع تحمل ذلك المنظر بعد، حاول تقبل الخسارة التي واجهها عندما استيقظ الرحالة الأول، ولكنه لم يقوَ على ذلك بعد.

أطلق (مالين) نفسًا يحمل بين طياته همًّا وأسى: ألم فقدانني ليساري لا شيء مقارنة بفقداني لإخوتي.

عقد القائد (بيلور) حاجبيه: لقد فقدنا العديد من أفرادنا في صراعٍ بدأت أشك بأنه ليس لنا.

(مالين) بفضول: ما الذي ترمي إليه؟

وضع القائد (بيلور) يده على كتف الشاب أمامه: ... للأسف يا بني فإنني في بعض الأحيان يخيل لي أن هذه الحرب كلها، هذه الدماء المسكوبة، كانت في سبيل صراع ما بين خلق ليس خلقنا، بين الرحالة الذين اختلفوا واجتمعوا تحت الترحال.

مكيدة كونية كنا فيها أكباش فداء، أو أضرارًا جانبية
لا تمتلك الخواص الإنسانية اللازمة لأخذها بعين الاعتبار.

حدق (مالين) في قائده بفزع: الرحالة خسروا أيضًا،
خسروا الكثير.

رد القائد (بيلور): يخسرون في صراعٍ يخصهم، هذه هي
طبيعة الحال.

سأل (مالين) مشككًا: أوليس الأول مسؤوليتنا؟ ألسنا
حراس الفوهة؟ أليس هذا سبب وجودنا؟! كان ما كان سبب
حصول هذه الأمور، ما دامت تتضمن الرحال الأول فهي
تتمي لنا، هي حربنا وهي أمرنا!

تشبث حدقتا القائد (بيلور) بأعين (مالين) في لحظات
من الصمت قبل أن يتحدث مجددًا: ... (مالين)، خسارتي
لإخوتك كانت فقدانًا شنيعًا علي، كل يوم أستيقظ غارقًا
بعرقي، الذي أظن في الحلم أنه دمي، أو دم غيري لا أعلم.
أرى أوجه إخوتك في المنام، تنادي، ومن ثم تلوم وتوبخ،
لقد فشلت في حمايتهم، خسرتهم لحربٍ قامت بسبب
تلاعب رحالة بين بعضهم وبعض.

ولكن هذه هي حياة الجنود، أليس كذلك؟ مجرد بياق.

رد (مالين): لن نجعل دماءهم تسكب عبثًا، هذه مهمتنا،
هذا ما تعاهدنا عليه.

أوما القائد (بيلور) برأسه: هذه مهمتنا، أنت على حق.
يجب علي عدم التمرغ في وحل الماضي، ولكن إن جاء
اليوم وشدت الرحال لموطننا مجددًا، وتنفست آخر ما تبقى
من عمري، فكن يا (مالين) خير القائد لإخوتك والجنود.

توسعت حدقتا (مالين): أنا لا أصلح للقيادة، سيدي.

ثبت القائد (بيلور) يديه فوق كتفي (مالين): بلى، تصلح.
لا يوجد من هو أكثر تأهيلاً منك.

تلعثم (مالين) في كلامه: و- ولكن- لكنني- لن يحصل
لك مكروه سيدي!

ابتسم (بيلور) بخفة: الموت لا يقوم بالتفرقة بين الأرواح.
فهو عادلٌ في حكمه على جميع الخلق.

ابتلع (مالين) ريقه بصعوبة، مذعورًا من ذلك الاحتمال:
لكن سيدي...

تأمل (بيلور) في البيئة المحيطة عندما ثبتت مقلته على بقعة
معينة: (مالين)، الموت يلاحق أصدقاءك، الموت تمكن من
إخوتك، الموت يملك برائن حادة تقتلع الشخص لتنهي رحلته
في منتصفها، لا تستهن بالموت ولو للحظة، كل شيء وارد.

التفت (مالين) لمحل أنظار قائده ليرى منطقة متفحمة من
الغابة، أشجارها محترقة ومهترئة، أرضها باتت لا تستطيع إبقاء
أي نوع من أنواع الحياة، منطقة قاحلة وسط خضار محيطاتها.

ما أن رآها (مالين) حتى امتعض وجهه إثر تذكره سبب كونها بهذا الشكل المزري، عندما استشاطت (رعد) إثر خسارتهم الفادحة.

لم تستطع استيعاب عواقب استيقاظ الرجال الأول، وفقدانها لعشيقها، واثنين من إخوانها بالسيف.

مرت عدة أشهر على الحادثة إلا أنها لم تقوَ على تحمل الحياة مرة أخرى، كانت حبيسة لنفسها، وجهها دائم العبوس، قنوط لا يعلم معنى الفرح، لا شيء كان يستطيع إخراجها من تلك الحالة، إلا أن محاولات (شهاب) و(قمر) كانت مستمرة ودؤوبة، وقد كان اثناهما متفقيين على جدول معين حيث يبقى أحدهما معها بشكل دائم ومستمر، ولم يكن (نوروي) متخلفاً خلفهم، فقد كان مثل ظلها لا يرونها إلا وهو يحوم فوقها، ولا يغيب عنها للحظة.

(أليكساندر) في الجهة الأخرى كان لا يزال يحاول استيعاب خسارته لـ (زهير) و(جلمود)، كان وكأنه فقد الإحساس، في بداية أيامه في الكون الثالث كان يختفي كثيراً، يعزل بنفسه ليصبح وحيداً مع أحزانه، تُذرف دموعه بشكل معتاد، متعلقاً بـ (مالين) أكثر من أي وقت مضى ويرافقه بشكل دائم، وإذا لم يكن مع (مالين) فهو مع (شهاب).

وعندما أصبح أكثر هدوءاً حاول الاقتراب من (رعد) أكثر من مرة لمواساتها أو للحديث معها فقط ولكنها كانت تسدل

ستأثرها وتغلق أقفال أبوابها لكل أحد، لا يستطيع الوصول إليها إلا اثنان وثالثهما يطوف فوق رأسها على مدار الساعة.

أما المستشار (خافير) فكان جافاً، لم يحاول الحديث مع أحد، كان موجوداً إلا أن صوته كان يكاد لا يسمع، لم يكن حديثاً إلا مع المؤرخ، يقوم بالاعتناء ببعض الأمور في الخفاء، يتأمل محيطاته مدخناً غليونه، ولكن كلماته معدودة، حتى أن تفاعلاته مع (شهاب) تكاد لا تذكر.

أما الملك (ماتع) فكان عبوساً، وكأن تجاعيده تكاثرن ليبدو وكأن قرنًا من الزمن مر عليه في يوم وليلة، ولكن كان يحاول بشتى الطرق الاعتناء بمن كان موجوداً، كان يتفقد أحوال «رعيته» بشكل معتاد ودائم، وقد كون صداقة وطيدة مع السيد (فياض)، والد (قمر)، حيث تعلم منه عن أحوال الكون الثالث وسياسته، إلا أن خسارته كانت واضحة على معالمه، وكأن اليأس خيم على وجهه ورفض الرحيل.

أما المؤرخ فكان هادئاً، رزيناً، عقلاً نياً، وحكيماً، لا مكان للمشاعر في حديثه وتصرفه. كان يحث (شهاب) على اقتلاع (رعد) من حالتها حتى تتمكن من الوقوف على رجليها مرة أخرى إلا أنه يئس، فبات يصب تركيزه على الوحيد الذي كان يمتلك أي فرصة للوقوف وإحداث فارق، المستشار (خافير)، المغير والمتحكم الوحيد على مرمى النظر.

كانت أوضاع العالم السابع مزرية وما سمعوا عنها جعل
الدم يقف في مجراه متجمداً إثر الرعب الذي بثه تلك
الكلمات، كان الصقيع الذي تقوقع في حدود مملكة
(كيستون) سبق وأن شق طريقه لباقي البلاد المجاورة،
أصبح رماد الثلج يهبط على أراضي الجميع بلا استثناء،
المحاصيل تموت، الشعب يتضور جوعاً، والأول يصنع
جيشاً من النخبة، الرحالة الواعون بشتى أنواعهم على حد
سواء، جميعهم كان يتم تجنيدهم، والأغرب من ذلك كله أن
جميع من انضموا إليه كانوا مقتنعين اقتناعاً تاماً بقضيته
وهدفه السامي.

كانت أخبار كتلك يزفها المؤرخ متأملاً بأن تحرك فيهم
شيئاً، ليستيقظ محاربو الأرواح المالكة ويقفوا على أرجلهم،
ولكن لا حياة لمن تنادي.

من كان يغلي من الداخل لا أحد إلا الملك (ماتع) والقائد
العسكري (بيلور) رغم محاولاته الدائمة لضبط نفسه، إلا أن
قلقه كان مرتسماً على معالمه كشبح موت يخيم على ما
تبقى من حياته.

حاول الملك (ماتع) إقناع المستشار والمؤرخ كليهما
بإعادته لمملكته عدة مرات إلا أنهما رفضا رفضاً تاماً.

«لا تملك فرصة للنجاة.»

كانا يخبرانه وكأنها مسألة محتومة.

ولكن قلبه كان ينقبض بصدرة وكأن قفصه الصدري اتخذ قرارًا بالتقلص، وكأن ما وقف فوقه أطنانٌ لا تعد ولا تحصى.

كاد يجن جنونه في البداية أكثر من مرة، إلا أن معاشرته للسيد (فياض) كانت مهربًا مؤنسًا من وحشية الواقع.

ولكن فقدان الموضع كان أشبه باقتلاع عضو بشري ليتم بصفه خارج جسم الإنسان، هذا ما كانت تعنيه الخسارة.

حتى يكاد يشعر المرء بأن روحه تبدأ بالتأكل حتى لا يبقى شيءٌ إلا وعاء خاوٍ.

انزلقت قطرة ماء من على خصلات داكنة لتنضم لباقي أخواتها التي ملأت حوض الاستحمام، في طرف ذلك الحوض غطس جسد هزيل، بظهر مقوس ينظر لانعكاسه على الماء وشعر مبلل يخفي ملامح مبهمه.

جلست (رعد) تهتري في ذلك الحوض لفترة من الزمن، كانت هذه المهلة هي الوقت الوحيد الذي تستطيع إمضاءه وحدها، ولذا كانت تحاول المماطلة لأطول مدة ممكنة.

ورغم ارتباط (نوروي) بها إلا أنه كان يحاول إعطاءها خصوصيتها وينصرف عنها حتى تنتهي، إلا أن قلقه الزائد عليها كان قد بدأ بإغاضتها، كل شيء كان يغيظها في الواقع.

كم ستحزن إن علمت بمجرى الأفكار السوداوي الذي
احتل ثانيا عقل صديقتها، رغم محاولاتها المستمرة هي
و(شهاب)، كم سيخيب ظنه، و(نوروي)، ما الذي سيحدث
له إن ذهبت هي؟ هل سيختفي من الوجود هو الآخر؟

كان الذنب يستحوذ على كيائها الذي سبق وأن تأكل من
مآسي الحياة العديدة.

شعرت بالاختناق حتى طوق السواد مجال رؤيتها
بشكل تام.

تفرقت أهدابها بعضها عن بعض، وما قابل نظرها هذه
المرة كان مكانا مألوفاً، ورغم جماله إلا أنه كان يحمل
إحساساً نقيضاً بالألم.

مسحت (رعد) محيطها لترى نفسها في قاعة الأرواح
المالكة التي رأتها من قبل، وكأنها عادت لإكمال الأحداث
التي توقفت عندها بالضبط، مثل شريط توقف وعاد العمل.

كانت القاعدة بديعة بتفاصيلها المذهبة، وسقفها السامق
الذي لا يمكن رؤية نهايته، الأرض تدور بأجرام سماوية
متحركة ومجرات زاهية تحت أرجلهم.

وقفت (رعد) على أطراف رجليها في محاولة لإلقاء
النظر لداخل الدائرة التي شكلتها الأرواح الأخرى، ولكنها
لم تستطع.

حاولت زحزحة الحشد إلا أن جسدها اخترقهم كالهواء،
وسعت حدقتها في عدم استيعاب.

«أهذا إحساس (نوروي)؟»

دارت الفكرة في رأسها ولكنها هزتها وتجاوزت الحشد
لتقف في منتصفه، ما أن وصلت حتى رأت ذلك الوجه الذي
أصبح مشؤومًا بالنسبة لها.

وقف الرجال الأول مكانه، بشكل مختلف عما تذكره من
الواقع، بدا أصغر سنًا وشعره كان شديد السواد ليشابه عينيه.

امتعض وجهها عند رؤيته، لم تكن تطيق منظره، القاتل
السفاح، من سلب منها كل شيء، من أخذ منها موطنها.
عشيقها، إخوانها البواسل.

لم تستطع كتم غيظها ورغم معرفتها أنها لم تكن تستطيع
تغيير شيء إلا أن ذلك لم يمنعها من التعبير عن سخطها،
فتقدمت منه وحاولت لكمه عدة مرات، ولكن في كل مرة
كانت تهوي للأرض بدون أن تؤثر فيه بشعة.

عقدت حاجبيها وعادت لرجليها بعد أن فقدت الأمل في
إيذائه لتقف مكانها مراقبة تسلسل الأحداث بغضب مكتوم.

«أيها الأرواح، هلموا!!»

قال أحد الأرواح مقتحمًا الدائرة ليقف بجانب الرجال
الأول، كان رجلًا قوي البنية، ذا شعر طويل ناصع البياض،

محاولات (قمر) و(شهاب) البقاء على مقربة منها دائماً كانت جهداً شاقاً، وكانت (رعد) تقدر ذلك، إلا أنها في بعض الأحيان كانت تمر بتقلبات مزاجية غريبة تجعلها عدوانية أكثر من المعتاد.

أرادت أن توجد وحدها وبروحها في بعض الأحيان، ولكن حتى ذلك لم يكن ممكناً بسبب الظل الذي يطفو فوق رأسها.

كانت (رعد) سبق وأن مرت بالخسارة منذ قبل، لم يكن ذلك غريباً عليها إلا أن الضربات الحامية المتتالية تؤثر حتى في أكثر الفولاذ صلابة.

ما الذي يحفز المرء؟ ما سبب استمراره في السعي؟ وما الذي يحصل عندما ينطفئ ذلك الضوء؟

هل يصبح العالم مظلماً؟ أكثر برودة وجفافاً من المعتاد؟

أم يُطمس بشكل تام، حيث لا يستطيع المرء التمييز ما بين الصواب والخطأ؟

حتى أن البصيرة لا تضحل، بل تعمى بشكل تام ومطلق؟

ما داعي الوجود إذا زالت أسباب البقاء؟

يتيه المرء معمى حتى عندما يظن أنه يبصر، يلهي بأمور دنيوية ومادية بحتة، لا يستيقظ إلا عندما يدرك أن المحطة الأخيرة لا تبعد عنه كثيراً، بل أنها تنادي باستمرار، وترسل رسلها لاقتطاف الأرواح بشكل مؤبد.

وأعين شديدة الزرقة تكاد تراها في الظلام، بشرته شديدة
البياض، يرتدي ثياباً مزركشة تتراوح ألوانها ما بين الأبيض
والأزرق، وتتخللها تفاصيل ذهبية.

كان بشوشاً سعيداً يرتسم الفخر على معالمه بينما تحدث:
حان اليوم الذي أدرك فيه ابن آدم أعلى مراحل الوعي، بعد
سنين طويلة، تمكن أحدهم من تحطيم الجدران التي فصلت
بين الكينونات، وياله من فخر بأن يختار القدر ذلك
الشخص كمحاربٍ لي!

طقطقت (رعد) لسانها بينما وقفت مكانها عاقدة ذراعيها
بكراهية تامة، إذا كانت الإشاعات صحيحة، هو متأقلم فعلاً، يا
لخيبة الظن. أمالت (رعد) رأسها لتحلله من أعلى رأسه
لأخمص رجليه، ثم التفتت لترى (نوروي) و(مينرفا) يقفان في
مقدمة الحشد. كانت (مينرفا) تلبس وجهًا محايدًا لم يختلف
أبداً منذ أن رآته آخر مرة، أما (نوروي) فكان قصة أخرى.

كان يقف مكانه مبهوراً مشدوه الوجه يكاد فكه يسقط
للأرض، وكأنه يشهد على معجزة من نوع ما، لم يكن
يصدق عينيه، أرادت (رعد) أن تصفع وجهه الذي استفزها في
هذه النقطة من الزمن ولكنها امتنعت.

«هذه نهضة جديدة، لكيان جديد، تمكن من الوصول
لمكانة أسمى، تمكن من تحقيق ما لم يتوقعه أحد! هذه
نهضة الجنس البشري! نهضة الوعي الجديد!»

انزلق جسدها ببطء داخل الحوض، الماء يعلو تدريجيًا
حتى انغمرت تمامًا.

حبست أنفاسها بينما تفحصت عيناها نتوءات السقف
الذي اعتلاها، لم يكن ممسًا بل مليئًا بالندوب التي علت
تارة وهبطت تارة، تمامًا مثل مسار حياتها الذي بدا وعراً
ملتصقًا بالقاع في الآونة الأخيرة.

كانت تنظر ولا ترى، معمة البصر والظلام الدامس
يغطي حكم البصيرة، ظنت لو هلة أنها من الممكن أن تنهي
رحلتها هنا، تقطع جبل الأحداث السيئة، وترتاح من
مصاعب الحياة الدنيا التي باتت أكثر تعقيداً مما يسمح لها
وعياها بإدراكه.

هل ستستيقظ مجددًا في عالم الصحوة؟ تعود لحياتها
التي تركتها منذ زمن؟

أم هل ستواجه ما هو بعد ذلك، ما لم يستطع أحد تفسيره؟
بدأ الهواء بالانقطاع، بدأ جسمها بالانتفاض، ولكنها
أصرت على البقاء، وكأنها تختبر نفسها.

بدأت صورة (نوروي) بالظهور في رأسها، وكأنها تذكرت للتو أن
بقاءه يعتمد على بقائها، ثم لاحظت صوتًا دافئًا يتردد على مسامعها.

عقدت حاجبها في عدم تصديق، هل بدأت بالهذيان؟

أحست بأذرع تطوقها، حضن (قمر) الذي اعتادته.

صفقت الأرواح المالكة جميعها بحرارة وحماس،
وأكثرهم كان ذلك الأبله (نوروي)، وكأنه وجد ضالته التي
كان يبحث عنها منذ زمن، وفي الوقت التي أخذته (رعد)
لإدارة مقلتيها في مكانها إثر عدم إعجابها بالأمر، سقطت
جميع الأصوات أرضاً، وكأن كل ما كان يشير ضجة منذ ثوانٍ
قد لقي حتفه.

خيم الصمت على المكان حينما فسحت الأرواح طريقاً
لشخص ما، أصدى صوت اصطدام الحديد بالأرضية عندما
خطا بثقة خطوة وراء الأخرى، حتى وقف في منتصف الدائرة.

حدقت (رعد) به وكأنها أدركت هويته من قبل أن ييوج
بها أحد، كان رجلاً طويل القامة، عريض المنكبين، شديد
البنية وكأنه خاض معارك لا تعد ولا تحصى، يقف شامخاً
مكانه محدقاً بحدة ببؤرتيه الذهبيتين اللتين توجتا بالعبوس،
شعره أسود يصل لمنتصف رقبتة وتتخلله خصلة عريضة
شديدة البياض، تشابه أختها التي تخللت لحيته.

وقف الرجل مكانه مبجلاً، يرتدي دروعاً فضية من أعلى
رأسه لأخمص رجليه، ألقيت من فوقها بعض الأوشحة
الحمراء التي ارتبطت حول خصرته.

لا شك في الأمر، ذلك الرجل لا بد أنه هو، كانت تشعر بذلك.

«جلالتك (كايلوما)! يشرفنا حضورك لتشهد على هذا

الحدث العظيم!»

قال الرجل الذي وقف بجانب الأول.

وما أن تفوه بذلك الاسم حتى تيقنت (رعد) فورًا، ذلك هو روحها المالكة.

وقف (كايلوما) مكانه وقال بصوت يسقط كهزيم الرعد:
بم تهذي يا (تاشر)؟

وضع (تاشر) كف يده أمامه بينما حاول الشرح: حسنًا، لقد راودتني رؤيا يا (كايلوما)! رؤيا أخبرني فيها القدر بأن هناك محاربًا إنسيًا قد تمكن من الولوج للوعي الجديد، وبأن هذا الإنسي يحمل نسبي، اسمي، وشظايا مني!

حدج (كايلوما) متجهماً: القدر أخبرك بذلك؟

قال (تاشر) بحماس واضح: نعم، وأخبرني بأن هذه هي مجرد بداية لما قد يأتي، فيبدو أن معشر الإنس أرض خصبة وواعدة، وارتباطهم بنا سيساهم في تطورهم نحو آفاق جديدة.

سأل (كايلوما) بحدة: بنا؟

أوماً (تاشر) برأسه: نعم، بنا! القدر سيقوم باختيار أطفال ومحاربين للأرواح المالكة، يملكون خصالاً منهم، ويرتبطون بهم ارتباطاً روحياً تاماً.

بدأت الهمسات تنتقل ما بين بقية الأرواح المالكة عند سماعهم لذلك الأمر، مما أزعج (كايلوما)، فمن سيتمكن من إنهاء هذا النقاش الآن؟

نظر (كايلوما) للرحال الأول: وكيف أعلم بأن ما تهذي به صحيح؟

نظر (تاشر) إلى الأول بابتسامة عريضة: أرهم ما لديك!

نظر الأول إلى (تاشر)، ومن ثم أعين (كايلوما) الثاقبة، أخذ نفسًا عميقًا ومن ثم وضع يديه أمامه لتواجه كفا يديه بعضهما بعضًا، بدأ الضوء يشع من القلادة الفضية التي لبسها ومن ثم في الفراغ الذي أشغل المساحة ما بين يديه لتتشكل ندفات من الثلج بين أنامله.

توسعت حدقتا (كايلوما) وتراجع للوراء متفاجئًا بينما هربت الشهبكات من أفواه الجمهور في غير تصديق.

ظهر السرور على أسارير (تاشر): أترى؟! مذهل أليس كذلك؟!

وقف (كايلوما) مكانه في حيرة من أمره، لم يكن يصدق بأن بشريًا تمكن من فعل ما فعله الأول أمامه، ولكنه لم يكن ليقف مكانه مكتوف اليدين.

أمر (كايلوما) بصرامة: تنحّ جانبًا يا (تاشر)، لا أعلم ما هي الخدع التي استخدمها هذا الكائن ولكنها خطيرة ولا يمكن توقعها.

وقف (تاشر) بجسده أمام الأول: اهدأ يا (كايلوما)! هذا: معجزة من معجزات القدر ألا ترى؟

تذمر (كايلوما) مقطب الحاجب:، أو أنه سحرٌ محرم قادر على خداعك أنت وغيرك من الأرواح، لتخلص منه قبل أن يحصل ما لا يحمد عقباه.

«انتظر!»

قال (نوروي) بينما رمى بنفسه لداخل ذلك الصراع، واقفًا ما بين (كايلوما) و(تاشر).

نظر (كايلوما) للفتى أمامه: ابن الموت، هل أرسلتك والدتك لتوصل رسالتها عوضًا عن حضورها؟

هز (نوروي) وجهه بالنفي: لم ترسلني، أنا أقف هنا مصرحًا عن رأيي أنا لا غير.

سأل (كايلوما) بفضول: وما هو رأيك إذا؟

انطلق (نوروي) مجيبًا وكأنه لم يطق الانتظار: لا يمكن أن تكون الأرواح المالكة هي الكيانات الوحيدة التي أدركت أعلى مراحل الوعي، ذلك الاعتقاد إن دل على أمر فهو يدل على التغطرس التام وعدم رؤية الأرواح المالكة لإمكانات غيرهم في الوجود.

سقط الصمت بحدة، حتى أن (رعد) وقفت مكانها فاغرة فاهها في عدم تصديق لما بدر من (نوروي) من قلة تهذيب مع من بدا بكل وضوح أنه أعلاهم رتبة.

حدق (كايلوما) بالفتى أمامه بصمت وكأنه يهضم كلامه ثم تحدث: إذا أنت تعتقد أن وجود بشري على أراضي السماء العالية هو أمر طبيعي؟ وقدرته على استنساخ قوة (تاشر) هي أمر يقدر على تحمله بنو جنسه؟

التفت (رعد) إليه ببطء لتأمل في ملامحه التي بدت أكثر خشونة مما رآته في رؤياها، إلا أنها كانت لا تزال تحاول هضم جميع ما رآته لتقوم بالوصول إلى استنتاج ما.

حدقت (رعد) ببرود: أتتوي إخباري بما حصل مع الأول أم تفضل أن أوصل النقاط بنفسي؟

توسعت حدقتا (نوروي) وهوى رأسه للأسفل متأملًا الأرض، وكأنه لا يقوى على النظر إلى عينيها الفاضحتين، ولكنه لم يعلم كيف يجبك الكلمات المناسبة ليخبرها فالتزم الصمت.

صرخت (رعد): انظر إلي!

رفع (نوروي) رأسه فورًا ليقابل عينيها اللتين اندلعت فيهما نيرانٌ عظيمة لتحدث مجددًا: أتجروء على تخبئة هذه الأمور عني؟! أعلم ما سلبني هذا المسخ؟! لقد أخذ مني كل شيء، وأنت تظل هنا متسترة على أمره وكأنك تدين له بشيء، ما الذي يجري في رأسك؟!

لم يعتد (نوروي) على رؤية (رعد) بهذا الشكل، ولكنه كان يجب أن يعلم بأن الصبر، وإن كان كثيرًا، سينتهي في يوم ما، هو فقط لم يكن يظن أنه هو من سيتحمل ذلك السخط، ولا يوجد أكثر رعبًا من شخص لم يعد يملك شيئًا ليخسره.

أكملت (رعد): أنت تعلم بماهيته، لطالما فعلت، ولكن
نساهلي معك جعلك تعتقد أن الخيار الأفضل لك هو التكتّم
على الأمر، ولكن ذلك الاختيار لم ينبع إلا من أنانيتك
وكبريائك الزائد. نحن لا نواجه حربًا، نحن نواجه تدمير
أكوانٍ كما نعلمها، وأنت تظل صامتًا؟ لقد لقي الشعب حتفه
بسببه، لقد تدمرت بلدان بسببه، لقد خسرت كل شيء بسببه!

لم يستطع (نوروي) الرد، ظل متجمدًا مكانه، وكأنه ابتلع لسانه.

صاحت (رعد) بوجهه بوحشية لم يعهدها: تحدث!

تحدث! تحدث!!!

نطق (نوروي) بصعوبة: أ- أنا...

فتح الباب على مصراعيه لتدخل (قمر) بدعرك: هل أنتم

بخير؟ ما الذي يحدث؟!

حدجت (رعد) باتجاه (قمر) ومن ثم لـ (نوروي) الذي

حاول الحديث ولكن (رعد) رفعت يدها أمام وجهه مشيرة

له بالصمت قبل أن تقف من مكانها لتساقط قطرات الماء

من خصلات شعرها المغدقة مصطدمة بالسطح المائي تحتها.

جرت تيارات هوائية لطيفة تداعب الأعشاب ومن ثم

الأشجار من بعدها، تمر بخفة ومن ثم تختفي لتواكبها

أختها، وعلى هذا الحال.

ابتلع (نوروي) ريقه بصعوبة: هو بالتأكيد أمر جديد، ولكن رفضه تمامًا لجهلنا به لن يمكننا من المضي أمامًا، وإذا أمرنا القدر فما لنا إلا أن نمثل لأمره.

عقد (كايلوما) ذراعيه، ناظرًا لـ (نوروي) تارة، والأول تارة: حسنًا، لتكون أنت مسؤولاً عنه إذا. لتراقبه أنت و(تاشر) وتحلل قدراته وتحرّر عن أمره كاملاً مكماً، وتعدي بما بجعبتك، عندها سيقوم المجلس باتخاذ القرار النهائي.

شهقت (رعد) بقوة عندما انتهت رؤياها لترش قطرات الماء في الهواء بعنف إثر نهوض جذعها من بين الماء لتسعل بقوة بينما حاولت استعادة أنفاسها مجدداً، إحدى يديها على صدرها والأخرى تتمسك بطرف الحوض بقبضة قوية.

«أنتي كويسة!؟»

تشكل (نوروي) من العدم ليقف بمقربة من الحوض بينما خيم القلق على معالمه.

رفعت (رعد) يدها في وجهه لتطمئنه بينما أكملت سعالها، فظل راكعاً بجانبها حتى هدأت أنفاسها وعادت لوضعها الطبيعي.

«إيش صار؟»

سأل (نوروي) وكأنه كان على علم مسبق بحالتها النفسية السيئة.

يكون أكثرهم مقدرة هم المغيرين إلا أنهم لم يملكوا إلا واحدًا منهم، والبقية قد أعلنوا عداوتهم.

بقي عدة رحالة متأقلمين إلا أنهم لا يملكون فرصة أمام من سبقهم، لا حل أمامهم، وإن وجد فإنه في جعبة المؤرخ الذي رفض الحديث مع (شهاب) حتى يتمكن من انتشال (رعد) من حالتها المزرية.

تساقط قطرات الدم على الأعشاب تحته إثر خوض الشديد في أفكاره.

«حاذر، أنت لا ترغب بفقدان أصبعك.»

رفع (شهاب) رأسه ليرى (مالين) الذي لبس ابتسامة طفيفة على وجهه الذي نما عليه الشعر بخفة، رغم تلك الهالات السوداء التي تشربت أسفل عينيه إلا أنه كان يحاول رفع معنويات الجميع.

انتزع (شهاب) أصبعه من بين أنيابه وهزه بعنف ليرش ما تبقى من الدم جانبًا بينما أدخل (مالين) يده إلى جيبيه ليخرج قطعة قماشية سلمها لـ (شهاب) برفق.

قال (مالين) بسخرية: كنت سأساعدك في تضميدها إلا أن قدراتي باتت محدودة قليلًا الآن.

نظر (شهاب) للفراغ الذي تشكل حيث كانت ذراعه وأزاح عينيه بسرعة بابتسامة متمركزة على زوايا شفتيه: مازلت تطلق النكات وتحاول التخفيف عن الجميع إذا؟

وقف الشاب ذو الأعين الذهبية كعادته، متكئاً على أحد
جدران قصر السيد (فياض) الذي استقبلهم بكل رحابة
صدر. كان ممثلاً له إلا أنه كان أكثر تشكراً لابنته (قمر) التي
كانت تساعد في الاعتناء بـ (رعد) في حالتها الصعبة، ورغم
خسارة الملوك لممالكهم، وفقدان القادة لجيوشهم، كانت
حالتها أكبر ثغرة صعب عليه ملؤها.

فكان الجميع قد فقدوا، إلا أن الأمل كان لا يزال يخيم في
نهاية أنفاقهم، أما هي؟

فقد سقطت عليها ظلمات لم يعلم أحد بمدى عمقها.

واحدًا تلو الآخر، وأمام عينيها بأبشع الطرق، كيف عساه
أن ينسيها ما حصل؟ أم عوضاً عن النسيان، تعويضها
وإعطاؤها دافعاً للمضي قدماً؟

تقطع بلسانه متحسراً، تمنى في باطنه عدم رحيل الجنرال،
فهو كان على الأقل سيعلم عن كيفية توجيهها، حتى إن كانت
أجنحتها مقصوفة، فهي الآن لا تستطيع أن ترفرف حتى.

طوى (شهاب) إبهامه تحت أسنانه بقسوة، وكأن شدة ألمه
قد تلهمه الإجابات.

كان عليهم التصرف، العودة للكون السابع، هزيمة الرحال
الأول بطريقة ما، وإعادة المياه لمجاريها، إلا أن هذه الخطوة
وسمت بالاستحالة، فلا يستطيع أي رحالة مجازاة الأول، وقد

هز (مالين) كتفيه: وهل أدى ذلك مفعوله؟

لف (شهاب) القطعة القماشية حول إصبعه: لا، لكنها محاولة جيدة.

تنهد (مالين): إنها تعمل على (أليكساندر).

هز (شهاب) رأسه: أتضحكه أم تفزعده؟

ابتسم (مالين) مكشوفًا: تفزعده، ولكن أي نوع من ردات الفعل محبب.

(شهاب) بسخرية: أنا ممتن لوجودك في صفوفنا، فقد تقتل العدو من الضجر.

ضحك (مالين): ما دام يخدم مصلحة الأمة، ليشرعوني كأضحوكة. همهم (شهاب) بينما ضغط على جرحه المضمّد، وكأنه عاد ليغرق في أفكاره، إلا أن (مالين) قاطعه: ما أخبار (رعد)؟

هوى رأس (شهاب) للأسفل مستسلمًا للسؤال الذي كان محتومًا: لا أعلم، أنا أحاول بشتى المستطاع، ولكنني لا أستطيع الولوج إليها، وكأن روحها قد توقفت داخل جسدها ولم يبقَ منها إلا وعاء فارغ.

عبس (مالين): لقد مضت عدة أشهر...

هز (شهاب) كتفيه معلنًا: وقد يأخذ الأمر منا عدة سنين حتى، فأنا في الوضع الحالي غير قادر على إخراجها من

حالتها هذه، والمؤرخ الأبله يرفض الحديث معي إن لم أقم بإعادتها لأرض الأحياء.

سأل (مالين): وماذا عن (نوروي)؟ أو تلك الـ (قمر)؟

تنهد (شهاب) مثقلاً: لا نتيجة، فمهما حاولنا لا تزال متفوقة على نفسها.

هز (مالين) رأسه متفهماً: وماذا عن وطننا إذا؟

رد (شهاب): أتمنى مساعدتك، حقاً، لكن إما أن تقنع رأس (رعد) العنيد بالاستيقاظ، أو أن تقنع المؤرخ بمساعدتنا دونها.

«(شهاب)!»

نادى صوت فتاة مفزوع ليلتفت الثنائي إلى (قمر) التي جرت باتجاههما بعجلة وقلق واضح.

اعتدل (شهاب) في وقفته: ما الأمر؟ ماذا هناك؟!

لهثت (قمر) عندما وصلت إليهما، يداها على ركبتيها في محاولة لاستعادة أنفاسها لتتطرق: (رعد)، أعتقد أنها تتشاجر مع (نوروي)!

عقد (شهاب) حاجبيه في عدم فهم ولكنه لم ينتظر أكثر من ذلك.

«إذا أنت لا تنوي الحديث؟»

ضيق (رعد) عينيهما بينما حدقت في (نوروي) الذي كان يحاول بقدر الإمكان تفادي نظراتها.

كانت (رعد) قد جلست على أحد المقاعد في مضجعها،
بينما وقف (نوري) بعيداً عنها بمسافة يسيرة، وجهه متعسر
ومرتبك بشدة، لم يعلم كيف يتصرف.

رغم أنها صرخت فيه بالحديث عندما كانت في أوج
انفعالها إلا أن هدوءها الآن كان مريباً أكثر، وكأنها أرادت منه أن
يتحدث بدون أن تأمره، كانت تكره أن تأمره في أمر علمت
بأنه لم يرغب به.

رد (نوروي): أنتي لو استنيتي شوية بينكشف كل شي قدامك.

(رعد) بانزعاج واضح: وأنت تريدني أن أنتظر حتى يأتي
إلي العلم دون مجهود يذكر منك؟

أمال (نوروي) رأسه مازحاً: يمدحوا الصبر.

خيم الصمت على المكان بينما ظلت (رعد) على حالها،
لم تحرك ساكناً قبل أن تأمر: (نوروي)، تعال إلي هنا.

توتر (نوروي) ولكنه نفذ أمرها وخطا باتجاهها حتى
وقف أمام كرسيها.

أمرت (رعد): اركع.

وضح عدم الفهم على معالمة ولكنه نفذ، وجلس بإحدى
ركبتيه محاذية لها والأخرى على الأرض، وما أن فعل حتى
رن رأسه إثر الصفعة التي تلقاها.

توسعت حدقتاه متفاجئًا، رأسه الآن مائلٌ ليمينه، نظره يرتكز على إحدى الفخاريات التي زينت منضدة السرير، وكل ما جرى في رأسه قد توقف وكأن أحدهم ضغط زرًا ما يمنعه من التفكير.

جلس لعدة ثوانٍ فاغترًا فاهه حتى أمرته (رعد): انظر إلي.

نفذ أمرها مرغما، فسأله: هل ستحدث؟

لم يعلم هو نفسه إن كان هو ينوي الرد حتى، لم يستطع تكوين فكرة واحدة حتى، وقبل أن يتمكن من التصرف رنت أذناه إثر الكف الآخر الذي رمى برأسه اليسار هذه المرة.

سألت (رعد) مجددًا: هل ستحدث؟

مرة أخرى كان (نوروي) لا يزال يحاول تشكيل فكرة سليمة واحدة قد تخرجه من هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه.

فتح الباب على مصراعيه لحظتها ليقف (شهاب) في المقدمة، من ورائه وقفت (قمر) و(مالين) بجانبها.

رفعت (رعد) عينيها بحدة لتلقي بهما باتجاه من قاطع جلسة استجوابها، لتلتقي بؤرتها البنيتان اللتان بدتا داكنتين أكثر من المعتاد بحدقتي (شهاب) الذهبيتين.

سأل (شهاب) بقلق: (رعد)، ما الذي يحصل؟

(رعد) بهدوء: استخرج منه معلومات تخص أمن الدولة والأكوان.

صمت (شهاب) للحظة في عدم فهم قبل أن يسأل: ما الذي ترمين إليه؟

ردت (رعد) بصرامة: إن بحوزته معلومات عن الرحال الأول، ولكنه يرفض إخباري.

نظر (شهاب) إلى (نوروي) بتعجب ثم شق طريقه ليقف بمقربة منه: هل هذا صحيح يا (نوروي)؟

عض (نوروي) على لسانه ورمى برأسه للأسفل مستسلمًا قبل أن تأمره (رعد): أجب عن سؤاله.

رد (نوروي) مجبرًا: صحيح.

توسعت حدقتا (شهاب): إذا؟ لم لا تخبرنا عما بجعبتك؟

صمت (نوروي) مجددًا، فدوى صوت صفعة مؤلمة وجهتها (رعد) له.

لم يعلم (شهاب) كيف يمكنه التصرف، فهو لم يفهم سبب تستر (نوروي) على المعلومات التي كانت بحوزته، ولكنه لم يستطع مشاهدة (رعد) تذله بهذا الشكل.

اقترح (شهاب): (رعد)، لا داعي لكل هذا، مريه بالبوح بما لديه.

ضيق (رعد) عينها بانزعاج واضح: أردت اختبار ولائه دون الحاجة للاتكال على القوة الجبرية، ولكن للأسف فمن

الواضح أنه لا يزال موالياً لقضايا مجرمي الحرب الذين
سلبوا منا كل شيء.

ابتلع (شهاب) ريقه بصعوبة، ما الذي سيخرجهم من هذا
الموقف الآن؟

تناولت (رعد) وجه (نوروي) بكف يدها لتنظر لعينيه
القلقتين بعمق: لا حاجة لي بخدم لا يخدمونني، إذا لم يكن
ولاؤك التام لي، فما نفعك؟ إذا لم يكن لي فعلى الأقل
لحيوات ناسي الذين لقوا حتفهم تحت رحمة سيدك الحقيقي.

خيم الصمت على المكان بينما وقف الجميع مكانهم غير
قادرين على الحراك، فمن ناحية كان (نوروي) فعلاً يقوم
بالتستر على معلومات قد تخدم مصلحة الدول، وكونه يصر
على الصمت لهذه الدرجة المهولة مثير للشك لأسباب
عديدة، ولا يستطيع أحد لوم (رعد) على انفعالها، فالشخص
الذي يتستر عليه قد قام بقتل العديد من أحبابها.

ومن ناحية أخرى فهذا المشهد حيث يتم إذلاله بهذا
الشكل لا يسر أيًا من الناظرين، ولكن لا أحد قادر على
التدخل ما بينهما.

اتكأت (رعد) بظهرها للوراء لتغطس في كرسيها: (نوروي)،
يؤسفني عدم خضوعك لي كسيدتك، حيث إن هناك شخصاً
آخر قد استحوذ على كافة حواسك بالفعل وهذا شيء

لا أستطيع تقبله أو مسامحته، فإما أن تستسلم لي بالكامل،
أو لا لزوم لي بك.

فلا أجد بيالي سببًا منطقيًا يجعلك تعاون شخصًا سلبي
أرضي وناسي.

لم يستطع (نوروي) الرد، لم يستطع تكوين جملة مفيدة واحدة،
كل ما كان يشعر به هو الطنين الناتج عن تلك الصفعات المتكررة.

لوحث (رعد) بيدها: انصرف عني فلا تطيق عيناى
رؤيتك، عد فقط إن قررت الحديث.

رد (نوروي) بصوت منخفض: أمرك.

وفجأة اختفى من مكانه وكأنه لم يكن، لترك الأجواء
المتوترة والبقية ليتعاملوا بعضهم مع بعض.

رفعت (رعد) عينيها لتنظر للثلاثي الذين تسمروا مكانهم:
ماذا تريدون؟

تدخلت (قمر): (رعد)، أليس ذلك قاسيًا قليلًا؟

قهقهت (رعد) بسخرية: وهل نخوض الحروب بنعومة؟
ما يقوم به يعتبر خيانة قد تكلفه وجوده، من حسن حظه
أنني حاولت الحديث معه.

خطأ (مالين) مقتربًا من (رعد) وقال بهدوء: لو كنت
مكانك لفعلت ما هو أسوأ من ذلك، خسارة إخوتي تسبب
غليلاً موحشًا في صدري، أنا واثق بأنك تعلمين عمّ أتحدث.

التفت كلُّ من (قمر) و(شهاب) إلى الجندي بتعجب واضح، وكأنهم لم يتوقعوا منه ردة الفعل تلك أبدًا، ولكنهم لم يعلموا ماهية ذلك الشعور الموبق إذ إن من تعرض للفقدان فقط يعلم مرارة ذلك الطعم المرير، فما يكون شعورهما تجاه حليف يتستر على من سلبهم كل شيء؟

وضع (شهاب) قبضة يده على فمه متفكرًا، وكأنه يقوم بإعادة حساباته، ثم اشتبكت أعينه مع مقلتي (رعد) بحدة وسأل: ما الذي رأيته هذه المرة؟

نظرت (رعد) إليه بشبح ابتسامة، كان هو الوحيد الذي يفهمها الآن، ولوهلة كانت قد نسيت أنهما شكلا فريقًا متناغمًا.

تنهدت (رعد) ثم اتكأت بذقنها على بطن يدها: رأيته في السماء العالية، شريط من الذكريات التي انتمت له قبل أن يتم نبذه، وقد بدأت أتفهم الآن لم وقعت تلك الواقعة.

شهقت (قمر) من لؤم تلك الجملة وكأنها كانت أكثر شيء مهين سمعته يشق طريقه خارج شفاه صديقتها.

هربت ضحكة مكتومة من (شهاب)، إذ وجد الأمر مثيرًا للاهتمام. لم تكن (رعد) أكثر الناس لطفًا، ولكن عودة تعليقاتها الساخرة لها بعد هذه المدة كانت تذكره بالأيام الخوالي.

صمت (مالين) مضيئًا عينيه بانزعاج: لم أدرك أنني في
حضور عباقرة التحليل الإجرامي!

هز (شهاب) كتفيه: هذا استنتاج منطقي بحت، أليس كذلك؟

أومأت (رعد) برأسها موافقة: مهارات منطقية بحتة.

أدار (مالين) مقلتيه في محجريهما: حسنًا، حسنًا، كانت
أنسى كم أنتما متلفان للأعصاب.

ما أن قال (مالين) ذلك حتى انفجرت (قمر) ضحكًا
شديدًا، كانت تغطي فمها وكأنها تحاول السيطرة على نفسها
إلا أن الأمر لم يكن فعالًا أبدًا.

تحجر الجميع مكانهم ينظرون إليها بتعجب، إلا أنها عندما
انتهت لم تتمالك نفسها وقامت من مكانها لتحتضن رأس (رعد)
بين ذراعيها، لتريح خدها على رأس (رعد) التي تجمدت مكانها.

ضيق (قمر) ذراعيها بينما ارتسم الرضا بابتسامة على
معالمها: لقد اشتقت لك، سعيدة بعودتك.

تسمرت (رعد) مكانها في عدم استيعاب قبل أن يرتفع
خداها إثر البسمة على معالمها، ربت على ذراع (قمر):
شكرًا لانتظارك، أو بالأحرى شكرًا على انتظاركم.

نظر (شهاب) متمنًا لحظتها، ها هي هناك.

تحت أشلاء ومصابع وركام الفقدان والخسارة، من بين
ضخات الألم وشعور المسؤولية المخزي.

كانت هذه المرة الأولى منذ فترة طويلة التي يراها فيها،
وقد بدأ بريق الحياة يظهر بشكل خافت في محجريها.

رغم أن ما تسبب في استيقاظها لم يكن شعورًا محمودًا،
إلا أنه كان شعورًا، وكان هذا يكفي لتكون إنسانة مجددًا،
وبشكل بطيء ولكن أكيد، ستعود إليه تلك الفتاة التي اعتاد
على رؤيتها.

وإن عادت قطعًا متفرقة وأجزاء غير مكتملة، ولو اتخذ
الألم أكبر مساحة في صدرها، ولو لم تعد كما كان يعهدها،
إن كانت قد عادت للحياة فلم يكثر أي نسخة من نسخها
يحظى بها.

سأل (مالين) بنبرة دافئة مختبئة تحت قلق واضح: كيف
حالك يا (رعد)؟

نطق (رعد) وكأنها تتحدث لأول مرة: لست بخير، لست
بخير أبدًا يا (مالين).

عادت (قمر) لتقف على رجليها قبل أن تطويهما لتدنى
لمستوى نظر (رعد) وتتشابك أعينهما: لا عار في الإحساس،
وإن كان غير سار، فيكاد شعورك يفقأ صدرك إن تكتمت عنه
أكثر مما فعلت بالفعل.

حدقت (رعد) بصمت قبل أن تزيع عينيها لتفادي تلك
النظرات الفاضحة: أنا فقط... أحاول استيعاب كل شيء.

رد (مالين): مُر هو طعم ذلك الفقدان، وكأن أحدهم
أحدث فجوة في صدرك ترفض الالتحام.

حدقت به (رعد) متأملًا البؤس الذي ظهر على معالمه،
الشعر الذي نما على وجهه، الهالات الداكنة التي غزت ما
تحت عينيه، ولكنه رغم ذلك حاول جاهدًا الاحتفاظ
برباطة جأشه.

وضعت (رعد) يدها على جبينها بتفكير: أنت محق،
ولكن إن أطلت النظر أكثر مما فعلت بالفعل لفقدت عقلي،
يجب علي جمع شتات نفسي.

قاطع (شهاب): إن أردنا التصرف فعلينا البدء من الآن.

التفت إليه الجميع، لبست (رعد) نظرة متعجبة بينما لبس
الاثنان الآخران نظرات مغتظة من حديثه، وكأنهما لم يكونا
على استعداد لخوض هذا النقاش مع (رعد) الآن عندما
قامت بإصدار ردة فعل بعد عناء طويل.

هز (شهاب) كتفيه: يجب عليها أن تعلم.

سألت (رعد) بفضول: ما الذي ترمي إليه؟

اعتدل (شهاب) في جلسته واسترسل: في الحقيقة أنا
لست متيقنًا من الأمر، إلا أن المؤرخ سبق وأن أخبرني بأنه
قد يساعدنا ولكن بشرط أن تتمكني أنت من الخروج من
حالة كمدك.

صمتت (رعد) للحظة في محاولة لاستيعاب ما قاله قبل
أن ترد: ما هذا الشرط الغريب؟ وما دخلي أنا في الأمر؟

هز (شهاب) كتفيه مرة أخرى: قد يعود الأمر لكونك
واحدة من أصل ثلاثة رحالة في هذا الكون؟ وأعتقد أننا
سنحتاج لعدد أكبر من ذلك إذا أردنا أن نهزم الأول.

خيم الصمت على المكان بينما دارت الأفكار بشكل
عنيف في رأس (رعد) ولكنها سرعان ما انتشلت نفسها من
تلك الهواجس: حسناً، ولكن هناك أمر علي فعله أولاً.



نظرت (قمر) إليه بتعجب واضح ولكن ردة فعل (مالين) شابهت تلك التي انتمت لـ (شهاب)، ولو هلة لم تدرك (قمر) لم كانا يتصرفان بهذا الشكل فوقفت مكانها في حيرة من أمرها.

تقدم (شهاب) واتخذ مجلسًا عند مقعد (رعد) متربعا على الأرض أمامها: احكي لي رؤياك.

حدقت فيه (رعد) بمعالم يسودها عدم الفهم ولكنها لم تهتم بشكل يسمح لها بتحليل تصرفاته، فاكتفت بالتنهد قبل أن تسرد لهم كل شيء رآته منذ أول رؤيا لها، وحتى رؤياها هذه المرة.

أنصت الكل بتركيز حتى انتهت هي لتبدأ آراؤهم بالتقلب يمينا ويسارا، كلٌ منهم متوصلا لتحليل واحد.

قال (مالين) بثقة: لا شك في الأمر، إن الرحالة الأول هو سبب نفي (نوروي) من السماء العالية!

تنهد كلٌ من (شهاب) و(رعد) بخيبة ظن واضحة.

(مالين): ماذا؟ ألا تتفقان؟

قالت (رعد) بسخرية: ما تقوله أوضح من الشمس في فترة الظهيرة.

أمال (شهاب) رأسه: صدقت، فما الجديد؟

ابتلع (نوروي) ريقه بصعوبة: هو بالتأكيد أمر جديد، ولكن رفضه تمامًا لجهلنا به لن يمكننا من المضي أمامًا، وإذا أمرنا القدر فما لنا إلا أن نمثل لأمره.

عقد (كايلوما) ذراعيه، ناظرًا لـ (نوروي) تارة، والأول تارة: حسنًا، لتكون أنت مسؤولًا عنه إذا. لتراقبه أنت و(تاشر) وتحلل قدراته وتحرر عن أمره كاملاً مكماً، وتعدي بما بجعبتك، عندها سيقوم المجلس باتخاذ القرار النهائي.

شهقت (رعد) بقوة عندما انتهت رؤياها لترش قطرات الماء في الهواء بعنف إثر نهوض جذعها من بين الماء لتسعل بقوة بينما حاولت استعادة أنفاسها مجددًا، إحدى يديها على صدرها والأخرى تتمسك بطرف الحوض بقبضة قوية.

«أنتي كويسة!؟»

تشكل (نوروي) من العدم ليقف بمقربة من الحوض بينما خيم القلق على معالمه.

رفعت (رعد) يدها في وجهه لتطمئنه بينما أكملت سعالها، فظل راكعًا بجانبها حتى هدأت أنفاسها وعادت لوضعها الطبيعي.

«إيش صار؟»

سأل (نوروي) وكأنه كان على علم مسبق بحالتها النفسية السيئة.

أكملت (رعد): أنت تعلم بماهيته، لطالما فعلت، ولكن
نساهلي معك جعلك تعتقد أن الخيار الأفضل لك هو التكتّم
على الأمر، ولكن ذلك الاختيار لم ينبع إلا من أنانيتك
وكبريائك الزائد. نحن لا نواجه حربًا، نحن نواجه تدمير
أكوانٍ كما نعلمها، وأنت تظل صامتًا؟ لقد لقي الشعب حتفه
بسببه، لقد تدمرت بلدان بسببه، لقد خسرت كل شيء بسببه!

لم يستطع (نوروي) الرد، ظل متجمدًا مكانه، وكأنه ابتلع لسانه.

صاحت (رعد) بوجهه بوحشية لم يعهدها: تحدث!

تحدث! تحدث!!!

نطق (نوروي) بصعوبة: أ- أنا...

فتح الباب على مصراعيه لتدخل (قمر) بدعرك: هل أنتم

بخير؟ ما الذي يحدث؟

حدجت (رعد) باتجاه (قمر) ومن ثم لـ (نوروي) الذي

حاول الحديث ولكن (رعد) رفعت يدها أمام وجهه مشيرة

له بالصمت قبل أن تقف من مكانها لتساقط قطرات الماء

من خصلات شعرها المغدقة مصطدمة بالسطح المائي تحتها.

جرت تيارات هوائية لطيفة تداعب الأعشاب ومن ثم

الأشجار من بعدها، تمر بخفة ومن ثم تختفي لتواكبها

أختها، وعلى هذا الحال.

التفت (رعد) إليه ببطء لتأمل في ملامحه التي بدت أكثر خشونة مما رآته في رؤياها، إلا أنها كانت لا تزال تحاول هضم جميع ما رآته لتقوم بالوصول إلى استنتاج ما.

حدقت (رعد) ببرود: أتتوي إخباري بما حصل مع الأول أم تفضل أن أوصل النقاط بنفسي؟

توسعت حدقتا (نوروي) وهوى رأسه للأسفل متأملًا الأرض، وكأنه لا يقوى على النظر إلى عينيها الفاضحتين، ولكنه لم يعلم كيف يحبك الكلمات المناسبة ليخبرها فالتزم الصمت.

صرخت (رعد): انظر إلي!

رفع (نوروي) رأسه فورًا ليقابل عينيها اللتين اندلعت فيهما نيرانٌ عظيمة لتحدث مجددًا: أتجرؤ على تخيئة هذه الأمور عني؟! أعلم ما سلبني هذا المسخ؟! لقد أخذ مني كل شيء، وأنت تظل هنا متستراً على أمره وكأنك تدين له بشيء، ما الذي يجري في رأسك؟

لم يعتد (نوروي) على رؤية (رعد) بهذا الشكل، ولكنه كان يجب أن يعلم بأن الصبر، وإن كان كثيرًا، س ينتهي في يوم ما، هو فقط لم يكن يظن أنه هو من سيتحمل ذلك السخط، ولا يوجد أكثر رعبًا من شخص لم يعد يملك شيئًا ليخسره.

وقف الشاب ذو الأعين الذهبية كعادته، متكئاً على أحد
جدران قصر السيد (فياض) الذي استقبلهم بكل رحابة
صدر. كان ممثلاً له إلا أنه كان أكثر تشكراً لابنته (قمر) التي
كانت تساعده في الاعتناء بـ (رعد) في حالتها الصعبة، ورغم
خسارة الملوك لممالكهم، وفقدان القادة لجيوشهم، كانت
حالتها أكبر ثغرة صعب عليه ملؤها.

فكان الجميع قد فقدوا، إلا أن الأمل كان لا يزال يخيم في
نهاية أنفاقهم، أما هي؟

فقد سقطت عليها ظلمات لم يعلم أحد بمدى عمقها.

واحدًا تلو الآخر، وأمام عينيها بأبشع الطرق، كيف عساه
أن ينسيها ما حصل؟ أم عوضاً عن النسيان، تعويضها
وإعطاؤها دافعاً للمضي قدماً؟

تقطع بلسانه متحسراً، تمنى في باطنه عدم رحيل الجنرال،
فهو كان على الأقل سيعلم عن كيفية توجيهها، حتى إن كانت
أجنحتها مقصوفة، فهي الآن لا تستطيع أن ترفرف حتى.

طوى (شهاب) إبهامه تحت أسنانه بقسوة، وكأن شدة ألمه
قد تلهمه الإجابات.

كان عليهم التصرف، العودة للكون السابع، هزيمة الرحال
الأول بطريقة ما، وإعادة المياه لمجاريها، إلا أن هذه الخطوة
وسمت بالاستحالة، فلا يستطيع أي رحالة مجازاة الأول، وقد

يكون أكثرهم مقدرة هم المغيرين إلا أنهم لم يملكوا إلا واحدًا منهم، والبقية قد أعلنوا عداوتهم.

بقي عدة رحالة متأقلمين إلا أنهم لا يملكون فرصة أمام من سبقهم، لا حل أمامهم، وإن وجد فإنه في جعبة المؤرخ الذي رفض الحديث مع (شهاب) حتى يتمكن من انتشال (رعد) من حالتها المزرية.

تساقط قطرات الدم على الأعشاب تحته إثر خوض الشديد في أفكاره.

«حاذر، أنت لا ترغب بفقدان أصبعك.»

رفع (شهاب) رأسه ليرى (مالين) الذي لبس ابتسامة طفيفة على وجهه الذي نما عليه الشعر بخفة، رغم تلك الهالات السوداء التي تشربت أسفل عينيه إلا أنه كان يحاول رفع معنويات الجميع.

انتزع (شهاب) أصبعه من بين أنيابه وهزه بعنف ليرش ما تبقى من الدم جانبًا بينما أدخل (مالين) يده إلى جيبه ليخرج قطعة قماشية سلمها لـ (شهاب) برفق.

قال (مالين) بسخرية: كنت سأساعدك في تضميدها إلا أن قدراتي باتت محدودة قليلًا الآن.

نظر (شهاب) للفراغ الذي تشكل حيث كانت ذراعه وأزاح عينيه بسرعة بابتسامة متمركزة على زوايا شفتيه: مازلت تطلق النكات وتحاول التخفيف عن الجميع إذا؟

هز (مالين) كتفيه: وهل أدى ذلك مفعوله؟

لف (شهاب) القطعة القماشية حول إصبعه: لا، لكنها محاولة جيدة.

تنهد (مالين): إنها تعمل على (أليكساندر).

هز (شهاب) رأسه: أتضحكه أم تفرعه؟

ابتسم (مالين) مكشوفًا: تفرعه، ولكن أي نوع من ردات الفعل محجب.

(شهاب) بسخرية: أنا ممتن لوجودك في صفوفنا، فقد تقتل العدو من الضجر.

ضحك (مالين): ما دام يخدم مصلحة الأمة، ليشرعوني كأضحوكة.

همهم (شهاب) بينما ضغط على جرحه المضمّد، وكأنه عاد ليغرق في أفكاره، إلا أن (مالين) قاطعه: ما أخبار (رعد)؟

هوى رأس (شهاب) للأسفل مستسلمًا للسؤال الذي كان محتومًا: لا أعلم، أنا أحاول بشتى المستطاع، ولكنني لا أستطيع الولوج إليها، وكأن روحها قد توقفت داخل جسدها ولم يبقَ منها إلا وعاء فارغ.

عبس (مالين): لقد مضت عدة أشهر...

هز (شهاب) كتفيه معلنًا: وقد يأخذ الأمر منا عدة سنين حتى، فأنا في الوضع الحالي غير قادر على إخراجها من

حالتها هذه، والمؤرخ الأبله يرفض الحديث معي إن لم أقم بإعادتها لأرض الأحياء.

سأل (مالين): وماذا عن (نوروي)؟ أو تلك الـ (قمر)؟

تنهد (شهاب) مثقلاً: لا نتيجة، فمهما حاولنا لا تزال متفوقة على نفسها.

هز (مالين) رأسه متفهماً: وماذا عن وطننا إذا؟

رد (شهاب): أتمنى مساعدتك، حقاً، لكن إما أن تقنع رأس (رعد) العنيد بالاستيقاظ، أو أن تقنع المؤرخ بمساعدتنا دونها.

«(شهاب)!»

نادى صوت فتاة مفزوع ليلتفت الثنائي إلى (قمر) التي جرت باتجاههما بعجلة وقلق واضح.

اعتدل (شهاب) في وقفته: ما الأمر؟ ماذا هناك؟!

لهثت (قمر) عندما وصلت إليهما، يداها على ركبتيها في محاولة لاستعادة أنفاسها لتتطرق: (رعد)، أعتقد أنها تتشاجر مع (نوروي)!

عقد (شهاب) حاجبيه في عدم فهم ولكنه لم ينتظر أكثر من ذلك.

«إذا أنت لا تنوي الحديث؟»

ضيق (رعد) عينيهما بينما حدقت في (نوروي) الذي كان يحاول بقدر الإمكان تفادي نظراتها.

كانت (رعد) قد جلست على أحد المقاعد في مضجعتها،
بينما وقف (نوري) بعيدًا عنها بمسافة يسيرة، وجهه متعسر
ومرتبك بشدة، لم يعلم كيف يتصرف.

رغم أنها صرخت فيه بالحديث عندما كانت في أوج
انفعالها إلا أن هدوءها الآن كان مريبًا أكثر، وكأنها أرادت منه أن
يتحدث بدون أن تأمره، كانت تكره أن تأمره في أمر علمت
بأنه لم يرغب به.

رد (نوروي): أنتي لو استنيتي شوية بينكشف كل شي قدامك.

(رعد) بانزعاج واضح: وأنت تريدني أن أنتظر حتى يأتي
إلي العلم دون مجهود يذكر منك؟

أمال (نوروي) رأسه مازحًا: يمدحوا الصبر.

خيم الصمت على المكان بينما ظلت (رعد) على حالها،
لم تحرك ساكنًا قبل أن تأمر: (نوروي)، تعال إلى هنا.

توتر (نوروي) ولكنه نفذ أمرها وخطا باتجاهها حتى
وقف أمام كرسيها.

أمرت (رعد): اركع.

وضح عدم الفهم على معالمة ولكنه نفذ، وجلس بإحدى
ركبتيه محاذية لها والأخرى على الأرض، وما أن فعل حتى
رن رأسه إثر الصفعة التي تلقاها.

صمت (شهاب) للحظة في عدم فهم قبل أن يسأل: ما الذي ترمين إليه؟

ردت (رعد) بصرامة: إن بحوزته معلومات عن الرحال الأول، ولكنه يرفض إخباري.

نظر (شهاب) إلى (نوروي) بتعجب ثم شق طريقه ليقف بمقربة منه: هل هذا صحيح يا (نوروي)؟

عض (نوروي) على لسانه ورمى برأسه للأسفل مستسلمًا قبل أن تأمره (رعد): أجب عن سؤاله.

رد (نوروي) مجبرًا: صحيح.

توسعت حدقتا (شهاب): إذا؟ لم لا تخبرنا عما بجعبتك؟

صمت (نوروي) مجددًا، فدوى صوت صفعة مؤلمة وجهتها (رعد) له.

لم يعلم (شهاب) كيف يمكنه التصرف، فهو لم يفهم سبب تستر (نوروي) على المعلومات التي كانت بحوزته، ولكنه لم يستطع مشاهدة (رعد) تذله بهذا الشكل.

اقترح (شهاب): (رعد)، لا داعي لكل هذا، مريه بالبوح بما لديه.

ضيق (رعد) عينيها بانزعاج واضح: أردت اختبار ولائه دون الحاجة للاتكال على القوة الجبرية، ولكن للأسف فمن

توسعت حدقتاه متفاجئًا، رأسه الآن مائلٌ ليمينه، نظره يرتكز على إحدى الفخاريات التي زينت منضدة السرير، وكل ما جرى في رأسه قد توقف وكأن أحدهم ضغط زرًا ما يمنعه من التفكير.

جلس لعدة ثوانٍ فاغترًا فاهه حتى أمرته (رعد): انظر إلي.

نفذ أمرها مرغما، فسأله: هل ستحدث؟

لم يعلم هو نفسه إن كان هو ينوي الرد حتى، لم يستطع تكوين فكرة واحدة حتى، وقبل أن يتمكن من التصرف رنت أذناه إثر الكف الآخر الذي رمى برأسه اليسار هذه المرة.

سألت (رعد) مجددًا: هل ستحدث؟

مرة أخرى كان (نوروي) لا يزال يحاول تشكيل فكرة سليمة واحدة قد تخرجه من هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه.

فتح الباب على مصراعيه لحظتها ليقف (شهاب) في المقدمة، من ورائه وقفت (قمر) و(مالين) بجانبها.

رفعت (رعد) عينيها بحدة لتلقي بهما باتجاه من قاطع جلسة استجوابها، لتلتقي بؤرتها البنيتان اللتان بدتا داكنتين أكثر من المعتاد بحدقتي (شهاب) الذهبيتين.

سأل (شهاب) بقلق: (رعد)، ما الذي يحصل؟

(رعد) بهدوء: استخرج منه معلومات تخص أمن الدولة والأكوان.

الواضح أنه لا يزال موالياً لقضايا مجرمي الحرب الذين
سلبوا منا كل شيء.

ابتلع (شهاب) ريقه بصعوبة، ما الذي سيخرجهم من هذا
الموقف الآن؟

تناولت (رعد) وجه (نوروي) بكف يدها لتنظر لعينيه
القلقتين بعمق: لا حاجة لي بخدم لا يخدمونني، إذا لم يكن
ولاؤك التام لي، فما نفعك؟ إذا لم يكن لي فعلى الأقل
لحيوات ناسي الذين لقوا حتفهم تحت رحمة سيدك الحقيقي.

خيم الصمت على المكان بينما وقف الجميع مكانهم غير
قادرين على الحراك، فمن ناحية كان (نوروي) فعلاً يقوم
بالتستر على معلومات قد تخدم مصلحة الدول، وكونه يصر
على الصمت لهذه الدرجة المهولة مثير للشك لأسباب
عديدة، ولا يستطيع أحد لوم (رعد) على انفعالها، فالشخص
الذي يتستر عليه قد قام بقتل العديد من أحبابها.

ومن ناحية أخرى فهذا المشهد حيث يتم إذلاله بهذا
الشكل لا يسر أيًا من الناظرين، ولكن لا أحد قادر على
التدخل ما بينهما.

اتكأت (رعد) بظهرها للوراء لتغطس في كرسيها: (نوروي)،
يؤسفني عدم خضوعك لي كسيدتك، حيث إن هناك شخصاً
آخر قد استحوذ على كافة حواسك بالفعل وهذا شيء

لا أستطيع تقبله أو مسامحته، فإما أن تستسلم لي بالكامل،
أو لا لزوم لي بك.

فلا أجد بيالي سببًا منطقيًا يجعلك تعاون شخصًا سلبني
أرضي وناسي.

لم يستطع (نوروي) الرد، لم يستطع تكوين جملة مفيدة واحدة،
كل ما كان يشعر به هو الطنين الناتج عن تلك الصفعات المتكررة.

لوحث (رعد) بيدها: انصرف عني فلا تطيق عيناى
رؤيتك، عد فقط إن قررت الحديث.

رد (نوروي) بصوت منخفض: أمرك.

وفجأة اختفى من مكانه وكأنه لم يكن، لترك الأجواء
المتوترة والبقية ليتعاملوا بعضهم مع بعض.

رفعت (رعد) عينيها لتنظر للثلاثي الذين تسمروا مكانهم:
ماذا تريدون؟

تدخلت (قمر): (رعد)، أليس ذلك قاسيًا قليلًا؟

قهقهت (رعد) بسخرية: وهل نخوض الحروب بنعومة؟
ما يقوم به يعتبر خيانة قد تكلفه وجوده، من حسن حظه
أنني حاولت الحديث معه.

خطأ (مالين) مقتربًا من (رعد) وقال بهدوء: لو كنت
مكانك لفعلت ما هو أسوأ من ذلك، خسارة إخوتي تسبب
غليلاً موحشًا في صدري، أنا واثق بأنك تعلمين عمّ أتحدث.

التفت كلُّ من (قمر) و(شهاب) إلى الجندي بتعجب واضح، وكأنهم لم يتوقعوا منه ردة الفعل تلك أبدًا، ولكنهم لم يعلموا ماهية ذلك الشعور الموبق إذ إن من تعرض للفقدان فقط يعلم مرارة ذلك الطعم المرير، فما يكون شعورهما تجاه حليف يتستر على من سلبهم كل شيء؟

وضع (شهاب) قبضة يده على فمه متفكرًا، وكأنه يقوم بإعادة حساباته، ثم اشتبكت أعينه مع مقلتي (رعد) بحدة وسأل: ما الذي رأيته هذه المرة؟

نظرت (رعد) إليه بشبح ابتسامة، كان هو الوحيد الذي يفهمها الآن، ولوهلة كانت قد نسيت أنهما شكلا فريقًا متناغمًا.

تنهدت (رعد) ثم اتكأت بذقنها على بطن يدها: رأيته في السماء العالية، شريط من الذكريات التي انتمت له قبل أن يتم نبذه، وقد بدأت أتفهم الآن لم وقعت تلك الواقعة.

شهقت (قمر) من لؤم تلك الجملة وكأنها كانت أكثر شيء مهين سمعته يشق طريقه خارج شفاه صديقتها.

هربت ضحكة مكتومة من (شهاب)، إذ وجد الأمر مثيرًا للاهتمام. لم تكن (رعد) أكثر الناس لطفًا، ولكن عودة تعليقاتها الساخرة لها بعد هذه المدة كانت تذكره بالأيام الخوالي.

نظرت (قمر) إليه بتعجب واضح ولكن ردة فعل (مالين)
شابهت تلك التي انتمت لـ (شهاب)، ولو هلة لم تدرك
(قمر) لم كانا يتصرفان بهذا الشكل فوقفت مكانها في حيرة
من أمرها.

تقدم (شهاب) واتخذ مجلسًا عند مقعد (رعد) متربعا
على الأرض أمامها: احكي لي رؤياك.

حدقت فيه (رعد) بمعالم يسودها عدم الفهم ولكنها لم
تهتم بشكل يسمح لها بتحليل تصرفاته، فاكتفت بالتهند قبل
أن تسرد لهم كل شيء رآته منذ أول رؤيا لها، وحتى رؤياها
هذه المرة.

أنصت الكل بتركيز حتى انتهت هي لتبدأ آراؤهم بالتقلب
يمينًا ويسارًا، كلٌّ منهم متوصلًا لتحليل واحد.

قال (مالين) بثقة: لا شك في الأمر، إن الرحالة الأول هو
سبب نفي (نوروي) من السماء العالية!

تنهد كلٌّ من (شهاب) و(رعد) بخيبة ظن واضحة.

(مالين): ماذا؟ ألا تتفقان؟

قالت (رعد) بسخرية: ما تقوله أوضح من الشمس في
فترة الظهيرة.

أمال (شهاب) رأسه: صدقت، فما الجديد؟

صمت (مالين) مضيئًا عينيه بانزعاج: لم أدرك أنني في
حضور عباقرة التحليل الإجرامي!

هز (شهاب) كتفيه: هذا استنتاج منطقي بحت، أليس كذلك؟

أومأت (رعد) برأسها موافقة: مهارات منطقية بحتة.

أدار (مالين) مقلتيه في محجريهما: حسنًا، حسنًا، كانت
أنسى كم أنتم متلفان للأعصاب.

ما أن قال (مالين) ذلك حتى انفجرت (قمر) ضحكًا
شديدًا، كانت تغطي فمها وكأنها تحاول السيطرة على نفسها
إلا أن الأمر لم يكن فعالًا أبدًا.

تحجر الجميع مكانهم ينظرون إليها بتعجب، إلا أنها عندما
انتهت لم تتمالك نفسها وقامت من مكانها لتحتضن رأس (رعد)
بين ذراعيها، لتريح خدها على رأس (رعد) التي تجمدت مكانها.

ضيق (قمر) ذراعيها بينما ارتسم الرضا بابتسامة على
معالمها: لقد اشتقت لك، سعيدة بعودتك.

تسمرت (رعد) مكانها في عدم استيعاب قبل أن يرتفع
خداها إثر البسمة على معالمها، ربت على ذراع (قمر):
شكرًا لانتظارك، أو بالأحرى شكرًا على انتظاركم.

نظر (شهاب) متمنًا لحظتها، ها هي هناك.

تحت أشلاء ومصابع وركام الفقدان والخسارة، من بين
ضخات الألم وشعور المسؤولية المخزي.

رد (مالين): مُر هو طعم ذلك الفقدان، وكأن أحدهم
أحدث فجوة في صدرك ترفض الالتحام.

حدقت به (رعد) متأملًا البؤس الذي ظهر على معالمه،
الشعر الذي نما على وجهه، الهالات الداكنة التي غزت ما
تحت عينيه، ولكنه رغم ذلك حاول جاهدًا الاحتفاظ
برباطة جأشه.

وضعت (رعد) يدها على جبينها بتفكير: أنت محق،
ولكن إن أطلت النظر أكثر مما فعلت بالفعل لفقدت عقلي،
يجب علي جمع شتات نفسي.

قاطع (شهاب): إن أردنا التصرف فعلينا البدء من الآن.

التفت إليه الجميع، لبست (رعد) نظرة متعجبة بينما لبس
الاثنان الآخران نظرات مغتظة من حديثه، وكأنهما لم يكونا
على استعداد لخوض هذا النقاش مع (رعد) الآن عندما
قامت بإصدار ردة فعل بعد عناء طويل.

هز (شهاب) كتفيه: يجب عليها أن تعلم.

سألت (رعد) بفضول: ما الذي ترمي إليه؟

اعتدل (شهاب) في جلسته واسترسل: في الحقيقة أنا
لست متيقنًا من الأمر، إلا أن المؤرخ سبق وأن أخبرني بأنه
قد يساعدنا ولكن بشرط أن تتمكني أنت من الخروج من
حالة كمدك.

كانت هذه المرة الأولى منذ فترة طويلة التي يراها فيها،
وقد بدأ بريق الحياة يظهر بشكل خافت في محجريها.

رغم أن ما تسبب في استيقاظها لم يكن شعورًا محمودًا،
إلا أنه كان شعورًا، وكان هذا يكفي لتكون إنسانة مجددًا،
وبشكل بطيء ولكن أكيد، ستعود إليه تلك الفتاة التي اعتاد
على رؤيتها.

وإن عادت قطعًا متفرقة وأجزاء غير مكتملة، ولو اتخذ
الألم أكبر مساحة في صدرها، ولو لم تعد كما كان يعهدها،
إن كانت قد عادت للحياة فلم يكثرث أي نسخة من نسخها
يحظى بها.

سأل (مالين) بنبرة دافئة مختبئة تحت قلق واضح: كيف
حالك يا (رعد)؟

نظمت (رعد) وكأنها تتحدث لأول مرة: لست بخير، لست
بخير أبدًا يا (مالين).

عادت (قمر) لتقف على رجليها قبل أن تطويهما لتتدنى
لمستوى نظر (رعد) وتتشابك أعينهما: لا عار في الإحساس،
وإن كان غير سار، فيكاد شعورك يفقأ صدرك إن تكتمت عنه
أكثر مما فعلت بالفعل.

حدقت (رعد) بصمت قبل أن تزبح عينيها لتفادي تلك
النظرات الفاضحة: أنا فقط... أحاول استيعاب كل شيء.

صمتت (رعد) للحظة في محاولة لاستيعاب ما قاله قبل
أن ترد: ما هذا الشرط الغريب؟ وما دخلي أنا في الأمر؟

هز (شهاب) كتفيه مرة أخرى: قد يعود الأمر لكونك
واحدة من أصل ثلاثة رحالة في هذا الكون؟ وأعتقد أننا
سنحتاج لعدد أكبر من ذلك إذا أردنا أن نهزم الأول.

خيم الصمت على المكان بينما دارت الأفكار بشكل
عنيف في رأس (رعد) ولكنها سرعان ما انتشلت نفسها من
تلك الهواجس: حسناً، ولكن هناك أمر علي فعله أولاً.



زيارة

داعب الريش إحدى التحف الخزفية الملونة عندما شرع
أحد طاقم العمل بدورية التنظيف الصباحية، إلا أنه كاد يلقي
بمنفضته أرضاً عندما فزع من صوت عالٍ ينتمي لأحد
الرجلين اللذين كانا في الصلاة المجاورة.

- «حتى متى يا (فياض)؟ لقد سئمت الانتظار!»

ملأت المنحوتات والقطع الفنية المختلفة في الألوان
والأشكال تلك الصلاة التي توسطتها طاولة خشبية صغيرة
توزعت حولها عدة أرائك جلس عليها رجالان مبجلان امتلأ
الهواء ما بينهما بالآراء العنيدة.

قلب السيد (فياض) كأس الشاي الذي حمله بين يديه
بهدوء تام ولم يشخ بنظره عنه: أنا فقط أخبرك بأن الأمور
قد لا تكون كما هي عند عودتك، وأنت كحاكم ملزم بضمان
الأمن والأمان لمواطنيك أليس كذلك؟ إذا، يجب عليك
الاستعداد لأسوأ الاحتمالات حتى تتمكن من التخطيط
بشكل مناسب.

رمى الملك (ماتع) بظهره للوراء عاقداً ذراعيه: وأنت
تقنعني بأننا متمكنون من هزيمة أول رجال وجد على وجه

البشرية؟ هذا هراء! لو تمكن المؤرخ من فعل ذلك فلم لم
يقم بالتصرف حتى الآن؟

أمال السيد (فياض) رأسه مشككًا: أليس ذلك المؤرخ
صانع سلام مملكتك؟ ما بك منفعلًا بهذا الشكل؟ أم هل
فقدت ثقتك به؟

نقر الملك (ماتع) بلسانه مصدرًا صوتيًا يبين استياءه: أنا
لم أرَ هذا الرجل طيلة حياتي، فأحد أجدادي قام بتعيينه ولم
أرَ منه شيئًا إلا بعض الرسائل على مر السنين ليخبرني فيها
بأنه ما زال على قيد الحياة ولا أكثر من ذلك. لولا انعدام
وجود صناع السلام لكنت عينت أحدًا مكانه منذ زمن.

أوما السيد (فياض) برأسه موافقًا: أعني، حسب ما فهمته
فلا يوجد إلا ٥ صناع سلام في الأكوان كلها؟

لوح الملك (ماتع) بيده: واثنان منهم استيقظا للتو،
أحدهما ولي عهد سلطنة (ألماسي) والآخر وجدته في
صفوفي بمحضر المصادفة ولو حظيت بوقت أكثر في كوني
لكنت عيته صانع سلام المملكة الرسمي.

احتسى السيد (فياض) رشفة من كأسه ثم تحدث: وما
يطلبه المؤرخ حتى يتمكنوا من الحراك هو جميع رحالتك إذا؟

أوما الملك (ماتع) برأسه موافقًا: فقط كبداية ولكن
سيتطلب منا الأمر أكثر من ذلك بكثير، ففي وضعنا الحالي
نحن لا نملك فرصة ضد ذلك المسخ.

سأل السيد (فياض): ألا تعتقد أن المؤرخ يمتلك علمًا هو
أدرى به من غيره؟

ساد الصمت المكان بينما تفكر الملك (ماتع) بإجابته قبل أن
ينطقها: لا أعلم، فكل يوم آخذ أنفاسي فيه أكتشف شيئًا جديدًا،
ولا أعلم لي بسياسات الرحالة أو تصنيفاتهم إلا بشكل مبهم.

حدق السيد (فياض) بالرجل أمامه: وما هي الخيارات أمامك
يا (ماتع)؟ لا يمكنك فعل شيء إلا وضع كامل ثقتك بالمؤرخ.

أطلق الملك (ماتع) نفسًا لم يدرك أنه يحبسه والتزم
الصمت عندما تعالت أصوات خطوات مقتربة حتى لمح
(رعد) و(قمر) تخطوان بعجلة متجهتين إلى المدخل الرئيس.

اعتدل الملك (ماتع) في جلسته واستقام بعوده مناديًا:
(رعد)! إلى أين أنت ذاهبة؟

تجمدت (رعد) في مكانها واشتدت قبضتها على مجموعة
الأزهار العارية التي حملتها في إحدى يديها: هناك أمر علي
الاهتمام به.

رد الملك (ماتع) موبخًا: اهتمي بنفسك قبل أن تهتمي
بهذه الأمور، تبدين مثل الغصن! عليك تناول شيء ما أولاً.

نظر السيد (فياض) إلى الفتاتين ولم يحتج وقتًا طويلًا
لاستيعاب الموقف فلوح بيده للرجل: دعهما تذهبا، سأرسل
أحدهم بسلال الطعام.

نظر الملك (ماتع) إلى رفيقه مشككًا، ولكن السيد
(فياض) أوما برأسه حائًا إياه على الموافقة، فلوح الملك
(ماتع) بيده: لا تتأخري.

جرى الهواء برفق يداعب خصلات شعرها البندقية فوق
وجتيها، ولكن دمعة يتيمة جرت بينما تأملت (رعد)
المنظر أمامها.

كان جميلًا مثلما وعدتها (قمر)، بعيدًا قليلًا عن القرية
وأقرب إلى مكان تدريبها السابق، خيوط الشمس الذهبية
تسللت بدفء من بين أوراق الأشجار لتستلقي على تراب كل
من القبرين، في بقعة معينة من تلك الغابة التي التقت فيها
(رعد) بـ (قمر) لأول مرة، وقفت لوائح صخرية رخامية باهرة
تم نقشها باسميهما.

«أبلج» و«بهيرة»

وعلى كل منهما نُقش بخط أصغر «والدا الحمراء»

وقفت (رعد) مكانها متأملة ما تبقى من والديها، لتدرك
أنه لم يبقَ شيء، فقط أضغاث ذكريات، ومضات من
الماضي المبهم، كانت ذاكرتها مضمحلة جدًا في هذه النقطة
من الزمن.

ربت (قمر) على ظهر صديقتها: ألقى التحية.

أخذت (رعد) نفسًا عميقًا قبل أن تتحدث للجماة: ... أهلاً،
أمي، أبي، لقد اشتقت إليكما. لا أعلم إن كنتما تسمعانني...

صمتت (رعد) للحظة لكن (قمر) أشارت لها برأسها بأن
تكمل، ففعلت: حقيقة لا يوجد كلام كافٍ سيقنعكما بمسامحتي.
كنتما خير الوالدين، وخير الأهل، وأفضل ما حصل لي منذ
أن وجدت نفسي عالقة في شباك هذه الأكوان المعقدة،
ولا أعلم كيف أخبركما عما حصل منذ ذهابكما، فقد حصل
الكثير، وفقدت الكثير.

فقدتكما وفقدت إخوتي... وفقدت منارتي.

بدأ صوت (رعد) بالتذبذب بضعف قبل أن تهوي للأرض
وتتوسد ركبها التراب، أكملت (قمر) تربيئًا على رأسها بحنان.

استجمعت (رعد) قوتها وأكملت حديثها: خسرت موطني،
وكل ما أعرفه، لم يعد لي مكان في أي كون من الأكوان، من
عالم الصحوة إلى الكون السابع، لا بلد يستقبلني، ولا ضوء
ينير دربي، الطريق معتم وضبابي، لم أعد أرى بشكل جيد.

لا أعلم أين تكون وجهتي التالية، ولكنني سئمت من
الخسارة، أينما سلكت يأتي قاطع سبيل ليسلبنى آمالي. لم
يبق لي شيءٌ أخسره، ولا وطنٌ أعود له، لا شيء باقٍ
إلا من يقف ورائي الآن. بعض الأصدقاء الذين أتعبتهم
وأشقيتهم ولم يأسوا مني لسببٍ أو لآخر، وهذا ما سأقوم

جاهدة بحمايته والحفاظ عليه، لا أستطيع الخسارة أكثر مما فعلت بالفعل.

ولذا أريد شكركما، لا أستطيع رد المعروف، وقد أكون وقحة بحق ولكنني سأضيف أحدهم بجانبكما إن لم تمانعا.

عادت (رعد) لتقف على رجليها وتمد يدها لداخل جيب بنطالها وتخرج منه التيممة التي كانت متعلقة بنصلها بالسابق، التيممة التي أعطاها إياها (أيهم) قبل انطلاقهم للحرب.

تلاعبت بالكرة الزجاجية الخضراء بين أناملها وتمعنت فيها لوهلة قبل أن تقوم بربط خيطها القرمزي على أحد الأغصان المجاورة لقبري والديها، ثم أخذت عدة خطوات للوراء لتأمل المشهد الذي كشف عن نفسه أمامها، وبصدر مثقل قامت بتوزيع ثلاث زهرات بيضاء عارية على كلٍّ منهم.

طوقت (قمر) صديقتها بذراعيها في عناق دافئ وهادئ مقارنة بذلك الذي كاد يفقأ طبالات أذنها، كف يدها تسافر على ظهرها من الشمال للجنوب، بينما فر الحزن من مدمعي (رعد) حتى بدأ يتنازل لنحرها، ولكن (قمر) كانت تمسحه بلا كلل ولا ملل برفق ورقة تامين وكأنها تخشى أن تكسر الفتاة أمامها.

ظلنا على ذلك الحال لعدة لحظات قبل أن تنتزع (رعد)
وجهها المتورم من بين ذراعي (قمر) وتنطق: لنذهب، لقد
أضعت ما يكفي من الوقت.

أخذ نفسًا عميقًا من الغليون بيده قبل أن يطلق زفيرًا
عامت على إثره غيمة من الدخان من بين شفثيه، تموجات
شعره الطويل تلهو تارة يمينًا وتارة يسارًا، متمائلة على
إيقاعات التيارات الهوائية التي رقصت مع أوراق الأشجار
التي أحاطت به.

حذر بمحيطاته الخلابة التي لم يستطع التمتع بها بشكل
كامل، فرغم سحرها إلا أن عقله كان يعوم في اتجاه معاكس.

ما الذي يربطه هنا؟ لم هو مقيد بهذا الشكل؟

لم يعتد هو على هذا النوع من الأصفاد، هو من جاب
الأكوان وروضها.

ما الذي كان يجره للقاع؟

كيف انتهى به الحال هنا؟

مجموعة من المتأقلمين غير المتمرسين الذين لا يدركون
بشاعة الحياة، يتأثرون من خسارة روح، أو اثنتين، ولا يعلمون
أن إطالة بقائهم على حالهم هذا ستقود ما تبقى من آمالهم
إلى التهلكة.

فهي تصبح أكثر ضعفًا على مر الوقت، ولا يتمكن أحدهم منها إلا ابنة ذلك النبيل وتلميذه (شهاب)، وكان صبر (خافير) قد بدأ بالنفاد بالفعل.

فقد مرت عدة أشهر منذ وصولهم للكون الثالث، واستضافة السيد (فياض) وابنته لهم، وما زالت (رعد) عالقة ما بين هواجسها حتى بدأ وعيها بالتأكل، جسدها كذلك.

حتى متى يجب عليه البقاء على هذا الحال؟

أعاد تعبئة غليونيه بينما تردد صوت خطوات تشق طريقها خلال العشب ليرفع (خافير) رأسه مما أشغله وتقابل عيناها ذلك الرجل المتغضن الملحف باللون الأخضر.

أكمل (خافير) ما كان بصدد فعله ساحبًا كبريًا ومشعلًا إياه ليولع غليونيه بينما أخذ نفحات منه.

شاهده المؤرخ بصمت حتى انتهى مما كان يفعله ثم تحدث بنبرة أمرة: إن انتهيت فلتنضم إلي، سنبدأ بتدريب الصغار.

عقد (خافير) حاجبيه موضحًا عدم فهمه: و(رعد)؟

رد المؤرخ: لقد انتهت من نحيبها وأنت إلي، إلا أن هناك تعقيدًا واحدًا يقف في طريقنا.

(خافير) بفضول: وذلك يكون؟

تعالى نظر المؤرخ للسماء بينما تحدث: لقد بدأت بربط الأحداث، ذكريات معينة من ماضي الابن المنبوذ عندما كان الشعلة الزرقاء في أوجها.

(خافير): إذا؟

تنهد المؤرخ: لنقل إن الابن المنبوذ تم التخلي عنه للمرة الثانية، رفض البوح عن الماضي بنفسه ولم ينل ذلك استحسانها البتة.

ضحك (خافير) بسخرية: لمَ لم تأمره بالحديث بكل بساطة؟

نظر المؤرخ بحدة إلى الرجل أمامه: من الظاهر أنها تولي أولوية أعلى للولاء الخام، وليس تعقيدات عقد الدم التي تفرض هيمنتها على اللعنة.

توسعت حدقتا (خافير) بتعجب ثم قهقه: إنها أفضل خلقاً مني.

أوماً المؤرخ برأسه مؤيداً: ربما لهذا تهتم بها جلالته (مينرفا) بشكل خاص، ولكن لا يهم هذا الآن. هل ستنضم إلينا أم لا؟

قلب (خافير) غليونه وضرب به برفق على إحدى الصخور المجاورة ليفرغ محتواه الذي بات متفحماً: لنذهب.

زقزقت الطيور بشكل أغرب من المعتاد بينما قفزت بين أغصان الأشجار، تحوم في بقعة معينة من تلك الغابة الكثيفة، تحت تلك الطيور وقع عرش عظيم مكون من

فهم غير مدركين لمدى قدراتهم، ولا يستطيعون مساندته في سعيه، وكل ما بناه هو للجيل الجديد بدأ بالهلاك، أفرادهم متناثرون ما بين العوالم بينما وقف الخطر المطلق يسرح ويمرح ولا أحد يتمكن من إيقافه.

فالمغIRON غير مضطرين إلى التدخل من أمان شرنقتهم، أما المتأقلمون فلا خيار أمامهم إلا الخضوع أو الموت. وصناع السلام؟ على حافة الانقراض.

ولكن القدر قرر أن يضعه ما بين كفي أكثرهم تمرسًا، وأكثرهم إزعاجًا.

ذلك المؤرخ العجوز الذي رفض الإفصاح عن أي معلومة رغم إلحاح (خافير) المستمر له، فاشترط استقامة (رعد) وعودتها لرجليها أولاً، ولا يعلم (خافير) عن السبب وراء ذلك الطلب.

هل لأنها ابنة (كايلوما)؟ الروح المالكة التي سبق وأن قامت بحبس الرجال الأول؟

أم هل كان السبب يقبع وراء حاجتهم الماسة لرحالة من جميع الأنواع؟

ما الدور الذي ستمكن متأقلمة ما من لعبه في المخطط الأعظم للأمر؟

كان الموضوع يثوق (خافير) بشكل سيئ، وخاصة بسبب كون (رعد) خارج التغطية بشكل تام.

المزيد من الأغصان والحطب، تمقعدت فوقه فتاة صغيرة
بخصلات شقراء طويلة تنسدل من على كتفيها بنعومة.

رفعت الفتاة سبابتها ليهبط عليها أحد الطيور التي ظلت
تغرد بحماس، ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها بينما
ربت على رأسه تتمم اللحن الذي غناه.

ظلت مكانها على ذلك الحال حتى نادى عليها صوتٌ ما.

- «أماه.»

نادى صوت ألفتة هي لتلقي نظرها على فتى أسمر البشرة،
شعره يتشكل على جدائل تسبح على فروة رأسه.

ردت الملكة (مينرفا) بهدوئها المعتاد: ما الخطب يا بني؟

سأل (أديسا) بنبرة يكسوها القلق: ألا نهبط للقاء الحمراء؟
فقد أشغلت بالي مؤخرًا.

ترجلت الملكة (مينرفا) عن مقعدها لتهبط بقدمها الحافية
على العشب الذي كان ينمو تحت خطاها، وكأنما يحاول
عناق رجليها: هل أقض أمرها مضجعك؟

أوما (أديسا) برأسه موافقًا: هي ليست بخير.

همهمت (مينرفا): أنت محق، فقد بدأت الرؤى تحوم في
منامها، ولن يطول الأمر حتى تترابط الأمور في ذهنها، إذ
إنها قد بدأت بلوم أخي بالفعل.

ارتسم الاضطراب على معالمة: أهما على خلاف؟

أومات (ميرفا) برأسها موافقة قبل أن تستدير على كعبها لتشق طريقها إلى عرشها مجدداً: هما بالفعل، وما إن كانا سيصلان لحل ما هو أمر محير للجميع، حتى لي أنا.

سأل (أديسا) بحيرة من أمره: إذا؟

جلست الملكة (ميرفا) على عرشها مجدداً: حكماً بمعرفتي بأخي، سيصالحها، فهو رهيف المشاعر، أما إن كانت هي ستسامحه؟ فهذه قصة أخرى.

قال (أديسا) بانفعال: ولكنها يجب أن تفعل! كيف عسانا نتحد لنهزم الأول إن كان التفكك في صفوفنا؟

تنهدت (ميرفا) بصدر مثقل: يجب أن تفعل، لأن ارتباطهما قد يكون الشيء الوحيد القادر على إنقاذنا جميعاً من بطش الأول.

وقف الثلاثي مشدوهين قليلاً، ثقل الكلمات يعبث بموازينهم الشخصية وبوصلاتهم الأخلاقية، إلا أن ردهم كان فعلاً لا كلاماً.

فقام كلٌ منهم بأداء تحية عسكرية في مكانه لتأكيد موافقته، فهم جنود مدربون، خاضوا المعارك واختلط الشيب في مفارق رؤوسهم، الموت كان احتمالاً وارداً دائماً، وإذا ما لقوا حتفهم خلال محاولاتهم في أداء واجبهم فهم راضون بأمرهم. هز المؤرخ رأسه برضاً عما يرى: جيد جداً، لنبدأ إذاً بخلع محطماتكم.

عقد (خافير) حاجبيه إثر كلام المؤرخ، فهو لم يملك أي فكرة عن خطة المؤرخ الدراسية هذه، إلا أن هذه الجملة وحدها كانت قادرة على وضع جميع القطع في أماكنها. سأل (خافير): أنت لا تنوي...

رد المؤرخ بدون تردد: بلى، ولا فرصة لنا بغير ذلك.

تابع (خافير): هذا أمر محال ولم يرد نصٌّ على نجاحه قط، الرحالة لا تتغير رتبهم.

المؤرخ بصرامة: هناك طريقة واحدة لاكتشاف ذلك.

رمش (خافير) عدة مرات محاولاً ابتلاع كبريائه وآرائه الشخصية، رغم إدراكه أن المؤرخ أكثر علماً منه إلا أنه لم يستطع تقبل تلك الفكرة التي بدت في هذه المرحلة من الزمن عبارة عن مضيعة عظيمة للوقت.

عقبة

انتصبت أشعة الشمس بدفء صارم على أوراق الأشجار التي جعلت حداثها أكثر ليونة لمن وقعوا تحتها، ولم تكن الشمس وحدها من اكتسبت الصرامة، بل حتى وجه المؤرخ وهيئته العامة كانا أشد على الناس أمرًا من الأجرام السماوية.

وقف كلُّ من (رعد)، (شهاب)، و(أليكساندر) بعضهم بجانب بعض في صف أمام المؤرخ والمستشار اللذين كانا حادي الطباع في هذه النقطة من الزمن.

وكان ثلاثي الرحالة المتأقلمين في حيرة من أمرهم، لم يعلموا ما الذي يمكن توقعه من الكهل الواقف أمامهم، وكيف من الممكن أن يتم تدريبهم من قبله، فظلوا مكانهم متأهبين لأي حركة أو كلمة قد تأتيهم.

أخلى المؤرخ ما بحلقه بحممة قبل أن يتمسك بعكازه بكلتا يديه: تدرييكم لن يكون سهلاً، وبالأصح، فإن احتمالية نجاحه تعتمد على عوامل عديدة، وفي النهاية فهي مجرد نظريات والواقع قد يختلف تمامًا عما نأمله. ما ننوي على تحقيقه هنا قد يطول، وقد لا ينجو منكم أحد، فهي مخاطرة مجهولة المدى، فإن وافقتم مضيئنا في طريقنا، وإن وجدتم قيمة حيواتكم أغلى من هذه المراهنة، فلتسحبوا من الآن.

عقد (خافير) ذراعيه بعدم رضا: أضعنا ما يكفي من الوقت، علينا الحراك أو سنودع الدنيا كما نعرفها.

المؤرخ بدون أن يحيل بنظره للرجل حتى: أولم تضيع ابنه (كايلوما) ما يكفي من الوقت؟ لم تتذمر الآن؟ إن كنا سنحرك ساكنًا فلنقم بهمة بدلًا من الاعتماد على حيل قديمة.

تسمر (خافير) حيث وقف محققًا بمؤخرة عمامة المؤرخ، ولأول مرة منذ مدة، قرر الانسحاب رافعًا يديه للهواء: حسنًا، نلت مني هذه المرة يا عجوز، لتفعل ما أردت بهم إلا أنني أصر على إبقائهم أحياء على الأقل.

جدق الثلاثي به بخيبة أمل وكأنهم توقعوا صراعًا أكبر من ذلك أو شروطًا أكثر أمنًا ولكن لا مجال للجدال الآن.

رد المؤرخ: لا يمكنني وعدك بذلك لكنني سأحاول، ولكن إن أردتهم أحياء فقم بإرشادهم.

رد (خافير) بسخرية: حسنًا، فقط لأنك أصررت.

أمر المؤرخ: ما الذي تنتظرونه؟ هيا إذا.

بادر الجميع بتنفيذ أمره، أولهم (أليكساندر) خالعا خرصه، ومن ثم (شهاب) منتزعا قلادته، التفتت (رعد) إليهما وهمت باتباعهما.

تمسكت بخاتمها بشعور مريب، فهي لم تجرؤ على خلع محطمت عوالمها من قبل، لم تكن الفكرة حتى تخطر على

بالها، ولم تعلم ما الممكن توقعه من هذا التدريب إلا أنها كانت مستعدة للمخاطرة.

وبحركة خاطفة خلعت خاتمها من إصبعها، نظرت لأصبع سبابتها العاري وأخذت نفساً عميقاً متخلية عن مخاوفها، ونظرت إلى المؤرخ بانتظار أمرٍ آخر.

إلا أنه بعد لحظة سلامها هذه بدأ اندفاع عارم من الألم يضخ في جسدها وكأن النار تجري في مجرى دمها، بدأت بالعويل بحدة تؤذي الأذان، ووقعت على الأرض تحتضن رأسها بذراعيها بينما أكملت صياحاً.

انطلقت موجة من الطاقة من جسدها تسببت بهيجان الهواء من حولهم حتى بدأ البقية بتغطية وجوههم بأذرعهم في ذعر، إلا أن (شهاب) لم يطلِ البقاء على ذلك الحال وسارع بالاقتراب من جسدها مقاوماً صراخها ولكنه تفاجأ ممّا رأى، حيث إن العروق في جسدها بالكامل بدأت تضيء بضوء أبيض ساطع وكأن بدنّها كله سماء تحتضن أسواط الكهرباء.

ما أن رأى ذلك المنظر حتى أخذ يتفحص محيطاته باحثاً عن محطم عوالمها الذي دفعه الهواء مبتعداً عنها حتى أوقفه أحد جذوع الأشجار مكانه.

ما أن التقطت عيناه شعاع حجره الأبيض حتى قفز من مكانه بسرعة ملتقطاً إياه ليهرع إلى جانب (رعد) مجدداً،

تمسك بمعصمها وأطلق هسهسة متألّمة إثر ارتفاع درجة حرارتها ولكنه أكمل ما بدأه وأعاد محطّمها لسبابتها بصعوبة.

ما أن فعل حتى هدأ الهواء من حولهم، وبدأت حرارتها بالانخفاض تدريجيًّا، ظلت تصرخ إلا أن صيحاتها قلت حتى اختفت تمامًا.

كان صدرها يرتفع بحدة للأعلى والأسفل بينما أخذت أنفاسًا عميقة، الصدمة تعتلي معالمها بينما وضعت إحدى يديها على قلبها.

سأل (شهاب) بتلك النبرة الدافئة التي اعتادتها هي: هل أنت بخير؟

هزت (رعد) رأسها بالنفي.

حدق الجميع بهما بينما تبادل المؤرخ والمستشار نظرات تنم عن القلق الشديد، لم ينتظر (أليكساندر) وهرع لجانبها ليتفقد أحوالها هو الآخر.

سأل (أليكساندر) والهلع يمتطي جباله الصوتية: (رعد)! ما الذي حصل؟ هل أنت بخير؟

ابتلعت (رعد) ريقها بصعوبة: لا... لا أعلم.

طغى ظل عليهم إثر وقوف المؤرخ فوق رؤوسهم: ابنه (كايلوما)، هل سبق وأن خلعت محطّمك؟

هزت (رعد) رأسها بالنفي للمرة الثانية على التوالي.

ضيق المؤرخ عينيه متفكرًا قبل أن يقاطع المستشار جبل أفكاره: هناك خطب ما في ارتباطك بروحك المالكة.

توسعت حدقتا (رعد): ما الذي تعنيه؟

تنهد المؤرخ: إنه محق، إنها غير مؤهلة لخوض التدريب.

عارضت (رعد): ماذا؟ لماذا؟! ما خطبي؟

استدار المؤرخ معطيًا ظهره للثلاثي: يا لخيبة الظن، رغم أننا أطلنا الانتظار.

نادى (أليكساندر): مهلاً، هل ستتخلى عنها بهذه السهولة؟

رد المؤرخ بصرامة: نعم، لسنا بحاجة للمزيد من العوائق. نحن بطبيعة الحال في عدم أفضلية ضد الأول.

تجمد (أليكساندر) مكانه إثر كلامه ولم يجرؤ على الحديث بينما صمت (شهاب) محاولاً تفكيك الموقف بأكثر طريقة هادئة ممكنة.

اعترضت (رعد): مهلاً، مهلاً، فقط ما هو خطبي أنا؟ ما الذي حصل للتو؟

خيم الصمت على المكان بينما تأهب الجميع لسماع الإجابة من بين شفاه المؤرخ: لا أستطيع التيقن، لكن موازينك غير موزونة، والأهم غير ثابتة. الأغلب أن النسب المربوطة بكيانك غير مشابهة لأقرانك من المتأقلمين.

توسعت حدقتا (رعد): إذا؟

رد المؤرخ بصرامة: إنها أكثر من اللازم، فمحطتك يعمل
كوسيلة وصل بينك وبين أبيك الروحي، وبالعادة فهذا يعني بوابة
تتدفق فيها الطاقة من الروح المالكة في السماء العالية إلى
المتأقلم، وهي تعمل بالطريقة نفسها لك لكنها تشابه أكثر طريقًا
ذا اتجاهين، فترسل الطاقة الفائضة لتعود إلى السماء العالية،
فمحطم عوالمك يشابه منظمًا طاقيًا أكثر من وسيلة وصل.

عقد (خافير) حاجبيه: أنت تعني أنها تولد طاقة ذاتيًا؟

شرح المؤرخ: جميع المتأقلمين يولدون طاقة نسبيًا، إلا أنها
تكون بكميات بسيطة ومعظم التدفق الطاقي يأتي من الأرواح
المالكة المسؤولة عن كلٍّ منهم، وأما بالنسبة للأنسة هنا،
فإنها تولد طاقة أكثر من اللازم.

ارتسم القلق على معالم (شهاب): ... أتعني؟

أوما المؤرخ برأسه: إن خلعت محطتها فستوافيها المنية.

سقط الصمت بوقعٍ ثقيل كفأس على كومة من الحطب،
قاطع ومثير للرغبة.

أكمل المؤرخ، غير آبه بحساسية الموقف: جسدك غير قادر
على تحمل هذه المستويات من الطاقة، مما يعني أنك غير مؤهلة
لهذا التدريب، فموتك هنا ليس احتمالًا، بل قدر محتوم.

توقفت (رعد) عن التنفس للحظة ورمت برأسها للجاذبية
الأرضية لتفعل به ما أرادت.

تمسك (شهاب) بكتفها ونادى بنبرته الدافئة والدائمة
القلق: (رعد)...

إلا أن (رعد) رفعت كف يدها باتجاهه: ... لا بأس، أنا
فقط أحتاج بعض الوقت للاستيعاب.

تذمر (أليكساندر): لا أريد خوض التدريب إن لم تكن
(رعد) جزءاً منه.

دفعت (رعد) رأسه موبخة: بل ستفعل، وستتدرب، حتى
تصل إلى هدفك الموعود. أنت و(شهاب) أملنا الوحيد الآن
يا (أليكس). لا وقت للمشاعر والأحاسيس والاندفاعات التي
سندفع ثمنها بالحيوات.

حذق بها (أليكساندر): ... حسناً، حسناً، لا داعي لكل هذا.

عادت (رعد) لتوازن على رجليها وتنفض الغبار من على
ثيابها: حسناً، لن أضيع وقتكم أكثر مما فعلت بالفعل.
لتهموا بتدريبكم، الأكوان تعتمد عليكم.

همت (رعد) بالرحيل ليضع (خافير) يده على كتفها
مطمئناً: لا بأس يا (رعد)، هذه المعركة ليس معركتك، ولكن
عندما يحين الوقت فجميعنا سنقوم بخوض الحرب معاً.

ارتسمت ابتسامة ضعيفة على شفتي (رعد): معاً بالسيف،
ومعاً بالموت.

كان آخر ما تفوهت به قبل أن تغادر المكان تحت نظرات
مُشربة بالقلق.

بدأت الشمس تتنفس آخر أنفاسها، مُسلطة حبالاً عريضة
من الدفء المتلاشي تدريجيًا على أراضي مملكة (سيفاندك)
المسالمة بينما كان الملك (ماتع) يحاول الهرب من أفكاره
وبالأصح إعادة تنظيمها.

فهو ملك ولكنه لا يملك شيئًا، على الأقل ليس الآن.

لا يستطيع العودة لمملكته وشعبه، ولا يملك القوة الكافية
لتغيير موازين الكون، ولو كان رحالاً ملعونًا كما كتب القدر
لبعض جنوده لكان سبق وأن سار عائداً لأرضه واستعادها،
أو مات محاولاً على الأقل.

ولكن القدر كتب له أن يكون بشريًا عاديًا، بدون أي
قدرات خارقة، أو قوة جبرية، فقط أفضلية سياسية كانت
لا تخدمه شيئًا الآن.

كان يمشي ذهابًا وإيابًا في أروقة القصر الخاص بمستضيفه
الذي كان يهتم ببعض الأمور بالخارج، وإن كان لا يزال داخل
جدران منزله فلم يكن سيتركه الملك (ماتع) وحده تحت
ضغط هذه الهواجس الطاحنة.

طقطق بلسانه بعدم رضا وقرر تنفس بعض الهواء الطلق
على مضض، فاقتلع عباءة عشوائية من على أحد الرفوف

بجانب المدخل وهم بالخروج ليرمي بدفتي الباب ويفتحه
على مصراعيه لتقابل عيناه جسداً هامداً مستلقياً على عتبات
المدخل الحجري.

وقف الملك مكانه مشدوهاً ليمعن النظر في (رعد) التي
تمددت مكانها تنظر للسماء، حتى غزا رأس مليكها مجال نظرها.
لم تهمل بالحراك عندما حيته ببرود: أهلاً.

سئل الملك (ماتع) مستغرباً: عجباً! أليس من المفترض أنك
تقومين بشحن مهاراتك تحت أعين ذلك الكهل والمستشار؟
هربت ضحكة ساخرة من شفيتها قبل أن تتحدث: حسناً،
هي قصة مضحكة فعلاً، لكنني لست مؤهلة لخوض الأمر
مع البقية.

توسعت حدقتا الملك (ماتع): ماذا؟! كيف يكون ذلك
بعد انتظار المؤرخ لك لكل هذا الوقت؟

همهمت (رعد): أرجوك، جلالتك. لا تشعرني بالذنب أكثر
مما أفعل بالفعل.

تنهد الملك (ماتع): لا إجلال لملك لا يملك شيئاً،
أخبرني بما حصل.

وضعت (رعد) كف يدها على جبينها: ... لا أعلم، فهناك
خطبٌ ما في ارتباطي بروحي المالكة، وفي محطم عوالمي.
جميع المتأقلمين يفقدون قدراتهم عندما يخلعون محطماتهم
إلا أنا، إن تجردت منه أفقد حياتي.

واسلكي الوديان، واعبري الصحاري، ومهدي مسارًا جديدًا
لا يستطيعه أحد إلا أنت. انهضي يا بنيتي فإن الحياة لا تنتظر
ولا تفرق بين شاب وكهل، فهي تسحق وتمحق ضعيف
الإرادة، ولا تمجد إلا العظيم الذي ظفر وانتصر.

سألت (رعد) بفضول: وكيف ينجو بقية الناس؟

أجاب الملك (ماتع): من لم يحالفه الحظ ولم يتسم له
القدر من الناس، فهو لاء من نشد عودنا لنحميهم، هذا
واجبنا الذي كرسنا أنفسنا من أجله، فما نفع القوة إن لم
يملك المرء شيئًا لحمايته؟

صمتت (رعد) لوهلة، وكأنها تحاول تشرب تلك الكلمات الثقيلة.

سأل الملك (ماتع): وأنت، ألا تملكين ما تريدين حمايته؟

ردت (رعد) بنبرة ضعيفة: بلى.

حذق الملك (ماتع) في جنديته قبل أن يتحدث: عليك أن
تعودي للحياة مجددًا، فالعقبة لا تعني انقطاع الطريق، والفقدان
لا يعني خسارة تامة. انهضي ودعينا نحرك أقدامنا قليلًا.

رمشت (رعد) عدة مرات: إلى أين؟

رد الملك (ماتع): حيث تأخذنا أرجلنا.

عارضت (رعد): لا أستطيع التجول في القرية...

سأل الملك (ماتع): عجبًا، ولم يكن ذلك؟



ترددت (رعد) في الإجابة ولكنها أبقتها مبهمة: لا يمكنهم أن يروا وجهي هناك مرة أخرى.

لم يحتاج الملك لأكثر من ذلك ليتزع العباءة التي ارتداها ويلقي بها فوق رأس (رعد) التي جلست مكانها مشدودة الوجه، إلا أنها ارتدتها على مضض وتبعت مليكها.

شق الاثنان طريقهما نحو القرية التي لم تعلم (رعد) عن أحوالها منذ وفاة والديها، كانت رجلاها واهنتين، أنفاسها أثقل من العادة، ودقات قلبها متسارعة وشديدة كطبول جامحة.

ذكرياتها هنا كانت مضمحلة ولكنها لا تزال تُخلف طعمًا مرًا في الفم، كالحديد الصديء، أما الرؤية فكانت مشوبة بلون قرمزي عارم، وما يهز الأذان كان زئير السماوات وصرخات الضحايا.

جرت القشعريرة خلال عمودها الفقري إثر تلك الذكريات، إلا أنها لم تندم، فهي إن عاشت الأمر مجددًا فستفعلها مرة أخرى.

إلا أن ذلك الجانب منها كان في بعض الأحيان يبدو كوحش هائج يحتاج الترويض، وهي لم تعتد خروجها عن طورها.

هي فقط خشيت أوجه الناس ونظراتهم الفاضحة، خشيت تجمع الأنفاس من حولها، خشيت الأصابع المتهمة، والتعابير المتجهمة.

عقد الملك (ماتع) حاجبيه بتفكير: وكيف يعقل ذلك؟

همهمت (رعد): موازيني غير موزونة، لا بد أنها سخرية
القدر مني لما قلته للسلطان (زين) في إدارة سلطنته.

سأل الملك (ماتع): ولكنك لا تزالين أنت أليس كذلك؟

ارتسم عدم الفهم على معالمها: ماذا تعني؟

قال الملك (ماتع): أعني أنك لا تزالين (رعد)، إحدى
جنود قواتي الخاصة، أليس كذلك؟

(رعد):... بلى، ما الذي ترمي إليه؟

رد الملك (ماتع): إذا لم ينقصك شيء.

ارتفع جذع (رعد) من على الأرض لتجلس وتنظر
لمليكهة: ولكنني لا أستطيع اكتساب شيء أيضاً، أنا كما أنا،
ما الفائدة إذا؟

أطلق الملك (ماتع) نفساً لم يدرك أنه يحبسه: يا بنيتي،
تحت ظل ظروفنا هذه، ففي عدم الخسارة مكسب أيضاً.

صمتت (رعد) للحظة قبل أن ترد: ولكن ذلك يعني أنني
عالقة مكاني! طريقي مسدود!

سأل الملك (ماتع): وهل للحياة طريق واحد؟ فلا أنتِ
تمشين بخطاي ولا أنا بخطاك، وذلك ينطبق على كل فرد
وآخر. فإن أردت الوصول ولم تجدي الطريق، فهناك طريق
آخر، وإن لم يكن، فهشمي الجدران، واحفري الأرضي،

فهي غير مرحب بها هنا، سواء من القرويين أو من السلطات، ولم ترغب بالتورط والتوغل في المتاعب التي ستؤثر سلبًا في ناسها، فهي لم تعد بمفردها كما كانت سابقًا، وأفعالها الآن ترتد عليها وعلى من معها.

مشى وراء مليكها بينما حاولت أخذ أنفاس عميقة لتهدئة نفسها، بينما قادها هو بصمت، وكأنه هائم في أفكاره الخاصة، فقط يحذرهما من غصن قد يعرقلها، أو حجر قد يعثرها.

بدأت أصوات الناس تعلو تارة وتارة، حتى كشفت ستائر الأشجار من حولهم عن تلك القرية المتواضعة التي ألفتها (رعد)، وقفت مكانها متبسة بأعين متعلقة في تلك التفاصيل التي ظنت أنها لن تراها مجددًا في حياتها.

لاحظ الملك شرودها ولكنه لم يرغب بفتح جروح قديمة، فدعاها للتقدم معه بدون التعليق على شيء آخر، ففعلت.

مشى اثناهما خلال الطرق البسيطة التي حفتها منازل لطيفة ومتواضعة، كانت القرية صغيرة ولم تكن مدة طويلة حتى وجدت (رعد) نفسها تسلك طريق العودة للبيت.

اتبعها الملك (ماتع) بصمت تام، وكأنه ينتظر جميع قطع الأحجية لتقع في أماكنها.

مشى اثناهما حتى وصلا إلى المخبز، كان كما تذكرته (رعد) بالضبط، لم تتغير فيه أنملة وظنت في قرارة نفسها أن الفضل يعود لـ (قمر) والسيد (فياض).

حاولت (رعد) فتح الباب إلا أنه كان موصداً، لا شك بأن (قمر) تثبتت من ذلك الأمر حتى لا يعيث أحدٌ ما بمنزلها، إلا أنه بسبب تدريبها المستمر الذي طال حتى ساعات متأخرة في الماضي، فهي كانت تعلم بأن بإمكانها الولوج إلى الداخل من خلال النافذة الجانبية عندما تتسلل إلى داخل وخارج المنزل.

طلبت (رعد) من مليكها الانتظار الذي وافق على مضض بينما قامت هي بما عزمت على فعله وتملصت بين الجدران خلال ممر رفيع حتى وجدت نافذتها المعهودة وكانت كما عهدتها، مدخلاً.

انحنت وتسللت من خلال النافذة لتقف على رجليها وتفحص محيطاتها، ولأول مرة منذ مدة طويلة، أحست بشعور غريب لم تعلم عن كيفية تصنيفه، شعور حلو ومر في الوقت ذاته، كان قلبها فارغاً كذلك المنزل، إلا أن عبر السجائر كان لا يزال متمسكاً بالخشب من حولها.

كانت بقع الدماء قد اختفت وتم مسحها تماماً، جميع الأثاث في مكانه، كأن شيئاً لم يكن.

ظهر شبح ابتسامة على زاوية فمها، كادت من التهاث أن تنسى فتح باب المدخل ودعوة مليكها للداخل، ولكنها سرعان ما تداركت نفسها وخطت حتى وصلت للباب الذي فصل ما بين المطبخ والمنزل لتدير مقبض الباب وتلتفت عيناها برفوف المخبوزات الفارغة.

توجهت للمدخل الرئيس ثم نظرت للمنضدة على يمينها
لترى مفتاحاً قامت بحشره في القفل لينزلق المزلاج وتكشف
عن مليكها الذي وقف مكانه متفحصاً داخلية المكان.

دعت (رعد) الملك للداخل بخجل من سوء ضيافتها:
تفضل للداخل جلالتك.

أوماً الملك (ماتع) برأسه ولبى دعوتها متابعاً تفحصه:
مخبز إذاً، هل كان ذلك ممارسة والديك؟

أومات (رعد) برأسها موافقة.

سأل الملك (ماتع): ولم قررت ترك كل هذا وراءك
والانضمام للقوات العسكرية؟

تأملت (رعد) الألواح الخشبية تحت رجليها: لم يكن
الأمر اختياراً، جلالتك.

رأى الملك تردد (رعد) في إجاباتها إلا أن الفضول تمكن
منه: وما الذي أجبرك على المضي في طريق موحش وغارق
في الدماء كهذا؟

ارتسم الحزن على أعينها إلا أن شفيتها ارتسمتا بابتسامة
ساخرة كعادتها: هذا الطريق هو المرسوم أمامي، وإن صح
التعبير فأنا أعتقد أن سفك الدماء أمر يتبعني ولا أتبعه.

تنهد الملك (ماتع): كما هو حالكم دائماً أنتم الرحالة.

هزت (رعد) كتفيها: يمكنك قول ذلك.

عقد الملك (ماتع) حاجبيه الكثيفين عابسًا: يحزنني أمركم دائماً، لم أعلم رحالاً قد عاش بسلام قط، وكأن العالم يريد تدميركم أنتم بالذات. هل يقسو عليكم القدر؟ هل هذه إحدى العواقب الوخيمة التي تأتي مع تلك القوة الهائلة؟

رمشت (رعد) عدة مرات ثم حاولت شرح الأمر له ولنفسها في آن واحد: تقول ذلك، ولكننا هنا لنحمل عبئاً ثقيلاً، عبء الأكوان كلها يضغط على ظهورنا ونحاول المضي بحيواتنا. هذا ما رسمه لنا القدر، فهو يختارنا أبطالاً مبجلين لأرواح مالكة لا نعلم عنهم شيئاً، ومن ثم يعصف بنا في العوالم ونجبر نحن على التعايش مع الأمر بلا حول ولا قوة. حال المتأقلمين أفضح من أي تصنيف آخر، فالبقية يحتفظون بكبرياتهم على الأقل، فهم يختارون محل ترحالهم، أما نحن؟ فلا نقوى إلا على العيش.

لم تعلم كيف، ولكن بدا وكأن عبوس الملك أصبح أكثر عمقاً وأكثر همّاً مع كل كلمة نطقها، رفع أصبعيه قارصاً جسر أنفه: يوماً ما، ستجدون سلامكم، وإن لم تستطيعوا الهرب من قدركم هذا فاستشعروا كل شيء، كل كون، وكل إحساس، كل شخص، ولتجعلوا بقاءكم في كل بقعة ذكرى ما.

نظرت إليه (رعد) في أسى لحاله ولكنها حاولت الابتسام: نعم، هذا ما أحاول فعله، فلا أحد يستطيع هزيمة تيار الحياة، فما فائدة المقاومة؟ هذا هو الواقع، كل ما علينا هو الانغمار به بقدر المستطاع.

همهم الملك (ماتع) وأحال بنظره للمدخل: إذا ما دمننا
هنا، لنذهب لصنع الذكريات.



أشعت المصاييح التي أنارت الشوارع بوهج خافت يلقي
نفسه بخفة على مداخل الدكاكين ومناضد البيع التي تنوعت
منتجاتها ما بين المجوهرات، حتى التحف اليدوية، بينما كاد
أن يختفي بائعو الخضروات وحل مكانهم بائعو الحلوى
والأطعمة التقليدية المختلفة.

وقف (مالين) في ساحة السوق التي رغم تواضعها كانت
دافئة وخلابة بسحرها الخاص، كان بالأخص معجباً بالباعة
الذين اختلفوا في أشكالهم وهندامهم بشكل واضح، وكأن
تلك القرية كانت قدراً تختلط فيه حضارات عدة. كان
المحليون ودودين جداً ولا تفارق البسمة محياهم، كثيري
الحديث وعفويتهم تغلب على مزحاتهم.

كان (مالين) يرتدي عباءة جلدية فضفاضة تضيع تفاصيل جسده
وما فقدته منه بينما وقف منتظراً عند ما بدا كورشة عمل حدادٍ ما.
لم يعلم ما كان يفعله هنا، هو فقط كان يرافق قائده (بيلور) خلال
تجوله في السوق، وعندما وصلا لمدخل الورشة أمره قائده
بالانتظار خارجاً لسبب ما، ولكنه نفذ أمره ووقف متراخياً بالخارج.

لم تكن لحظات حتى تعالى صرير الباب الخشبي، متبوعاً
بأصوات خطوات ثقيلة على العتبات الحجرية بينما ودع القائد

(بيلور) من كان يعمل بالداخل ليقف أمام جنديه (مالين) الذي استقام في وقفته فوراً.

أمسك (بيلور) بسيفين، أحدهما ميزه (مالين) على الفور، وهو نصل (رعد) الوفي الذي لا يفارق خصرها، أما الآخر فهو سيف جديد مخفى داخل غمده.

وقف القائد (بيلور) أمام جنديه ممسكاً بالسيف الثاني وواضعاً إياه أمام أنظاره.
أمره (بيلور): خذه.

عقد (مالين) حاجبيه: ما هذا، سيدي؟

أجاب (بيلور) بسؤال: عجباً، أنسيت ما يبدو عليه السلاح؟

هز (مالين) رأسه نفياً: بالطبع لا، ولكن ما عساني أفعل به؟

رفع القائد (بيلور) حاجبه: لتجربه وتر ما تصنع به.

حدق (مالين) في قائده بضياع تام، ولكن ككل جندي، لم ينطق بكلمة أكثر مما فعل بالفعل، وهم بتنفيذ أمره. مد (مالين) ذراعه الوحيدة وتمسك بمقبض السيف الذي بدا مألوفاً في هيئته كسيف (رعد) الدمشقي، مخرجاً إياه من غمده الذي تمسك به (بيلور).

توسعت حدقتا (مالين) إثر خفة وزنه وأخذ يلوح به في الهواء بإعجاب تام من وزنيته المتناغمة، فكانت تلك تركيبة فريدة من نوعها وصعبة التحقيق كما تذكر هو.

لاحظ (بيلور) تلك النظرات وأضاف: كان اقتناء سلاح في مملكة يعمها السلام أمرًا صعبًا، ولكنني استطعت أخيرًا إيجاد حداد ماهر قام باستعارة سيف (رعد) لاستعماله كمرجع، فخفة وزنه مناسبة لوضعك الحالي، بالإضافة إلى أنني أعلم كم يعتز أهل (ديرينشيا) بسيوفهم.

نظر (مالين) إلى قائده بأعين مغدقة، يكاد لا يعلم ما يفعل بنفسه.

كان صدره بالكاد يحتضن قلبه الذي زاد دفئًا مع كل لحظة مارة، فلم يقدّم أحد قط بإهدائه أي شيء كان.

لاحظ القائد (بيلور) ذلك الأمر، وهو من كان جافًا، فظًا في العادة، لم يعلم كيف يتعامل مع تلك المشاعر هو الآخر: لا تنظر إلي هكذا، إنه سلاح لخدمة الوطن والقضية، عندما نعود للكون السابع، وهذا أمر وشيك، فأنت ستكون بالحاجة إليه.

لوح (مالين) بالسيف ليواجه نصله الأرض ويضعه هو بين ثيابه وحزامه الجلدي، ففهم (بيلور) أنه ليس بحاجة للغمد لأنه سيعطله فحسب.

تقدم (مالين) من قائده: اعذرني على ما أنا فاعل.

لم يتمكن القائد (بيلور) من الاعتراض عندما قبض عليه (مالين) في عناق عاصر للأبدان، لم يكن معتادًا على شيء كهذا إلا أنه بدأ يتأفف عندما بدأ الأكسجين ينقطع عنه، فقام (مالين) بإطلاق سراحه.

«ما الذي تفعلانه هنا؟»

صدى صوت مألوف على مسامعهما، التفت الاثنان ليقع نظرهما على (رعد) التي وقفت بجانب الملك (ماتع) بينما كان كلاهما يحمل حلوى مكرملة ويرتديان أطواقاً محوكة من الورد على رؤوسهما، يدوان كسائحين يتمتعان بخيرات مملكة (سيفاندك).

صمت كلٌّ من (بيلور) و(مالين) عندما رأياهما بذلك المنظر للحظات طالت أكثر من اللزوم، في حيرة من كل ما يجري، حتى قام الملك (ماتع) بسؤالهما ببرود تام: ما خطبكما؟

صاح (مالين) بضيق: ما الذي تفعلانه أنتما؟ تبدوان كسياح!

ردت (رعد) بدون تردد: أنتم سياح، أما أنا فممن أهل القرية وكنت آخذ الملك (ماتع) في جولة فحسب.

أخذ الملك (ماتع) قضمة مقرمشة من الحلوى بيده بينما أوماً برأسه موافقاً ليخيم الصمت على المكان، إلا أنه سرعان ما أدرك (بيلور) أن التدريب الخاص سبق أن بدأ ورغم ذلك، فإن الرحالة المنتظرة كانت تجوب السوق في رحلة تجوال مع مليكها، إلا أنه لم يعلم كيف آلت الأمور لهذا الوضع ولم يعلم كيف يسأل.

تنهد القائد (بيلور) ولكنه استسلم: على أي حال، لقد أتيت في الوقت المناسب، فلقد انتهى الحداد من نصلك.

توسعت حدقتا (رعد) بحماس: إذاً لقد استلمت هديتك يا (مالين)؟

أوماً (مالين) برأسه موافقاً وقام بإزاحة عباءته ليريهما النصل الذي تدلى من خصره وسط تأوهات (رعد) والملك

بعد كل هذه المدة مع (فياض) فهو لن يقوم بإخباري
عن سوابقك؟

حدقت (رعد) به وأحالت بنظرها للأرض تحتها، إلا أن
(مالين) لم يكن قد أشبع فضوله بعد، فهو الوحيد الذي لم
يعلم عمّا وقع في هذه القرية.

أصر (مالين): أتركوني على عماي؟ أخبروني بما حصل!

تنهد القائد (بيلور): اطلب من الحمراء أن تخبرك.

رد الملك (ماتع) بدون تردد: أقامت (رعد) مجزرة بالقرية
بعد ما قام الجيش الملكي بقتل والديها بحثاً عنها، فأبادت
جميع القوات التي تسببت بالأمر وفرت من المشهد.

توسعت حدقتا (مالين) ونظر لـ (رعد) في ذعر: هل هذا صحيح؟
عقدت (رعد) ذراعيها وأجابت بصرامة: وسأفعلها مجدداً
إن عاد بي الزمن.

لوح (مالين) بكف يده ناقياً اعتقادها: أنا لا أتحدث عن
ذلك، ولكن إبادة ذلك العدد من الجنود وحدك؟ لا شك،
أنت فعلاً قوة لا يستهان بها.

رفعت (رعد) حاجبها: أنت... لست خائفاً؟

همهم (مالين): خائف؟ قد أكون كذلك لو كنت في
الجهة المقابلة من القتال، أما أولئك القتلة فقد لقوا
ما يستحقون.

(ماتع) المليئة بالإعجاب إثر تلك الحرفية المتقنة التي ظهرت على تفاصيل السيف.

قال الملك (ماتع) بدون أن يحيل بنظره عن النصل:
سلاح مميز فعلاً.

أومات (رعد) برأسها بلهفة مبينة موافقتها لرأي ملكها.

مد (بيلور) سيف (رعد) لها: يسرني أنه لقي إعجابكم.

تناولت (رعد) سلاحها لتعلقه في وسطها قبل أن تخبئه بعباءتها: لكن احرص على إخفاء سلاحك دائماً يا (مالين)، فحمل السلاح هنا يثير الشكوك بشكل مفرط، ونحن لسنا بحاجة للمزيد من المشكلات، فوجودي هنا فحسب أمر غير مرحب به.

قاطع القائد (بيلور) بدون تردد: كانت أنت إذاً، الملقبة بالحمراء؟

تبيست (رعد) مكانها ولكنها موهت بسخرية: ولم نقوم بإعادة فتح جروح قديمة يا قائد (بيلور)؟ فلتستر على ما واجهت.

صمت الجميع بينما تعلقت أنظارهم بها، إلا أن الأمر لم يدم طويلاً.

صرح الملك (ماتع): لا بأس، جميعنا نفقد أعصابنا بعض الأحيان، والانتقام لوالديك يبدو كحجة مناسبة.

التفتت (رعد) إلى ملكها بتعجب من معرفته بالأمر، فنظر الملك (ماتع) إلى جنديته وهز كتفيه بعدم مبالاة: أتظنين أنني

حدقت (رعد) به للحظة قبل أن تحاول التكتّم على
ضحكاتها: أنت محق، لا أعلم لم لم أدرك الأمر من قبل،
فالجنود يمتلكون وجهة نظر مختلفة عن بقية الناس.

كان الهواء باردًا ومكتومًا داخل قاعة الاجتماعات حيث
جلس ذلك الرجل العجوز المتلحف باللون الأبيض، كان
يتدثر بطبقات عديدة إلا أن البرد كان قارسًا وشديدًا منذ أن
عاد ذلك «الشيء» للوجود.

كانت عيناه المتجعدتان تتفقدان خريطة وقعت على
الطاولة أمامه بحرص شديد، رغم أنه سبق وأن حفظ جميع
تفاصيلها إلا أنه بدا وكأنه يراجع خطواته مرارًا وتكرارًا
في رأسه.

«ما زلت متجمدًا مكانك أيها الكاهن الأعظم؟»

قال صوت رجولي ومتهكم ليقاطع حبل أفكاره.

أحال الكاهن بنظره من على المخطوطة أمامه ليلقي به
على تلك الأعين المفزعة التي تلونت بلون الدم المتخثر.

تنهد العجوز وسأل: ما الأمر الآن يا (إيكول)؟

خطأ (إيكول) بخطوات متعجرفة حتى اقترب منه واتكأ
على الطاولة أمامه عاقدا ذراعيه: الأسلحة التي وعدتني
بها لا تكفي.

حذق العجوز باتجاهه متجهماً: إنها جل ما نجا
من الأوعية.

همهم (إيكول) بابتسامة مأكرة متمركزة على شفتيه: ولكننا
نحتاج إلى عدد أكبر من ذلك، إن أردنا أن نتمكن من الوفاء
باتفاقيتنا بالطبع.

قال العجوز ناهياً: وما عساني أفعل؟ أصبحت (ريليجو)
بالكامل دولة أشباح، لم يعد هناك أوعية تقوم بالغرض الآن.

ارتسمت ابتسامة تكاد تنقط خبثاً على محيا (إيكول):
ومن منعك من التوسع للدول المجاورة؟

حذق الكاهن في (إيكول) بفزع: ... لم يكن هذا اتفاقنا.

نهض (إيكول) من مكانه وأدار ظهره للعجوز: اتفاقنا ينص
على أنك تقوم بتسليمي أسلحة ما دمت أريدها، بالطبع
مقابل، أن تُرحم حياتك البائسة ودولتكم المثيرة للشفقة هذه.
جزئي من الصفقة سار، أما ما وفرته حتى الآن فلا يقارب
حتى العدد الذي أملته.

رد العجوز بانفعال: إن استمررنا على هذا الموال، فإن
الكثافة السكانية التابعة للكون برمته ستقوم بالهبوط بشكل
غير طبيعي، عندما ننتهي من أسلحتك فلن تجد حتى من
تصوبها تجاهه!

قال (إيكول) بينما ظل ظهره مواجهاً للعجوز: إذا؟

عقد الراهب حاجبيه: أتتوي تجنيد كون كامل من أجل
مطالبك الشخصية؟

استدار رأس (إيكول) ببطء ليحديق بالرجل من وراء كتفه
بعينين تبثان الرعب في الأبدان: أتعصي أوامر الأول؟

تحجر العجوز مكانه، وكأن الزمن توقف، إذ بدا وكأنه
توقف حتى هو عن التنفس.

لم يستطع هو فعل شيء ضد القوة المهيولة التي تكون
الأول، ولا وصيفه هذا الذي لم تجد الإنسانية مكاناً في
جسده، فهو في موقف لا يحسد عليه رغم حصانته المزعومة،
إلا أن عصيان الأوامر يدعو للموت مباشرة.

بدا لسانه جافاً، والكلمات لا تسعفه ولا تجد طريقها
إلى حنجرتيه، تيس مكانه بصمت تام وكأنه لم يقدر
على الحراك.

هز (إيكول) كتفيه بعدم مبالاة: نفذ ما أمرتك به وإلا
تدحرج رأسك مع بقية الشعب.

قال قبل أن يتبخر من المكان وكأنه لم يكن.

ربيع

مرت عدة أشهر على بداية تدريب المؤرخ لـ (شهاب) و(أليكساندر)، ورغم إقصاء (رعد) من ذلك الأمر، إلا أنها وجدت نفسها تمارس نوعاً آخر من التمارين لا يتسم بطابع جسدي.

الصبر.

فهي حتى الآن لم تسمع أي خبر من (نوروي)، وقد بدأت تعتقد أن بقاءه بعيداً عنها قد يكون بسبب عدم قدرته هو على العودة حتى إن أراد، بدأت تتساءل إن كانت قد أخطأت في كلمة تفوهت بها عندما أمرته، ومنعته بشكل لا تعلم عنه عن العودة بتاتاً، ولكنها نفضت تلك الفكرة من بالها، فهي أمرته بالمجيء فقط إن حال به الأمر إلى الاعتراف بجميع أفعاله الماضية، حتى يقص عليها جميع تلك التفاصيل، حتى تستحوذ هي على ولائه التام الذي لم يتم تدوينه كبند من بنود عقد الدم.

ولاء غير مشروط وغير مفروض، ميلان أعمى لمصلحتها هي، ولا لأحد آخر، كائناتاً ما كان.

كانت الشمس تلقي آخر أشعتها عندما أطلقت تنهيدة عالية بينما اعتدلت في وقفاتها، تعصر مقبض نصلها المعهود في أناملها.

نادى (مالين) من الجهة المقابلة، متمسكاً بسيفه هو الآخر: ما بك؟ هل بدأت الهواجس تغزو رأسك مرة أخرى؟

أمالت (رعد) رأسها بتفكير بينما وقفت في الباحة الخارجية لقصر السيد (فياض) مع (مالين)، فبينما كان الرحالة الآخرون برفقة المؤرخ والمستشار، قامت هي و(مالين) بالنزال باستخدام السلاح فقط حتى لا تصدأ مهارتهما مع أوضاعهم الراهنة، بالإضافة إلى أن كليهما لم يستطع الوقوف مكبل الأيدي، فكان عليهما فعل شيء ما، أي شيء، لإلهاء أنفسهما.

وكثيراً ما كانت (رعد) تسرح في أفكارها الخاصة، كان (مالين) يستطيع قراءة معالم وجهها عندما تفعل، فكانت تبدأ بالغمز بإحدى عينيها أكثر من اللازم.

اتكأت (رعد) بسيفها على كتفها: أنا فقط كنت أفكر.

سأل (مالين): إن كنت قسوت على (نوروي) بشكل أكثر مما ينبغي؟

قطبت (رعد) حاجبها باستغراب: قسوت؟ لا لم أفعل. أنا فقط أفكر ما إن كنت ارتكبت خطأ ما عندما أمرته بما فعلت. خطأ يمنعه من العودة حتى الآن، لكنني أظن أن أمري كان واضحاً.

حذق (مالين) بها للحظة قبل أن يتحدث: نعم، ما الذي كنت أفكر به؟ (رعد) الحمراء قاسية القلب إلا أنها عادلة في قسوتها.

وسعت حدقتها بقلق واضح، ورغم صعوبة الأمر إلا أنها حاولت التماسك في مكانها حتى لا يسقط هو أرضاً على الأقل.

ما نوع التدريب الذي يتم تحت أيدي المؤرخ والمستشار ليشتهى به الحال هكذا؟

قاطع صوت ارتطام عالٍ جبل أفكارها لتلتفت برأسها بسرعة لترى (أليكساندر) متمدداً على التراب و(مالين) محاولاً مساعدته إلا أن حركة الأخير كانت محدودة قليلاً، ولكنه احتضنه إلى صدره بذراعه المتبقية بكل ما أوتي من قوة ووقف سائداً إياه بينما بدا الشاب الأشقر غائبا عن الوعي.

بدأ صوت حفيف بالعلو مجدداً عندما شق المؤرخ والمستشار طريقهما خارجين من بين الأجمة ليقفا أمام ذلك المنظر بهدوء.

تذمر (خافير) موجهًا كلامه للعجوز بجانبه: أخبرتك، مبتغاك مستحيل.

أطلق المؤرخ تنهداً: لا نعلم ذلك بعد.

نظر (مالين) إليهما بمزيج من الحنق والتوجس من حديثهما وتصرفاتهما التي لم تتضمن أي نوع من أنواع التعاطف الإنساني، يتحدثان عن رغباتهما ومخططاتهما بدون أدنى اهتمام بحيوات الجنود.

(رعد) بتجهم: القسوة لازمة، فلا قوانين في الحرب.

أوماً (مالين) برأسه موافقاً: لا أستطيع مخالفتك الرأي
لسبيين، أولهما أنني جندي فلا علم لي بشيء إلا الحرب،
والثاني لأنني لا أريد خسارة يدي السليمة.

نخرت (رعد) ثم قهقهت قبل أن تشتمه ليبدأ هو بالضحك بدوره.
وبينما كانا على ذلك الحال بدأ صوت حفيف عالٍ
ومتقطع يعلو شيئاً فشيئاً، حتى ظهر (شهاب) و(أليكساندر)
من بين الأشجار المجاورة، الإرهاق واضح على أساريرهما،
العرق يتصبب من جبينيهما ويتشرب على شكل بقع بشابهما
بينما حاولا شق طريقهما عائدين إلى قصر السيد (فياض).

جرى كلٌّ من (مالين) و(رعد) باتجاههما فور ما رآيهما
بتلك الحالة السيئة.

وقفت (رعد) أمام (شهاب) الذي كان يتنفس بصعوبة: ما
الأمر؟ هل كان التمرين بهذه القسوة؟

كان (شهاب) يأخذ أنفاساً متهدجة ولكنه حاول السيطرة
على نفسه: لا تملكين أي فكرة، حتى أنني بدأت أحسدك.

حدقت (رعد) به بتوجس: عليك أن-

لم تستطع إكمال جملتها عندما هوى (شهاب) برأسه على
كتفها، متمسكاً بأذرعها بوهن، وقال بين نَفَسٍ وآخر:
اعذريني، لا أستطيع... لا أستطيع الوقوف.

ارتفع صدرها في نفس عميق أحست به بتخدر أطراف
(شهاب) عليها، كان قد فقد الوعي بينما كانت هي تحاول
بقدر المستطاع ألا توقعه من بين ذراعيها.

ورغم عدم قدرتها على الاحتجاج، إلا أن استيائها ظهر
في جفاف تعاملها عندما أمرت المستشار: اجعل نفسك
نافعًا إذا وقم بحمل (شهاب) عني، فإنني لا أقوى على
حملة بنفسي.

لاحظ (مالين) ذلك الأمر وتفقد معالم (رعد) ليرى مقدار
جديتها، إلا أن أعينها كانت تخبره بأنها لم تكن دعابة أبدًا.

ضيق المستشار عينيه إلا أن الابتسامة لم تفارق فمه: أنت
محقة، سأتحمل مسؤولية العناية بتلميذي شخصيًا إذا.

شق المستشار طريقه إليها ليقوم بلف ذراعه حول جذع
(شهاب) بحركة سريعة ويزيح ثقل جسده عنها بينما شكرها
بنبرة مرحة قبل أن يتوجه عائداً لمقرهم.

كانت أعين (رعد) ملتصقة بهما للحظة أو لحظتين قبل أن
تستدير إلى (مالين) وتسانده في حمل (أليكساندر)، وب نظرة
خاطفة لوجه (مالين)، وضغطه على فكه، علمت (رعد) بأن
ما رآه الجندي قد أخرجه عن طوره.

لذا رغم انفعالها هي، إلا أنها اتخذت نهجاً أكثر ليونة
وأخبرته بشرة أعلى من الهمس وأقل من الكلام المسموع:
هدئ من روعك، سيكون على ما يرام.

رمش (مالين) ليزوب الحنق من على معالمة، كأنه لم يدرك أنه يلبس تعاير كتلك، واكتفى بهز رأسه موافقاً كرد ليقوم كلاهما بحمل (أليكساندر) إلى القصر.

تلك الليلة قام (مالين) رغم صعوبة الأمر، بتصيين خصلات (أليكساندر) الشقراء وغسله، ثم دثره بقميص وبنطال واسعين، عندها فقط نادى على (رعد) التي كانت تقف خارج الباب ريثما انتهى، لتدخل هي وتسانده في حمل جسد (أليكساندر) إلى السرير.

سمعا عندها عدة طرقات على الباب ليُفتح على مصراعيه وتدخل (قمر) حاملة عدة ملاءات جديدة لتقوم بفردتها عليه.

قال (مالين) بحرج: (قمر)، شكرًا على المساعدة، ولكن كان بإمكانك إرسال أحد أفراد طاقم العمل.

هزت (قمر) رأسها نفيًا: أردت أن أساعد بنفسي، أم أن وجودي يزعجك يا حضرة الضابط؟

ظهر الارتباك على (مالين) بينما لوح بيده: لا، لا، أبدًا.

ارتسمت ابتسامة رضا على شفتي (رعد)، كانت مستمتعة برؤية ثمار عملها الدؤوب، لقد قطعت صديقتها شوطًا طويلًا منذ لقائهما لأول مرة، ولكن سرعان ما حدقت (قمر) بوجه (أليكساندر) المتعب الذي كان محل اهتمام (مالين) أيضًا.

يتحدثان عن أصدقائه كأدوات، جمادات، أو كما أخبره
قائده ذات يوم، كبيادق. إلا أنه لم يملك من العلم ما يكفي
ليتدخل، ولم يعلم ما إن كان بإمكانه التدخل في أمور الرحالة
وعلاقتهم بعضهم ببعض.

علم (مالين) بأنه لا ينتمي إلى هنا، ليس بين هؤلاء الرحالة،
ولا في هذا الكون، فهو كان مدرّكاً لما كان يشكّله من عائق،
وبحالاته الحالية فهو لم يكن حتى يلعب دوراً فعالاً كجندي
بسيط، فما دخله في كيفية إدارة هؤلاء المخلوقات لأموالهم؟

عض على لسانه بغصة في بطنه، في حيرة من أمره، فلم
يعلم إن كان عليه الالتزام بالصمت أو التجرؤ على الحديث.

إلا أن (رعد) كانت تسبقه بخطوة عندما سألت بنبرة
منفغلة: (خافير)! ظننت أن معاييرك كانت تحث على عدم
مفارقة أيٍّ منهما حياته؟

أحال (خافير) نظره إلى (رعد) ورد بتهكم: لا يزالان حيّين
يا (رعودة).

هكذا قالها بنغمة ساخرة في صوته، مما تسبب بتهيج
(رعد) أكثر.

إلا أنها كانت تعلم بأنها لا تملك أي حقّ كان في
الاعتراض، فكانوا يعلمون مسبقاً بما قد يدخل بهم خلال
هذه التجربة التي كانت لا تحمل أي دليل ملموس للنجاح
منذ وجود الرحالة.

سألت (قمر) بفضول: ما الذي يحاولان تحقيقه؟ المؤرخ
والمستشار؟

ربت (مالين) على رقبتـه: في الحقيقة، أنا لا أفقه شيئاً في
أمور الرحالة هذه، جل ما أريده هو بقاء أخي على قيد الحياة.

أحالت (قمر) نظرها إلى (رعد) التي كانت غارقة في
أضغاث أفكارها قبل أن توقظها منها: (رعد)، هل لديك أي
فكرة عما يجري؟

تنهدت (رعد) بينما ظهرت الحيرة على وجهها: ... لا أملك من
العلم ما يكفي لأفيدكما بشيء، ولكن بناءً على ما طرح أمامي،
فقد تكون محاولة لدفعهما لمستوى جديد، مرتبة جديدة.

رمش (مالين) عدة مرات: ... مما يعني؟ ماذا بالضبط؟

حاولت (رعد) الشرح: حسنًا، كما تعلمان فهناك ٣ أنواع
من الرحالة، المُغير، المتأقلم، وصانع السلام. مما أعلمه فإن
كل رحال يولد على وضعه ولا يمكن تغييره بتأنا. إلا أن
المؤرخ قد يمتلك من العلم ما قد يؤدي لنتيجة مغايرة، قد
يحاول تحفيزهما بطريقة ما لمستوى جديد.

قطبت (قمر) حاجبيها: وهل هذا الأمر وارد من الأصل؟

هزت (رعد) رأسها نفيًا: مما أعلم فهو أمر لم يحصل
قط، منذ أن تمكن الرحالة من التحكم بالوعي الجديد،
وفرص نجاحه معدومة تقريبًا.

أمال (مالين) رأسه متأملًا ملامح (أليكساندر) المرهقة:
يراهنون بحياتهم، من أجل هدف قد لا يمكنهم الوصول
إليه أبدًا؟

قطبت (رعد) حاجبيها بضيق: هذه هي طبيعة الحال
يا (مالين)، جميعنا جنود، هذه المخاطر التي نقوم
بتحملها دائمًا.

لم تفارق عينا (مالين) مكانهما عندما تحدث بنبرة
مهمومة: أعلم، أعلم يا (رعد). لكن كم من خسارة نقدر
على تحملها قبل أن نفقد كل شيء؟ ألم نخسر الكثير بالفعل؟
ألم تكف أراضينا وشعوبنا؟ يجب علينا خسارة إخوتنا أيضًا؟

لم تستطع (رعد) النظر إليه، لم تعلم ما كان بإمكانها
قوله، في الواقع كانت هي الأخرى متفهمة لوجهة نظره،
إلا أن قسوة الواقع لا تتسع لارتباطاتهم الأخوية.

ارتسمت ابتسامة متهمكة على وجه (رعد): هكذا هي
الأمر يا (مالين)، أليست هذه هي طبيعة الحرب؟ نحن فقط
لم نعتد على كوننا في الجانب الخاسر من المعركة.

عقدت (قمر) ذراعيها: لكنكم لم تخسروا بعد..

التفت كلُّ من الجنديين إليها بأوجه مشدوهة، ولم تعرهما
اهتمامًا بل أكملت في إيضاح نقطتها: أنتم لا تزالون في أوج
حربكم، فلما تطأ ثنان رأسيكما كأنكما خسرتما بالفعل؟ ما

زلتن تنوون على استعادة كونكم أليس كذلك؟ أم ما هدف
كل هذا التدريب؟

حقوق الجنديان بها بأوجه متصلة، لا يعلمان كيف كان
بإمكانهما الرد.

إلا أن (رعد) بدأت بالقهقهة، واضعة يدها على فمها بينما
شاهدها (مالين) بتعجب.

احمرت وجنتا (قمر): ما بك؟ هل هناك خطبٌ ما في
ما قلته؟!

هدأت ضحكات (رعد) ونظرت إلى صديقتها بابتسامة متموضعة
على شفيتها: أنا فقط ممتنة. شكرًا على وجودك معي هنا.
رمشت (قمر) عدة مرات: أنت حقًا غريبة أطوار.

التفتت (رعد) إلى (مالين): (قمر) محقة، إن نزلنا لأرض
المعركة بهذه العقلية فسوف نلقى حتفنا لا محالة. يجب علينا
أن نكون مستعدين لأسوأ الاحتمالات، ومع ذلك علينا أن
نأمل بأفضل النتائج. بغض النظر عما تحمله رياح الغد لنا،
علينا أن نتنسم التيار ونتجلد، فلا رحمة في الحرب.

أوما (مالين) برأسه: صدقت.

استأذنت (رعد) بعدها، ومن ثم (قمر)، ليلقى (مالين)
بجانب (أليكساندر) تلك الليلة.

اختلط الظلام الدامس بأوجاع الجسد وصداع فظيع مثل
إبر عديدة تُغرز في الجبين.

بالكاد استطاع (شهاب) تفريق جفنيه بعضهما عن بعض،
كان منهكًا وأخذ عدة لحظات حتى يدرك بيئته المحيطة.

كان هناك ضوء خافت صادر من مصباح زيت متكئ على
المنضدة المجاورة لفراشه، أدرك (شهاب) أنه في حجرته
وتنفس الصعداء، حتى تبع الشعاع الذي لامس وجتي (رعد)
برقة، كانت عاقدة ذراعيها ومتكئة بظهرها على كرسي يقع
في الجانب الآخر من الغرفة بأعين مغلقة، صدرها يعلو
وينخفض بوتيرة بطيئة، وضح أن النعاس تمكن منها.

هربت شهقة متفاجئة من شفاه (شهاب) ولكنه سرعان ما
وضع يده على فمه في محاولة لإسكات نفسه، وفي أمل أن
(رعد) لم تسمعه، ظل متخشبًا على هذا الوضع لعدة
لحظات حتى تحقق من أن (رعد) ما زالت غارقة في النوم.

تنفس الصعداء للمرة الثانية على التوالي، وشرع يحاول أن
يرفع جذعه من على الفراش إلا أن السرير أصدر صريرًا عاليًا
عندما تحرك، توسعت حدقاته وأحال بنظره إلى (رعد) فورًا
ليجدها تفرك النعاس عن عينيها بتأن قبل أن تقابله ببؤبؤيها
الداكنين، جفناها لا يزالان ناعسين.

همهمت (رعد): إذا استيقظت أخيرًا...

رمش (شهاب) عدة مرات: ... نعم، هل أطلت الغياب؟

تشاءبت (رعد) قبل أن تتحدث: ثلاثة أيام.

كاد (شهاب) يقفز من مكانه: ثلاثة أيام؟ كيف يكون ذلك؟

أمالت (رعد) رأسها: يكون ذلك عندما يقوم ذلك العجوز المتأفف بتدريبك ليلاً ونهاراً حتى يتداعى جسدك.

أحال (شهاب) بنظره وبدأ بتمرير أصابعه خلال شعره: ... لم أشعر بذلك الوقت أبداً.

(رعد) بتهكم: وكيف عساك تشعر وأنت غائب عن الوعي يا معتوه؟

أوماً (شهاب) برأسه موافقاً: وجهة نظر جيدة.

أكملت (رعد): على أي حال، قد أكون أنا وذاك العجوز على أراضٍ وعرة، فقد هددته في حال عدم استيقاظك أنت و(أليكساندر)، وقبل أن تعظني بأهمية إنقاذ العالم، فلا فائدة من بناء ما أنوي تدميره، فلا يكاد يوجد شيء في الكون السابع أنوي على حمايته.

سأل (شهاب) في عدم تصديق: ... كل هذا لأجلي؟

ردت (رعد) بجفاف: لأجلكما، أنت و(أليكساندر) شخصان مهمان لي.

تسمر (شهاب) مكانه، محاولاً استيعاب جميع ما قالته قبل أن يطلب منها فجأة: (رعد) تعالي إلى هنا.

عقدت (رعد) حاجبيها: ماذا بغيت؟

حَدَقَ فِيهَا (شَهَابٌ) وَلَوْحٌ بِيَدِهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا مُشِيرًا
لَهَا بِالْإِقْتِرَابِ.

ضَيِقتُ (رَعْدٌ) عَيْنَيْهَا بَعْدَ فَهْمٍ وَظَلَّتْ كَذَلِكَ لِلْحِظَّةِ أَوْ
لِحِظَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَذْعَنَ لِأَمْرِهِ وَتَأْخُذَ خُطَوَاتِ مَتَوَجِّسَةٍ حَتَّى
وَصَلَتْ لِحَافَةَ السَّرِيرِ، وَعِنْدَمَا فَعَلَتْ أَمْعَنَ (شَهَابٌ) النَّظَرَ
فِي مَعَالِمِهَا الْمَرَهْقَةِ مَتَأَمِّلًا لَعْدَةِ لِحْظَاتٍ.

قَالَ (شَهَابٌ) بِنَظَرَةٍ وَاثِقَةٍ: بِالْكَادِ اسْتَطَعْتَ النَّوْمَ إِذَا، هَلْ حَاوَلْتَ
الْبَقَاءَ مُسْتَيَقِظَةً طَوَالَ هَذَا الْوَقْتِ؟ لَا يَجِبُ عَلَيْكَ فَعْلُ ذَلِكَ. غَبَتْ
عَنْكَ بَضْعَةُ أَيَّامٍ وَأَسْتَيْقِظُ لِأَرَاكَ تَسْيِئِينَ الْإِعْتِنَاءَ بِنَفْسِكَ؟

رَمَشْتُ (رَعْدٌ) عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَقَالَتْ بِإِحْرَاجٍ: انصَرَفَ عَنِّي،
لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ انْتِظَارُكَ مِنَ الْأَصْلِ.

وَفَجْأَةً وَمِنْ دُونِ أَيِّ سَابِقٍ إِنْذَارٍ، ضَحِكَ (شَهَابٌ) بِصَوْتٍ
عَالٍ وَعَفْوِيٍّ، وَاسْتَمَرَ لَوْهَلَةً بَيْنَمَا وَقَفْتُ (رَعْدٌ) مَكَانَهَا
مُتَجَهِّمَةً، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ مُتَفَاجِئَةً مِنْ رَدَةِ الْفَعْلِ تِلْكَ، فَهِيَ لَمْ
تَسْبِقْ أَنْ تَرَى (شَهَابٌ) بِهَذِهِ الْحَالَةِ مِنْ قَبْلِ، يَتَصَرَّفُ كِإِنْسَانٍ
طَبِيعِيٍّ بَدُونِ أَنْ يَقُومَ بِحِسَابِ حِسَابَاتِهِ لِمَلَايِينِ الْمَرَّاتِ.

لَمْ يَكُنْ مُتَوَخِّيًا حَذَرَهُ أَوْ مُتَوَجِّسًا كِعَادَتِهِ، لَمْ يَكُنْ صَامِتًا يَحْلُلُ
كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَهُ، لَمْ تَكُنْ أَعْصَابُهُ مُشْدُودَةً أَوْ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

مَا تَمَوْضِعُ هُنَا كَانَ رَوْحًا نَضْرَةً فَحَسْبُ، كَيَانَ إِنْسَانِيٍّ
يَعَادِلُ فَصْلَ الرَّبِيعِ بِهَاءٍ، كُنَسَمَاتِ هَوَاءٍ تَحْمِلُ بَيْنَ طَيَّاتِهَا
زَخَاتٍ مِنْ عَبَقِ الْأَزْهَارِ الْمَوْسِمِيَّةِ، تَجْرِي لِتَدَاعِبَ خِصَلَاتِ
الْمَارَةِ بِمَرْحٍ وَأَرِيحِيَّةٍ.

في تلك اللحظة بدا وكأنه زهرة أينعت للتو، قامت بتلاتها بالانفراد لتكشف عن هيئتها الحقيقية بعد طول انتظار، بدا ولأول مرة أنه أصبح إنسانًا وليس محاربًا متزمتًا.

أحالت (رعد) بنظرها عنه لتحقق في الطلاء الذي اكتسح الجدار، قبل أن يمد يده ويتمسك بأعلى رأسها.

لم تسنح لها أي فرصة للتذمر قبل أن يقوم بمداعبة خصلات شعرها ممازحًا وبابتسامة دافئة متمركزة على شفثيه وبببرته المعهودة قال: شكرًا، أعني على بقائك بجانبني.

حدقت (رعد) في ذلك التعبير الذي لم تعهده أيضًا وأومات برأسها على مضض: لا شكر على واجب.

«(رعد)! (رعد)!»

صاح صوت مألوف وفزع بينما تعالت أصوات خطوات متعجلة ومضطربة من خارج الحجرة.

التفت كلٌّ من (رعد) و(شهاب) بفزع تجاه الباب الخشبي، معتدلين في هيئتهما استعدادًا للخبر الذي سيتجلى لهما.

فُتح الباب على مصراعيه ليدخل (مالين) ممتقع الوجه، وتكاد عيناه تقفز ان خارج رأسه، وبصوت متهدج أنزل لهما ما ضرب أبدانهما بقسوة فور سماعه: (أليكس)، (أليكساندر)... لقد قفز خلال نومه.

سايان

«لا، عليك التركيز في نقطة واحدة حتى تتمكن من إصابة هدفك!»
تعالى صوت (نوروي) الذي بدا يافعًا أكثر من العادة.

تفرقت أجفانها بعضها عن بعض ليقابلها نورٌ ساطع، وضعت
(رعد) يدها أمام عينيها في محاولة لحماية نفسها من ذلك الشعاع
قبل أن تخف حدته تدريجيًا ليسمح لها بتفحص محيطاتها.

كانت الأجرام السماوية الضخمة تحلق من حولها، بينما
وقفت هي على ما بدا كأرضية زجاجية، التفتت للأمام
مجددًا لترى تلك القبب الذهبية تزين الأفق.

لا بد أنها في إحدى ذكريات (نوروي) مجددًا.

«أعطه مساحته يا (سايان)، دعه يحاول مجددًا.»

علا صوت (تاشر)، الروح المألقة ذي الخصلات الثلجية.

وقفت (رعد) مكانها وتأملت ما تجلّى أمامها من أحداث
بصمت تام، هذه المرة بدون أي نوع من الانفعالات
الشخصية، حتى نادى (تاشر) لعتها باسم مخالف.

(سايان)؟ هذا ما ناداه.

إذا (نوروي) ليس حتى اسمه الحقيقي؟ ألا يوجد حد
لانعدام مصداقية هذه اللعنة الموبوءة؟

بدأت دماء (رعد) تغلي، لم تعد تعلم كيف كان بإمكانها
تقبل وجوده بجوارها بعد كل هذا، ولم تع الأسباب القابعة
وراء رفضه التام للحديث عن نفسه ما دامت هذه الذكريات
ستفرض نفسها عليها على أي حال.

إذا هو لا يرغب بالحديث إلا إذا كان مرغماً؟ ما هو الهدف
من كل هذا؟

وبينما كانت (رعد) تجوب في أفكارها رفع الأول ذراعه
للهواء، مصوباً إياها تجاه تفاحة حمراء تم وضعها فوق رأس
(مينرفا) اللامبالي على مسافة يسيرة منهما.

تشكل وميض من الضوء أمامه عندما تجمد الهواء ليشكل
سيخاً جليدياً كان مألوفاً أكثر من اللازم، ليندفع بسرعة
خاطفة مخترقاً تلك الفاكهة.

تخشبت (رعد) مكانها عند رؤيتها لذلك المنظر المفزع،
لم تكن الذكريات التي ارتبطت به سارة بتاتاً، وفجأة أحست
بحرارة من أخمص بطنها لتتعالى عصارة حارة لكنها وضعت
يدها على فمها لمنع نفسها، ولم تعلم إن كانت فعلاً تشعر
بالأمر جسدياً أم إن كانت نفسها تمارس الحيل عليها.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه (سايان): نعم! هكذا بالضبط!
أوماً (تاشر) برأسه مظهرًا رضاه: هو نابغة بطبيعة الحال،
فهو ابني.

فهقه كلُّ منهما بمرح، مستمتعين بنجاحاتهما الصغيرة، إلا
أن الأول كان واقفًا مكانه يبرود، غير آبه أو بالأصح غير مدرك
لأهمية الأمر بالنسبة لهما.

قاطعت (مينرفا) بنبرة هادئة: وما الذي تنويان فعله بهذا
البشري بعد ما تنتهيان من العبث به؟

تسمر كلُّ من (سايان) و(تاشر) مكانهما في صدمة تامة مما
تفوهت به للتو، ولكن (سايان) لم يستطع الامتناع عن الرد:
ما الذي تقولينه يا حمقاء؟ ما ترينه أمامك هو أول كائن بشري
سيطر على الوعي الجديد، سيبقى هنا حيث ينتمي.

ردت (مينرفا) بوجه محايد لا يتغير: الإنس لا يتمون
للسماء العالية، مهما تسلقوا في الرتب.

رمش (سايان) عدة مرات في عدم تصديق قبل أن يفعل:
أنت لا تفقهين شيئًا من الأصل، لا تتدخل في ما لا يعنك.

حدقت (مينرفا) وقالت بنبرة باردة تختبئ وراءها السخرية:
نعم، لا أفقه شيئًا، لذلك توجوني على عرش الحكمة.

أدارت (رعد) عينيها في محجريهما، إنهما أخوان بكل ما
تعني الكلمة، ولو لم تكن تعلم بذلك الأمر من قبل لكانت
اكتشفت من مجادلتهما التافهة هذه فحسب.

زفر (تاشر): أنا أتفهم وجهة نظرك تمامًا، في الحقيقة
الجميع تساورهم الشكوك حول طبيعة الأمر، وهذا أمر وارد
بما أن ابني هنا هو الأول من نوعه، لكن ألا يراودك الفضول؟

سألت (مينرفا): حول؟

رد (تاشر) بلهفة تعتلي صوته: بما يتجلى في الأفق،
بما يمكن تحقيقه، بما قد تتمكن البشرية من الوصول
إليه بمساعدتنا؟

ردت (مينرفا): بمساعدتنا أم بالركوب على ظهورنا؟ فأنتما
ترعيانه ها هنا كأنه مشروع حيوانكما الأليف.

طق (سايان) لسانه مبدئاً انزعاجه قبل أن يتحدث: نحن
نحاول تعليمه، فهذا واجبنا تجاه نوعه.

سألت (مينرفا): ومن قال ذلك؟ هل كان القدر من أخبرك
بالأمر؟ أم هل هذه قناعاتك الشخصية يا أخي؟

همهم (تاشر) واضعاً يده على ذقنه بتفكير: لم يخبرني
القدر بما كان علي فعله، ولكن ما ظهر لي في الرؤى بدا
فقط وكأنه توضيح لمفهوم وجوده وارتباطه الوثيق بي.

ردت (مينرفا): إذا أنت لا تملك أي فكرة عن كيفية
التصرف، كيف تعلم بأن ما تقوم به صحيح؟

هز (تاشر) كتفيه باستسلام: أنا لا أعلم.

قالت (مينرفا) بنبرة تكاد أن تكون أمرة: أرجعاه إلى حيث
ينتمي، فلا مكان له هنا.

استمعت (رعد) لتلك المحادثة بتعجب، فهي لم تدرك
قط آراء (مينرفا) من الأصل، فطالما كانت تبدو محايدة بدون

أي موقف معين، كل ما كانت تحث عليه هو إبقاء التوازن بين كل شيءٍ وآخر، كوجهين مختلفين للعملة نفسها، أو كألوان متضادة، يجب أن يحظى الشيء بنقيض دائماً.

هذا جل ما كانت تعلمه (رعد) عن هذه الروح المالكة، وفي قرارة نفسها كانت تشكك في موقفها معها، فهي كانت تساندها بين كل حين وآخر، فما كان الدافع وراء كل ذلك؟

ما الذي تميزت به (رعد) لتقف ملكة النقاء والحكمة بظهرها؟ أم هل كانت مساعداتها مقتصرة على كونها مستهدفة من (إيكول) فحسب ولذا كان تحقيق التوازن أمراً ضرورياً، كأداء واجبات روتينية؟

لم تعلم (رعد) عن طبيعة الإجابة بيقين تام، إلا أن الملكة (مينرفا) هنا وفي هذا الضوء تكاد تبدو وكأنها ضد وجود الرحالة ككل.

رد عليها (تاشر) متذمراً: يالك من قاتلة للمتعة، يبدو أنك تأخذين طباعك من والدتك.

قالت (مينرفا) بنبرتها المعتادة: لو امتلكت حساً بالمنطق لعلمت بأن وجوده لا يجذب من الأصل، فأين هو مضاده؟

أمال (سايان) رأسه: لقد سئمت منك ومن تزميتك المقيت، هل يتصبغ الوجود بالأسود والأبيض أمامك؟ أن يكون أو ألا يكون؟

هزت (مينرفا) رأسها موافقة: نعم.

تدخل (ناشر) محاولاً تهدئة الأمور: حسنًا، حسنًا، لا داعي لكل هذا. في الوقت الحالي سننصاع لأمر (كايلوما)، وحتى إشعار آخر فلا ضرر من تثقيفه قل -

بدت آخر جملة مكتومة ولم تعد (رعد) تستطيع سماع محادثتهم عندما بدأت رؤيتها تضحل تدريجيًا حتى خيم الظلام على رؤيتها تمامًا.

أطلقت أجفانها سراح بعضها بعضًا لتكشف عن السقف الذي اعتلى فراشها.

زفرت (رعد) بثقل ورفعت جذعها عن السرير لتجلس محدقة في ملاءتها بصمت تام.

اليوم السادس والعشرون منذ أن اختفى (أليكساندر)، كانت لا تزال هنا، وكانت على وشك أن تتفقد أحوال (شهاب) عندما علا صوت طرق على الباب وكأن ساعات الكون موقوتة لتكشف عن استيقاظها.

نادت (رعد) لمن وقف خارجًا بالدخول ليعلو صرير الباب كاشفًا عن (قمر) التي أدخلت رأسها بتوجس وسألت: هل أيقظتك؟

همهمت (رعد) بكلام غير مفهوم للشخص الطبيعي، إلا أن (قمر) كانت خبيرة في فك هذه الشفرات.

فردت (قمر) بابتسامة: جيد، كنت سأشعر بالذنب ما إن كنت أنا السبب، على أي حال، أحمل لك رسالة.

ضيقّت (رعد) عينيها الضائقتين بالفعل إثر استيقاظها للتو،
فهمت (قمر) أنها تحثها على الحديث بطريقة الخاصة.

شرعت (قمر) بالحديث: أولاً، (شهاب) يخبرك بأنه لا يزال
هنا. ثانياً، (مالين) يود الحديث إليك.

كانت جميع المحيطات مغطاة بالبياض التام، طبقات من الثلج
تفرض نفسها على قمم الجبال، الأشجار، والسهول، لم يعد
يستطيع المرء التمييز ما بين أرضه وأرض غيره، حتى أن الطقس
توحد في جميع الدول إلى صقيع قاسٍ لا يعلم عن نهايته أحد.

بين ذلك اللون الأبيض المهيمن، ظهرت بقعة سوداء
تعاني في شق طريقها خلال أكوام الثلج، صدح صوت
انكماش غريب إثر طبقات الثلج تحت موضع رجله في كل
خطوة يخطوها، تدثر الشاب بطبقات لا تعد ولا تحصى من
التياب والفرو، متلثماً بقناع من القماش الثقيل فبات لا يظهر
منه إلا خُصرة عينية تحت حواجب مقطبة.

ظل الشاب على ذلك الحال حتى وصل إلى كوخ صغير
بمدفأة يتدفق منها دخان معتم، وقف أمام الباب الخشبي
ينفض البياض عن بدنه و ثيابه قبل أن يضع يده على المقبض
ليدوي صرير الباب في الأنحاء.

«تأخرت.»

قال شاب ذو بشرة حنطية وشعر أسود ناعم يتمعد على كرسي خشبي بسيط، أمامه طاولة تتكوم فوقها الكتب.

أقفل الشاب الآخر الباب من ورائه ونزع لثمته عن وجهه مبدئياً استياءه: ماذا عساني أفعل يا (رشيد)؟ رجالك لا يقوون على الصقيع.

حذق (رشيد) في (أليكساندر): ألسنت أحد حراس الفوهة؟ ظننت أنك اعتدت البرد.

هز (أليكساندر) كتفيه: وهل هذا شيء يعتاده المرء؟

هربت نخرة من فتاة ذات خصلات مشتعلة كانت تقف في أحد أركان المكان: يا لسخرية القدر! أتذكر عندما قلت لي الشيء نفسه يا (رشيد)؟

ضيق (رشيد) عينيه ولكنه امتنع عن الرد، وقرر تغيير مسار الحديث تمامًا: هل من جديد؟

اتخذ (أليكساندر) مجلساً على المقعد الخشبي المقابل لولي العهد: يبدو أن معنويات العامة في الحضيض، المحاصيل نموت، والصقيع يأخذ عددًا كبيرًا من الناس كل يوم.

تنهد (رشيد): لسنا أفضل حالاً منهم هنا، إن استمر الحال فلن تؤول الأمور إلى ما يسر الخاطر، فإن وصلت المجاعة إلى حد يائس فستبدأ كافة الشعوب بالتوسع بحثًا عن الطعام والمأوى، وكوننا في أرض الصفر فنحن محاطون بهم من كل جانب.

فلا يوجد من يعلم عن مخبئهم هذا من الأصل.

رفع (أليكساندر) ذراعه مشيرًا للبقية بالبقاء وراء بينما تمسك هو بمقبض خنجره بينما خطا بحذر شديد تجاه الباب، أخذ نفسًا عميقًا ويده الأخرى قام بفتح الباب متوجسًا.

صاح صوت صرير الباب في الأرجاء عندما التقت أعين (أليكساندر) بامرأة ذات خصلات شقراء على شكل جديلة منسدلة من على أحد كتفيها ترتدي معطفًا أبيض يختلط بالثلوج من ورائه، وذلك عندما لاحظ (أليكساندر) الوشم على رقبتها، وشم المؤسسة.

أجفل (أليكساندر) ولكنه حاول تمالك نفسه: من أنت؟

نظرت إليه المرأة بملامح محايدة لا تدل على أي شيء: أنا (ليلي)، أحد أعضاء المؤسسة.

رد (أليكساندر) بجفاف: ما مرادك بنا؟

تنهدت (ليلي) قبل أن تتحدث: أرجو ألا تأخذ موقفًا عدائيًا منا، فرغبتنا لا تقوم على إيذائكم، حتى وإن كان قائدكم هو الخائن.

زمجر (أليكساندر) بتهكم: يصعب علي تصديق ذلك.

حدقت (ليلي) بالفتى بجدية قبل أن تعاود حديثها: أنصت يا (أليكساندر)، نحن نمتلك عدوًا مشتركًا واحدًا، وذلك هو الأول، ليكون ماضي الخائن أو جرائمه، يجب عليك أن تعلم أنكم غير مستعدين بتاتا، (خافير) يقودكم للتهلكة.

قال (أليكساندر) بلهفة: إذا لما لا نوفر لهم الملجأ؟

رد صوت جديد عندما دخل السلطان (زين) إلى الغرفة:
نحن لسنا منعمين بشكل كافٍ لنستقبل قرويين لا يستطيعون
القتال في حربنا، فإن فتحنا أبوابنا فلن نستقبل إلا الجند.

ظهر الهم على أسارير (أليكساندر) ورمى بظهره للوراء:
إلى متى؟ إلى متى سنبقى على هذا الحال؟ حتى يظهر من
يستطيع التغلب على الأول؟

رد (رشيد) بتهكم: رغم أنني لست مغرمًا بجلوسنا مكاننا
مكتوفي الأيدي ريثما نتظر من يلعب دور البطولة، إلا أنني
أعلم بأننا وحدنا لا نستطيع هزيمة الأول.

أوماً (أليكساندر) برأسه: أنا أظن أن (خافير) و(شهاب)
هما الوحيدان على وجه الأرض اللذان يمتلكان الحنكة
الكافية لصنع خطة محكمة تمكنا من الأول.

رفع السلطان (زين) حاجبه مشككًا: وليس ولي عهدك؟

أوماً (أليكساندر) برأسه مبيّنًا احترامه: لا شك بأن ولي
العهد (رشيد) نابغة، إلا أنني أومن بقدرات القائد و(شهاب)
فحسب إثر خبرتهما في الترحال وسنّي الطويلة معهما.

قاطع حديثهم صوت طرق على الباب أصدى في أرجاء
كوخهم البسيط، قفز الكل من مكانه بتوجس وأعين ملتصقة
بالمدخل، من عساه يطرق على أبوابهم؟

ص ل ح

«تريدني أن أقفز برغبتي الخاصة؟ هذا جنون!»

قال (شهاب) بانفعال واضح.

تنهد المؤرخ بثقل قبل أن يتحدث: لا تجادلني يا فتى
وافعل ما أمرتك به فحسب.

سأل (شهاب) والقلق يتخلل نبرته: ولكن... ماذا إن لم
أستطع العودة؟

تنهد المستشار الذي وقف بجانب المؤرخ: هذه مخاطرة
يجب علينا تحملها.

ابتلع (شهاب) ريقه بصعوبة، فهو كان رحالاً متأقلمًا
بسيطًا، ولم يستطع قط التحكم بترحاله من الأصل، فما
الذي يجعل هذين الاثنين واثقين من نجاحه؟

بالإضافة إلى أنه بسبب عدم لبسه لمحطمه فإن انتقل
لكون آخر ولم يستطع العودة، فقد يفقده كليًا، ويفقد
(رعد)، (مالين)، والبقية.

قد يفقد كل شيء خلال هذه التجربة غير الموسومة
بنجاح أو فشل، إلا أن آفاقها كانت مظلمة ومربية، فمنذ أن

قطب (أليكساندر) حاجبيه: تحدثني عنه مجدداً وسيتدحرج
رأسك لتنضمي لبقية أعضاء مؤسستك.

طقطقت (ليلي) لسانها مبدية استياءها: قطع من الحمير
أنتم؟ لا تمتلك أي آراء تخصك!؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه (أليكساندر): أستم
أنتم من نعتنا بالبهايم؟

عقدت (ليلي) حاجبيها: تجرون بعضكم بعضاً إلى
الهلاك، لا شك في كونكم متأقلين.

أوماً (أليكساندر) برأسه: هذا ما نبرع به.

تجهمت (ليلي): لتفعلوا ما أردتم، لقد حذرتكم، وعندما
ترى (شهاب) أخبره بما سمعته مني.

ظهر الاستياء على أسارير (أليكساندر): وما بالك تنطقين
اسم أخي بأريحية؟

ضيقّت (ليلي) عينيها باحتقار ولكنها لم تجبّه واختفت
على الأنظار لتتركه هو ومن معه في قلق موبق.

اختفى (أليكساندر) فقد صب كل من المؤرخ والمستشار
تركيزه الكامل تجاهه، وبينما لم يمانع ذلك إلا أن تعليق آمال
البشرية على رقبتة كان شعورًا مؤرقًا.

ولكنه استجمع رباطة جأشه وابتلع ريقه بصعوبة، سبق
وأن عزم أمره، فهو سيحقق مبتغاه وإن كان الأمر يعني
المخاطرة، فليكن.

أغمض عينيه بإحكام ضاغطًا أصابعه داخل قبضتيه حتى
ايضت مفاصله، أخذ نفسًا عميقًا وحبسه داخل رئتيه، ظل
متخشبًا هكذا لوهلة حتى شعر بأن خلاياه تتزعزع في مكانها
كاهتزاز ما، تبعثها حرارة تتغلغل ما بين عظمه ولحمه،
وعندما أوشك على الزفير اختفى من مكانه تمامًا ليظهر في
بقعة مجاورة لمكانه الأصلي متمايلًا للأمام فاقداً لتوازنه، كاد
أن يتعثّر قبل أن يعود لرجليه ويستقيم في وقفته.

توسعت حدقتاه متفاجئًا مما حدث للتو وفي صمت تام
رفع رأسه ليواجه المستشار الذي حلق به بمزيج من الفزع
وعدم التصديق قبل أن يرمي بنفسه عليه في عناق عنيف
أوقع بكليهما أرضًا.

صرخ المستشار بحماس: لقد فعلتها! لقد فعلتها!

لم تسع الفرحة وجه (شهاب) الذي ظل مبتسمًا
وضاحكًا: هل رأيت ذلك؟! لا أصدق!

وظلا على ذلك الحال لا يكفان عن الضحك بينما تمسك كل منهما بأكتاف الآخر ليهز كل منهما الآخر للأمام والخلف، كل ذلك بينما شاهد المؤرخ من ورائهما بصمت تام حتى قرر إفساد فرحتهما.

«لا تغتر بنفسك، لا يزال أمامك الكثير لتتعلمه، فالأول لن يمنحك وقتك لتقوم بالقفز من مكانٍ لآخر.»

قال المؤرخ بجفاف وبملامحه غير المتغيرة التي بدت دائماً وكأنه يحاول إيجاد زلة ما.

قطب المستشار حاجبيه: ألا تمنحنا بعض الفضل يا حضرة المؤرخ؟ فنحن حققنا التاريخ للتو!

حذر المؤرخ باتجاهه: كما فعل الأول، مرارًا وتكرارًا حتى كسر حاجز الوجود. ما حققناه للتو لا يزال بحاجة ماسة للصقل! إن احتفلنا بتجاوزنا كل عقبة صغيرة فقد نضيع ما يكفي من الوقت ليتمكن الأول من إخضاع جميع الأكوان لرغباته! انهض عنه واجعله يعاود الكرة.

حذر المستشار في المؤرخ بجمود وظل صامتًا لعدة لحظات قبل أن ينهض من مكانه ليخطو باتجاه المؤرخ حتى لم تفصلهما إلا عدة سنتيمترات، حتى أطل بهيئته الطويلة من فوق رأس العجوز الذي بدا ضئيلاً من تحته، ومن مكان الكهل بدا وكأن معالم المستشار داكنة وقاتمة، ولم يعلم ما إن كان ذلك بسبب الظل الملقى عليه أم بسبب تهيجه المستتر.

نطق (خافير) بصوت أجش: أخبروني بأنك لا تموت،
أترغب باختبار صحة تلك الإشاعة؟

قطب المؤرخ حاجبيه الكثيفين: أتهددني يا خائن المؤسسة؟

لم تتغير معالم (خافير) الجادة: أهددك؟ أنا أحذرك. لقد
سمحت لك بإجراء تجاربك المختلفة على تلامذتي الذين
ظلوا تحت كنفي وعهدتي لسنين طوال، وكل ذلك من أجل
الحفاظ على سلامة الأكوان. أقل ما عليك فعله هو تقدير
عزيمتهم التي سمحت لنا بالوصول إلى مكاننا هنا.

حدق المؤرخ به بحدة: وهل ستهزم عزيمتهم الرحال
الأول؟ علينا إكمال ما بدأناه.

نطق (خافير) وكأنه يصق سماً: هم ملكي من الأساس،
أعرتهم لك فحسب حتى تشبع فضولك الذي لا ينطفئ رغم
عمرك المديد. أنا أخبرك بما نفعل ولا نفعل بهم، أتفهم؟ أم
أترغب بقطع جبل المشاعر الوطيدة الذي يرسيه هنا لنفقده
هو الآخر؟ هل أنت يائس لهذه الدرجة لإثبات نفسك
للملكة (مينرفا)؟

خيم الصمت على المكان لوهلة انقضت بهما يحدقان بحدة
بعضهما في بعض، وكأن من يغمض عينيه أولاً هو الخاسر.

أراد (شهاب) التدخل بشكل ما وتهدة الأوضاع ولكنه كان
على سابق معرفة بأن الوقوف في طريق قائده هو أكبر خطأ
قد يقترفه في حياته، هكذا كانت هي شخصيته.

فقط هو، ولذلك قرر (مالين) الاستعانة بشخص ذي مكانة مرموقة في حجرات قلب الجندية.

جلست (قمر) في مقعد جانبي ما بين الأريكتين، متمسكة بكأس الشاي الخاص بها، تحتسي منه بعض الرشقات بين كل حين والآخر.

قطبت (رعد) حاجبيها موجهة حديثها لـ (مالين): هل ستحدث أم ماذا؟

ارتسمت ابتسامة متوترة على شفتي (مالين): كيف هي أحوالك أولاً؟

تنهدت (رعد) واتكأت بظهرها للوراء: تعجل بالحديث ولا تضع وقتي.

ابتلع (مالين) ريقه بصعوبة ورمى نظرة خاطفة ومستنجدة باتجاه (قمر) قبل أن يعيد نظره إلى (رعد): هناك أمر أود الحديث فيه.

هزت (رعد) رأسها بتهكم: نعم، نعم، نحن على علم مسبق.

حرك (مالين) أصابعه متوترًا، ورغم توجسه إلا أنه أصر على إيضاح نقطته: ألا تعتقدين أن الأوان قد حان للحديث مع (نوروي)؟

قالت (رعد) بدون ذرة من التردد: لا.

لم يكن من النوع السريع الانفعال ولكنه إن فعل، يستشيط.

ولم يستطع أيُّ من كان كبح جموحه أو توقع تحركاته،
ورغم تلك السنين الطويلة التي قضوها معًا إلا أن الدرس
الوحيد الذي تعلمه هو ترك قائده يتصرف كما يحلو له بينما
يأمل هو بقاء جميع من حوله على قيد الحياة.

طقطق المؤرخ بلسانه مبدئًا عدم إعجابه: لتفعل ما يحلو
لك إذا، فأنت قادر على تحمل مسؤولية تعليمه من الآن.

قال (خافير) بيروود: سأفعل.

كان ذلك آخر تبادل حديث ما بينهما قبل أن يستدير
المؤرخ على كعبه ويشق طريقه عائداً لقصر السيد (فياض)

وضعت (رعد) رجلاً على رجل على إحدى الأرائك في
صالة الضيوف التي جاورت المدخل، على الطاولة أمامها
وُضع كأس من الشاي الحار الذي أعده (مالين) لها بينما
جلس هو على الأريكة المقابلة لها.

علمت (رعد) من الارتباك الذي كان يتسلل بخفة إلى
معالم (مالين) أنه كان على وشك إخبارها بأمر لن يروق
لمسامعها، ورغم محاولاته إخفاء توتره، إلا أن فكرة الحديث
مع (رعد) في محاولة ما لإقناعها بالعدول عن قرارات سبق
وأن ضربتها بالحديد الحامي أمر يثير رهبة أيُّ من كان، وليس

رمش (مالين) عدة مرات: كيف بإمكانك قول ذلك بدون التفكير في الأمر حتى؟

هزت (رعد) كتفيها: لأن الأمر واضح وساطع كسطوع العرق على جبينك.

حدق (مالين) في الفتاة أمامه بعبوس قبل أن يتناول منديلاً مسارعاً بتربيته على جبينه: على أي حال، أردت نقاش هذا الأمر معك، وكأخيك في السيف، أرجو أن تحاولي على الأقل أخذ نقاطي بمحمل الجدية.

لم تكن (رعد) مقتنعة بهذه الفكرة أو المحاولة بأكملها، لكنها لم تكن سترد (مالين) عندما كان يحاول بهذه الجدية. كانت ستحاول الاستماع لما بجعبته على الأقل قبل أن ترفض تلك الاقتراحات.

أدارت (رعد) عينيها في محجريهما: تفضل.

حمحم (مالين) قبل أن يعاود الحديث: على العموم، رغم أنني أتفق معك في مشاعرك تجاه هذه المسألة برمتها، ولا ألومك البتة في طريقة تصرفك، إلا أن سبب اقتراحي لهذا الأمر يعود إلى عدة أمور، ورغم عدم رغبتني بالاعتراف بضرورة وجوده معنا، إلا أن (نوروي) هو الشخص الوحيد على قيد الحياة الذي سبق وأن عاش الأول، مما يعني أنه قد يعلم عن أمور قد تساعدنا في مهمتنا.

ردت (رعد) بجفاف: إذا؟

رفع (مالين) حاجبه: (رعد)، نحن نتحدث عن مخلوق
قدراته تفوق أيًا منكم أنتم الرحالة، الأول من نوعه، مخلوق
عتيق لا نعلم عنه إلا قوته القادرة على تهشيم وتدمير كل ما
نعرفه في الحياة الدنيا. نحتاج لمعرفة نقاط ضعفه، لحظات
حاجته لإعادة شحن طاقته، لحظات وثوانٍ مجردة قد تتمكن
من إنقاذنا من سفكه للدماء، وجميع هذه المعلومات بحوزة
خادمك الذي ترفضين استدعائه بسبب حنقك الشخصي.

أخذت (رعد) نفسًا عميقًا قبل أن تطلقه: ... أنت محق،
ولكن لا يمكنك لومي على طريقة تصرفي معه.

تدخل صوت (قمر) الناعم: عزيزتي (رعد)، العكس
صحيح. نحن نتفهم تمامًا لم فعلت ما فعلت، ولا يمكن
لأحد إدانتك لطريقة تعاملك مع الأسى الذي اعتلاك إثر
فقدانك المؤسف، ولكن (مالين) يملك وجهة نظر وجهية.
أنا أعلم أنك لا ترغبين بإرغامه على ما لا يوده ولو لم يكن
العالم تحت رحمة قرارك هذا، لتركتك تفعلين ما يحلو لك.

نظرت (رعد) إلى (قمر) بياس، كانت تعلم بأن صديقتها
كانت على حق ولكن كسرهما لوعده فرضته على نفسها كان
أمرًا موجهًا عليها.

أكمل (مالين): أنا أتفهم تمامًا ما تشعرين به، فأنا
أيضًا أشواق لإخوتنا كل يوم، ولذلك لا أرغب في خسارة

أكمل (مالين): إذا، نحن بحاجة ماسة له لنتمكن من هزيمة الأول واستعادة موطننا؟ (رعد)، نحن نخطو في أرض وعرة لا نعلم عنها شيئاً وكأننا نحارب في الظلام الدامس، لا نعلم رؤوسنا من أرجلنا، ولا أحد قادر على إيضاح الأمور إلا (نوروي).

ردت (رعد) بنبرة تخللها الانزعاج: أنت لا تخبرني بأي شيء جديد، أليس هذا السبب وراء استيائي؟

أوماً (مالين) برأسه: بلى، ولكنك قادرة على استجوابه بالإكراه.

صمتت (رعد) وحدثت فيه، وكأنها تتمعن في تفاصيل وجهه بينما توارت أعينها عن أعينه الفاضحة.

رغم غضب (رعد) فهي لم ترغب يوماً بأمره بالإكراه، كانت ترغب بأن يقوم هو بتنفيذ أمرها من رغبته الخاصة بفعل ذلك، من ولاء غير مشروط، أرادت تلك الأمور أن تنبع من إرادته هو.

كانت رغبة (رعد) الدفينة في عدم فرضها لنفسها على (نوروي) أمراً مستتراً وراء جديتها الدائمة، وكأنها قطعت وعداً لنفسها بعدم فعل ذلك مهما حصل.

ولذا فعندما تفوه (مالين) بذلك تخشبت مكانها، غير قادرة على الرد، ولذا حاولت تفادي الأمر.

سألت (رعد) باستياء: وما الذي ستجنيه من هذا الأمر؟

انسكب ضوء القمر من خارج النافذة ليتنازل على
منضدتها ملامسا بعض القطع الفخارية التي زينتها، الضوء
الخافت يلقي بنفسه بخفة على بعض قطع الأثاث منيرا
حجرتها بهدوء.

كان البدر يداعب مشاعر متناقضة لديها، تارة سارة وتارة
مفرعة، إلا أنه في الفترة الأخيرة كانت أغلب الذكريات التي
يستدعيها القمر الكامل مرعبة أكثر من أي شيء آخر.

تكورت (رعد) على السرير، ظهرها يلاصق الجدار بينما
احتضنت ركبتيها لرأسها، وجهها مشدوه وكأنها غير موقنة
بما كانت على وشك فعله، ولكنها تنهدت ورفعت رأسها
على مضض.

- «تعال يا (نوروي).»

قالت (رعد) بنبرة محايدة إلا أنها تميل للخشونة.
ما أن فعلت حتى ظهرت اللعنة أمامها، راكعا بإحدى
ركبتيه على الأرض بينما واجه رأسه الأرض بخزي.
- «أمرك.»

غمغم (نوروي) ما بين إذعان وخجل.
نظرت (رعد) إليه من مكانها، وطلبت برفق: هلا نظرت إلي؟
ظل (نوروي) كما هو قبل أن ينفذ طلبها لتلتقي أعينهما
للمرة الأولى منذ وهلة، وما أن فعلا حتى ارتسمت على

المزيد منهم. إذا زحفنا لأرض المعركة كما نحن الآن، فسنلقى حتفنا بالتأكيد.

عبست (رعد) وحدقت بالبخار الذي تعالى من كأس الشاي أمامها قبل أن تشيح بنظرها عنه لتواجه أعين (مالين): أود الحديث معه أولاً، ستكون تلك محاولتي الأخيرة في الرحمة، وإن رفض فلا حل إلا بالإكراه.

أوماً (مالين) برأسه موافقاً: بالطبع، لكن حاولي ألا تطيلي الأمر أكثر مما ينبغي، فالقائد (بيلور) ليس رجلاً صبوراً.

سألت (رعد) بهدوء وكأنها كانت تتوقع تورط القائد بالأمر: إذا هذه رغبات قائدك؟

نظر (مالين) إلى (رعد) بجدية: هذه رغبات مليكك كذلك.

حلت لحظة صمت، وكأن (رعد) تحاول تدارك الأمور، وعندما رأت (قمر) ذلك المنظر سارعت بالتدخل: أعتقد أن أي والٍ كان سيرغب بهذا الأمر، فهذه هي الطريقة الوحيدة المتوفرة أماننا، أليس كذلك؟

زفرت (رعد) بثقل: ... بلى، أعترف بأنكما تمتلكان وجهة نظر سديدة إلا أنني لا أحبذ فكرة تنفيذها.

سأل (مالين) بفضول: إذا؟

طأطأت (رعد) رأسها للأسفل بهزيمة: الولاء للتاج.

لولا نبرة صوتهما الحنون لظن (نوروي) أنها توشك أن تصفعه مرة أخرى، ولذا استمع هو بصبر وتأن.

أكملت (رعد): لقد ناديت عليك لأنني أود الحديث معك يا (نوروي)، هناك الكثير من الأمور التي أود أن أسألك عنها، ولكنك تعلم أنني لا أحبذ إرغامك على الإجابة، لذلك ظنت أن بعض الوقت المستقطع كان الخيار الأمثل لك ولي. لن أكذب عليك وأتظاهر بشعوري بالذنب، لقد فعلت ما ظنته صحيحاً، وإلى الآن فإن إدانتي لك لا تزال قائمة، ولكنني تمنيت حقاً أن تقوم أنت بإعطائي بدون أن أمرك. أرجوك لا تجعلني أمرك يا (نوروي) فأنا لا أطيق ذلك.

تهدد (نوروي) قبل أن يتحدث: ... كنت ناوي أديكي الهرجة أصلاً، سواء ناديتني دحين أو لا، بس ما قدرت أرفع راسي قدامك.

سألت (رعد): إذا ستتحدث؟

أوماً (نوروي) برأسه موافقاً: حوريكي كل شي، اعذريني على التأخير.

كان آخر ما قاله (نوروي) قبل أن يتقدم لسيدته متمسكاً بيدها لتبدأ الرؤى تتدفق.

شفاه (رعد) ابتسامة رقيقة، لا تحمل بشارة اعتذارية بل تبدو أكثر كمبادرة غفران.

سألت (رعد) بفضول: هل كنت هنا طوال هذا الوقت؟

رد (نوروي) بتهكم معتاد: نحنا مربوطين سوا، ما أقدر أبعد كثير.

أومأت (رعد) برأسها في تفهم: أعتقد أنك محق.

خيم الصمت على المكان لبضع ثوانٍ لم يعلم أيُّ منهما كيفية التصرف فيها، فاحتار (نوروي) في أمره وطريقة تصرفه، واحتارت هي في كيفية مفاتحته في الموضوع.

- «... اسمع» -

- «رعد» -

تحدث كلاهما في الوقت نفسه مقاطعين بعضهما بعضًا.

طلبت (رعد): يمكنك البدء أنت.

هز (نوروي) رأسه نافيًا: لا، لا، أنت أول.

حاولت (رعد): لا أنا أصر.

قال (نوروي) بجدية: سيدتي أولاً.

صمتت (رعد) للحظة قبل أن تقرر الحديث: اسمع، أنا أعلم بأنني قد أكون قد قسوت عليك في ردة فعلي، ولكن عليك أن تعلم بأنني لست نادمة البتة، واستدعائي لك اليوم ليس محاولة اعتذار.



بريموس

طفت الكواكب من حولها بهدوء وسكينة، النسيم البارد
يداعب وجنتيها بلطف، حدقت (رعد) بالقمم الذهبية التي
اعتادت رؤيتها في هذه النقطة من الزمن.

يبدو أن (نوروي) قرر أن يجعلها ترى توالي الأحداث بأم
عينها عوضاً عن قصها لها بشكل لفظي، ظنت (رعد) أن
ذلك أسهل له هو أيضاً، فهو كان يستصعب الحديث بشكل
مبالغ فيه.

التفتت يميناً ويساراً، كانت تقف مكانها وحدها حتى
لمحت ذلك الشعر الفضي من طرفي عينيها يقف عند أحد
الجسور، بجانبه خصلات الأول الحالكة المجمعة.

كانت (رعد) تستطيع تمييز لعنتها من خلال قرنيه اللذين كانا
لا يزالان سليمين ومتصلين برأسه في هذه النقطة من الزمن، وفي
رأسها قررت تسمية النسخة الماضية ذات القرنين السليمين
(سايان)، وأما نسختها المُهملة والمنبوذة فـ (نوروي).

تقدمت (رعد) منهما لتشاهد المشهد أمامها، حيث كان
(سايان) يحدث الأول الذي بدا غير مهتمٍ بشكلٍ ما، وجهه
مشدوه ولا يشارك في الحديث.

- «لا تستمع إليها، فهي حمقاء لا تعلم عمّ تتكلم».

قال (سايان) بانفعال واضح، بدا وكأنه يتحدث عمّا قالته أخته في السابق.

لم يتجاوب الأول، فقط حذق في محيطاته بصمت، وكأنه تحت تأثير نوع من أنواع المهدئات.

سأل (سايان) بنبرة موبخة: هل تسمعي؟! أنا أتحدث إليك!

التفت الأول إليه بوجه محايد، تعبير أقرب إلى ورقة بيضاء فارغة، لا يحوي شيئاً.

تنهد (سايان) قبل أن يتحدث: هل أنت دائماً هكذا؟ أليس لديك آراء أو مشاعر أو أي ما شابه؟

حذق الأول بالأرض التي حملت جميع أنواع الأجرام السماوية بين طياتها، وكأنه مستغرق في تفكير عميق، ثم نطق بصوت أجش: أعتقد أنها محقة.

توسعت حذقتا (سايان) مستغرباً: ...ما الذي تقصده؟ ألا ترغب بالبقاء في السماء العالية؟

نظر الأول بعينه الداكتين بجدية: أنا أقصد أنني قد أكون مسخاً، كما تقول أختك.

طقق (سايان) بلسانه ميئاً استياءه: لا تقل ذلك، أنت كيان جديد، ووعي جديد، يجب عليك التأقلم مع الأمر. صحيح، هذا ما أنت عليه! أنت متأقلم.

أمال الأول رأسه: ... ما يكون ذلك؟

وضع (سايان) إصبعه على ذقنه في تفكير: هذا أنت،
نوعك! أو فصيلتك؟ لا أعلم. على العموم، أنت متأقلم عليك
التعايش مع محيطاتك وظروفك، قد لا تكون قادرًا على
التحكم بمحيطاتك بشكل تام ولكنك قادر على التحكم
بردات فعلك تجاه تلك الأمور، أليس كذلك؟

أومأ الأول برأسه موافقًا على مضض، غير واثق بما كان
يتفوه به المخلوق الواقع أمامه.

أكمل (سايان) بحماس ظاهر على أساريره: فكر بالأمر!
أنت الأول من نوعك، والوحيد حتى الآن. بدأ الوجود يصبح
مثيرًا للاهتمام منذ أن أتيت أنت، أما ما قبل ذلك فكان
مجرد سراب، فراغ، أمور جانبية وتافهة لا تقارن بوجودك.

صمت الأول للحظة قبل أن يسأل بفضول: .. لم أنا بهذه
الأهمية لك؟

رمش (سايان) عدة مرات بتعجب، وكأنه لم يفهم
السؤال: لأنك التغير الذي لم أظن أنني أحججه يومًا،
وبالطبع لأننا صديقان، أليس كذلك؟

سأل الأول: ... صديقان؟

عقد (سايان) حاجبيه: عجبًا، ألم تمتلك أصدقاء في
حياتك السابقة؟

هز الأول رأسه نفيًا.

تمكن الفضول من (سايان): كيف كانت الحياة قبل
مجيئك إلى هنا؟

بدا الأول متوجسًا من تلك الذكريات، ولكنه قصها على أي
حال: لا أذكر الكثير، لا يراود بالي إلا الكثير من الدماء، الجثث،
والحروب. جل ما أردته كان الهرب، الفرار لأي مكان إلا مكاني،
لعالم لا توجد فيه المعاناة، عالم لا يوجد فيه الصراع.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفاه (سايان): لقد وجدت
ضالتك! لا تقلق، لا يمكن لـ (مينرفا) فعل أي شيء طالما
ظللت بجانبني.

ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفاه الأول، لأول مرة منذ
مجيئه إلى السماء العالية، أظهر تعبيرًا على وجهه.

- «(سايان)!»

نادى (تاشر) بينما جرى باتجاههما بقلق واضح.

سأل (سايان) بتوجس: ما الأمر يا (تاشر)؟

صرح (تاشر) بفزع: لقد أتانا الويل! لقد أتانا الويل
يا (سايان)!

نفذ صبر (سايان): انطق!

تمتم (تاشر) وكأنه يحادث نفسه قبل أن ينطق بصوت
مسموع: ... الموت، (مورتم). لقد حضرت أمك لتزورك.

كادت عينا (سايان) تسقطان من محجريهما: ما الذي
تفعله هنا؟

رد (تاشر) بنبرة تخللها الهم: قالت إنها تود رؤيتك،
ورؤية... الكائن الجديد.

عض (سايان) على لسانه متأففاً، لقد وعد الأول بالحماية
من أخته، لكن والدته؟ كانت هذه حكاية أخرى تمامًا.

سأل (سايان): أين هي الآن؟

رد (تاشر): لقد حاولت الفرار، هي لم ترني لكن-

«إذا هذا ما تجاهلتي من أجله.»

تعالى صوت امرأة قاس من وراء (تاشر) ليلتفت كلاهما
ليريا الموت بأعينهما.

وقفت (مورتم) مكانها بهيئة تجبر المرء على الحذر،
نسخة طبقة الأصل من ابتها (مينرفا) ولكن بطول سامق
ومعالم أكثر نضوجاً. تدثرت بالسواد بينما انسدت خصلاتها
الفضية حتى الأرض، تمتلك عينيْن يكتسحهما السواد بشكل
كامل، وزوجين من القرون القاتمة التي تطابق تلك التي
انتمت لأبنائها، ولكن بحجم أكبر.

تخشب الجميع في أماكنهم إثر الرعب الذي سرى
مسرى الدم في أبدانهم بينما تقدمت (مورتم) من بينهم
متوجهة للأول.

أمالت (مورتم) رأسها والتفتت إلى (تاشر) باحتقار واضح
على أساريها: الاحتفاظ به؟ كحيوان أليف؟

صمت (تاشر) لوهلة، كانت مثل ابنتها بالتمام.

صاح (سايان): أمي، إنه غير مؤذٍ أقسم على ذلك!

حدقت (مورتم) في ابنها: غير مؤذٍ؟ ما الذي تتوقع أن
يفعله قرد بدائي عندما يسيطر على قوة أكبر من استيعابه؟
أتتوقع منه التصرف كإخوتك من الأرواح؟ أم كما تملي عليه
طبيعته البشرية؟

خيم الصمت على المكان، لم يستطع (سايان) الرد على
ما تفوهت به والدته، جزءٌ منه يؤمن بالأول، والجزء الآخر
لا يود تصديق كلماتها.

التفتت (مورتم) إلى الأول مجددًا بأعين مشمزة: يبقى
الحيوان حيوانًا، وإن ارتدى الثياب. لن يصبح، ولا يمكن أن
يكون مخلوقٌ كهذا مساويًا لك، عليك أن تفهم ذلك.

وقف (سايان) بعزيمة: وما أدراك أنت؟! أنت لا تعلمين
حتى من أكون!

تركت (مورتم) الأول عند سماعها لتلك الكلمات لتقترب
من ابنها لتتناول وجهه بكف يدها: أنت (سايان)، الشعلة
الزرقاء، ابن الموت، محصل الأرواح، هذه وظيفتك فالتزم بها
عوضًا عن ألعابك السخيفة.

لَمْ يَقَوْ (سايان) على نفض ذراع أمه من عليه إثر رعبه
من العواقب الوخيمة التي قد تتبع اعتراضه، فوقف مكانه
عاضاً على لسانه.

أفلتت (مورتم) وجهه ووجهت حديثها للروح المالكة
الثالثة: (ناشر)، أرجو ألا تورط ابني في ألعيبك، إن أردت
اللهو فافعل ذلك وحدك.

لم يستطع (ناشر) الرد، اكتفى بالإيماء برأسه بتخوف
بينما شاهداً تلف على كعبها وتغادر المكان لتختفي
على الأنظار.

اختفى المكان من حول (رعد) لتظهر في مكان آخر،
يبدو كسهل عشبي في أحد الأكوان، محاط بالجبال الشامخة
ويقع تحت سماء زرقاء صافية.

تفحصت (رعد) محيطها لترى (سايان) يقف بجانب
(ناشر) والأول في دائرة، فاقتربت لتتنصت على حديثهم
بشكل أفضل.

كان (ناشر) مبتسماً يحادث ابنه: لم تخبرني لم قررت
الاجتماع بنا هنا يا (بريموس)؟

أوماً الأول برأسه: أردت سؤالك عن شيء ما فحسب، ولم
أرغب في فعل ذلك في السماء العالية.

وقف (سايان) أمامها محاولاً إلهاءها عن الأمر: أمي، ما سبب هذه الزيارة المفاجئة؟

نظرت (مورتم) إليه ببرود يحمل لمحة من الازدراء: وما الذي يمنعني من زيارة ابني وقتما أحببت؟

أجاب (سايان) مستجمعاً كامل قوته: لأنك لم تأتي من أجلي.

صمتت (مورتم) لوهلة ولكنها لم تنكر تلك الاتهامات: تنحّ جانباً يا (سايان).

هز (سايان) رأسه نفياً ولكنها لم تأبه لذلك، رفعت ذراعها وبحركة سريعة قامت بصفعه بمؤخرة يدها لتطير به جانباً بعدة أمتار ليرتطم (سايان) على الأرض بعنف وسط هلع (ناشر) الذي جرى باتجاهه بشكل تلقائي ليطمئن عليه.

تقدمت (مورتم) من الأول متفحصة إياه بعينيها، إلا أنه لم يكن يستطيع الجزم عن محط أنظارها بسبب السواد الذي اكتسح مساحة عينيها بشكل كامل.

تفحصته حتى تشابكت بؤرهما: يبدو مثل أقرانه من البشر، ما الذي يجعله مميزاً؟

حاول (ناشر) تهدئتها من مكانه: أرجوك سيدة (مورتم)، لا تؤذيه! هو لم يفعل شيئاً وقد سمح لنا جلالته (كايلوما) بالاحتفاظ به وتعليمه.

أمالت (مورتم) رأسها والتفتت إلى (تاشر) باحتقار واضح
على أساريرها: الاحتفاظ به؟ كحيوان أليف؟

صمت (تاشر) لوهلة، كانت مثل ابتتها بالتمام.

صاح (سايان): أمي، إنه غير مؤذٍ أقسم على ذلك!

حدقت (مورتم) في ابنها: غير مؤذٍ؟ ما الذي تتوقع أن
يفعله قرد بدائي عندما يسيطر على قوة أكبر من استيعابه؟
أتتوقع منه التصرف كإخوتك من الأرواح؟ أم كما تملي عليه
طبيعته البشرية؟

خيم الصمت على المكان، لم يستطع (سايان) الرد على
ما تفوهت به والدته، جزءٌ منه يؤمن بالأول، والجزء الآخر
لا يود تصديق كلماتها.

التفتت (مورتم) إلى الأول مجدداً بأعين مشمزة: يبقى
الحيوان حيواناً، وإن ارتدى الثياب. لن يصبح، ولا يمكن أن
يكون مخلوقٌ كهذا مساوياً لك، عليك أن تفهم ذلك.

وقف (سايان) بعزيمة: وما أدراك أنت؟! أنت لا تعلمين
حتى من أكون!

تركت (مورتم) الأول عند سماعها لتلك الكلمات لتقترب
من ابنها لتناول وجهه بكف يدها: أنت (سايان)، الشعلة
الزرقاء، ابن الموت، محصل الأرواح، هذه وظيفتك فالتزم بها
عوضاً عن ألعابك السخيفة.

لم يقوَ (سايان) على نفض ذراع أمه من عليه إثر رعبه
من العواقب الوخيمة التي قد تتبع اعتراضه، فوقف مكانه
عاضاً على لسانه.

أفلتت (مورتم) وجهه ووجهت حديثها للروح المالكة
الثالثة: (تاشر)، أرجو ألا تورط ابني في ألعيبك، إن أردت
اللهو فافعل ذلك وحدك.

لم يستطع (تاشر) الرد، اكتفى بالإيماء برأسه بتخوف
بينما شاهداً تلف على كعبها وتغادر المكان لتختفي
على الأنظار.

اختفى المكان من حول (رعد) لتظهر في مكان آخر،
يبدو كسهل عشبي في أحد الأكوان، محاط بالجبال الشامخة
ويقع تحت سماءٍ زرقاء صافية.

تفحصت (رعد) محيطها لترى (سايان) يقف بجانب
(تاشر) والأول في دائرة، فاقتربت لتتنصت على حديثهم
بشكل أفضل.

كان (تاشر) مبتسمًا يحادث ابنه: لم تخبرني لم قررت
الاجتماع بنا هنا يا (بريموس)؟

أوماً الأول برأسه: أردت سؤالك عن شيءٍ ما فحسب، ولم
أرغب في فعل ذلك في السماء العالية.

تعجب (تأشر): ويحك، هل قام أحدهم بمضايقتك هناك؟

هز الأول رأسه نفيًا وقام برفع قلادته للأعلى: أردت سؤالك عن هذه فحسب.

أمال (تأشر) رأسه: ما بها؟

سأل الأول: كيف تعمل بالضبط؟

رد (تأشر) بلهفة: سؤال جيد، إلا أنني لست مدركًا لإجابته بشكل كامل. جل ما أعلمه هو أن هذه القلادة هي ما يربطنا بعضنا ببعض.

سأل الأول بفضول: وما الذي قد يحصل إن حصل لها أي مكروه؟

هز (تأشر) كتفيه: لا أعتقد أن أحدًا ما قادر على إضرارها بشيء إلا الأرواح المالكة أو ما يشابههم، كما لا يمكن لأحد التأثير بالأرواح إلا أقرانهم.

قهقهه (سايان): هل بدأت تراودك الشكوك؟ لا تقلق قلن يجروا أحد على أذيتك في السماء العالية، لقد أعطيت كلمتي لـ (كايلوما) حتى يسمح لك بالبقاء.

خدق الأول بالقلادة بين يديه ليبدأ الصقيع بالتشكل حول أطرافها حتى كساها بالكامل وبدأ معدنها بالصرير وسط نظرات الفزع من الروحين المالكين اللذين لم يدركا نية الأول على الإطلاق.

وبلحظة انتشرت الشقوق في أنحاء القلادة حتى تحطمت
وتفككت لأشلاء عديدة تناثرت في الأرض، ما أن فعل ذلك
حتى بدأ رأس (تاشر) بالنبض بعنف شديد، بدأ الألم يضح
في جسده فهوى للأرض بركبته.

تجلى الهلع على أسارير (سايان): (تاشر)! (تاشر)! ما بك؟!
اقترب الأول من (تاشر) بهدوء ليسحب ذراعه من تحته
مخللاً بتوازنه مقرباً إياها من فمه ليغرز أسنانه فيها ويمضغ
ليبتلع جزءاً من ذراعه وسط صراخ الروح المألكة التي بدت
في أضعف حالاتها الآن.

تخشب (سايان) مكانه فاغراً فاهه، غير قادرٍ على الحراك،
تكاد أعينه أن تقفز من محاجرهما، لم يستطع استيعاب
الأحداث التي تجلت أمامه على الإطلاق.

ابن يأكل أباه؟ صديقه يقوم بالتغذي على روح مألكة؟ ما
الذي يحدث؟

بدأ رأسه بالدوار، لم يقوَ على إبداء أي ردة فعل، حاول
الحديث بنبرة متهدجة: (بريموس)، (بريموس)! كف عن
المزاح! ما الذي تفعله؟

لم ينصت إليه الأول على الإطلاق، فقط أكمل ما كان
يفعله بهدوء، كانت الدماء الزرقاء تتقطر من على ذقنه بينما
أكمل تناول أبيه، قضمه بعد الأخرى، كحيوان بري متوحش.

لم يعلم (سايان) كيف كان باستطاعة الأول إلحاق أي ضرر
بروح مالكة من الأساس، لا يقوى على فعل ذلك إلا أقرانهم
من الأرواح المالكة، وذلك عندما أدرك أن تحطيم الأول لمحطم
عوالمه تسبب بخلل ما في تدفق الطاقة ما بين الرحال
وروحه المالكة، تدفق الطاقة الذي كان يجري من (تاشر) إلى
(بريموس) أصبح فوضويًا حتى قام الابن بالتغذي على أبيه
فأصبح تدفق الطاقة يضح في شرايين (بريموس) كلما أصبح
(تاشر) أكثر ضعفًا.

هوى (سايان) على ركبتيه، لم يستطع استيعاب ما يجري
أمامه، لم يرغب بذلك من الأساس.

لماذا؟

لماذا يفعل (بريموس) ذلك؟

هل كانت أمه وأخته على حق طوال هذا الوقت؟

بدأت الهواجس تعصف برأس (سايان) بينما دخل في
حالة شديدة من الصدمة خدرت حواسه وجعلته غير قادر
على إبداء أي رأي، أو القيام بأي ردة فعل كانت.

ظل مكانه يشاهد الأول يأخذ قسمة بعد الأخرى، حتى
تحولت خصلاته لذلك اللون الثلجي المألوف، وحتى تبنت
أعينه اللون الأزرق الذي انتمى لمقلتي أبيه.

بعد ما اختفى (تاشر) تمامًا، استقام الأول على رجليه
وأمعن النظر في (سايان) الذي تصلب مكانه في هلع تام.

لم يكن (سايان) قادرًا على تكوين الكلمات في هذه النقطة من الزمن، لم يستطع فعل أي شيء إلا التحديق في أعين القتاتل الذي لم يعد يميزه.

ويغمضة عين، اختفى (بريموس) على الأنظار.

كان المشهد التالي أصعب مشهد رآته (رعد)، كان السواد محيطًا بها، تكاد لا ترى شيئًا، فقط أشباح وأطياف والكثير من الضباب، ولكنها سرعان ما تمكنت من تمييز شيء ما، على الأرضية الصخرية القاسية تمدد جسد (سايان) المتورم.

ملأت الندبات ظهره، والكدمات المتلونة على كافة أنحاء جسده، آذانه المديية تخللتها الشقوق والجروح، لطخات من دمائه الزرقاء تظهر على بدنه، وقطرات أخرى متناثرة من حوله.

صاح صوت سوط جلدي قاسي الملمس بينما لسع ظهره بعنف، صرخ (سايان) متألماً ولكنه لم يقوَ على المقاومة، أكمل السوط الانقضااض عليه بقسوة شديدة أدمت بدنه عند كل ضربة.

تبعث (رعد) السوط حتى وصلت لمصدره، كانت (مورتم) تحمل الطرف الآخر، بوجه يستشيط غيظًا وحنقًا، في كل مرة تنزل فيها على ابنها سخطها تصبح أكثر غضبًا، وكان غليلها يزيد ولا ينقص.

نطقنت (مينرفا) بنبرة مستتبة لا تتغير: وما السبب غير
الهدف الدائم؟ الحفاظ على التوازن ما بين الأكوان.

سأل (بيلور) بفضول: وهل هناك طريقة تمكثنا من
مساعدتك للوصول لمبتغاك جلالتك؟

أومأت (مينرفا) برأسها: هزيمة الأول.

قاطع (خافير): وكيف تتوقعين منا فعل ذلك؟ هو من لم
يتمكن من هزيمته إلا حارس السماوات (كايلوما)؟ أم تنوين
الزحف معنا جلالتك؟

هزت (مينرفا) رأسها نفياً: نحن وصلنا لمنتصف الطريق،
كل ما تبقى هو النصف الآخر.

ما أن انتهت من جملتها حتى حدقت بأخيها في صمت
تام مما أثار غضبه: إيش بك؟ إيش دخلني أنا بالموضوع؟

قالت (مينرفا) بنبرة ناهية: لا تعتقد أنك قد انتهيت فقط
لأنك تشككت مجدداً، لتستعد ما كان لك يوماً، إن كنا نأمل في
الوقوف ضد الرجال الأول فنحن نحتاج إليك بكامل قوتك.

جحظ (نوروي) بفزع شديد: لا، لا، لا، لن يحصل!

ردت (مينرفا) بقسوة: أئنوي الوقوف مكبل اليدين بينما
تنطبق السماوات والأرض بعضها فوق بعض؟ سيدمر الأول كل
شيء في الوجود.

أجفل (نوروي) غير مدركٍ لسبب تأثيرها الشديد، ولكنه أحس
بقطرات مالحة ودافئة تلتقي بمنابت شعره، مما سبب تصلبه
بشكل أكبر، لم يعلم يوماً كيف يواسي شخصاً في هذه الحالة
من البؤس، وكأن الأحداث التي شاهدها حصلت لها هي.

كانت تشهق وتنفس بصعوبة، غير قادرة على النطق
هي الأخرى.

ظن (نوروي) في قرارة نفسه أن سبب تأثيرها الشديد كان
بسبب ارتباطهما، فعقد الدم هو رباط وثيق وعتيد بين سيد
وخادم، يصل ما بين وجودهما حتى تربط مشاعرهما وحتى
أفكارهما في بعض الأحيان، لذا من الممكن أنها تمكنت
من الولوج لهذه الأحاسيس بشكل أكثر من اللازم.

ظل (نوروي) يابساً حتى هدأت هي وبدأت تحاول النطق
بصوت متهدج: ... أنا أسفة، أسفة أنك مررت بكل هذا.

رد (نوروي) بسخرية: تحصل.

أمسكت (رعد) رأس (نوروي) بين يديها ورفعته لتلتقي
أعينهما: مرورك بهذه الأمور ليس بالأمر السهل إطلاقاً، أنا
ممتنة أنك موجود، وممتنة أنني استطعت معرفتك. ما حصل
ليس خطأك، أنت لست المَلُوم، لم تكن تعلم عن شيء،
لا شيء على الإطلاق!

ارتسمت ابتسامة على شفتي (نوروي)، تلك الابتسامة
الساخرة التي اعتاد لبسها، ولكنها سرعان ما انطوت أطرافها

للأسفل حينما بدأت رؤيته تضحل إثر الدمع الذي بدأ
بالتشكل مشكلاً طبقة مهتزة على مقلتيه.

لم يستطع تدارك نفسه ورمى برأسه في حضن سيده التي
مررت يدها على خصلات شعره الفضية، تلك الخصلات
التي شابها لحد كبير الخصلات التي انتمت لوالدته التي
قامت بنبذه.

كان (نوروي) يجهش بكاءً ويتأوه بحسرة وكأنه يبكي لأول
مرة في حياته، ومن يعلم، قد تكون هذه أول مرة فعلاً.
لم يسبق لـ (رعد) رؤيته غير قادر على الرد بشكل متهم
على أمر ما، كان يصيح ويتحجب كفتى صغير في أحضان
والدته، كمن تجشم مشقة الحياة وعواقب ماضٍ عسير لم
يكن يستطيع تغييره.

ظلت (رعد) تمرر يديها بحنان على رأسه حتى انتهى
وأفرغ ما بجعبته، وما أن هدا حتى نادى عليه: (نوروي)،
عليك أن تعدني بشيء.

رفع (نوروي) رأسه ناظراً إليها بأعين مرهقة: ما هو؟

حدقت (رعد) في بؤرتيه بعمق: إن ظننت في يوم أنني
غير قادرة على اتخاذ القرار الصحيح، إذا تم التلاعب بي من
قبل أحدهم، إذا غبت عن الوعي وهدد أحدهم حياتي، فعليك
التخلص من المتسبب، بغض النظر عن من يكون، أنفهم؟

سأل (نوروي) بصوت مبحوح: وليس هذا الأمر فجأة؟

أمسكت (رعد) بوجهه الشاحب بين كفي يديها: إن الحرب
غير عادلة، ولا يمكنني الوثوق في أحد، وخاصة صنّاع
السلام، فأنا أبغض قدرتهم على جعل البشر دُمى متحركة.

حذق فيها (نوروي) لبرهة قبل أن يرمي برأسه بضعف،
فقامت برفع رأسه لتساوى أعينهما وقالت بجديّة تامّة:
هذا أمر.

رد (نوروي): أمرك، سيدتي.



رحب الملك (ماتع) بحفاوة: عودًا حميدًا يا (نوروي)،
لقد اشتقنا إليك.

ابتسم (نوروي) بمكر: ما كنت أدري أنكم تحبوني لذي الدرجة.
تبسمت (رعد) إثر رؤية (نوروي) بهذا المزاج المستقر
نوعًا ما، لطبيعته التي رغم عدم كونها من أفضل ما واجهته
في حياتها إلا أنها هي تلك الهيئة التي اعتادتها، تلك
التعليقات الساخرة، والنبرة المتهكمة، النظرات الشائكة،
والابتسامة الماكرة.

كانت جميعًا مكونات تتوج ما بدا من خارجه، لتبني صورة
واحدة نمطية لقرين مزعج ينتهك مساحتها الشخصية للآخرين.

إذ رغم تقلب آراء الشعب بما كان يدور بينها وبين ما
أصبح لها أقرب من جبل الوريد، ما عُقدت حياتها بحياته،
كان هو عنصرًا أساسيًا، الكائن الوحيد المستقر في ارتباطه
بها خلال أكوان متعددة، رغم قساوة الظروف ومآسي
الحروب، كان هو باقيا، وربما كان سبب عدم شعورها
بالأريحية طيلة الفترة السابقة هو العقدة التي تكونت على
جبل القدر الذي ربط ما بينهما.

أصبح صوت حديثه يصدي في الخلفية بشكل غير واضح
بينما تأملت (رعد) في محيطها متفحصة، منتظرة لقاء أعينها
بزوج من الأعين الذهبية، إلا أنها لم تلقهما.

اعتراها القلق للحظات لم تطل حين صدح صوت صرير الباب، تبعته خطوات مألوفة.

التفتت إلى المدخل لتجد ما كانت تبحث عنه، شعره الداكن يبدو فوضويًا إلا أنه يناسبه لسبب ما، تتدلى قطعة قماشية من على كتفه، يبدو مرهقًا ولكن أكثر من ذلك، يبدو جزعًا، وكأنه يفكر في مئات الأمور في آن واحد.

وقبل أن تستطيع (رعد) أن تحييه حتى، تبعه (خافير) الذي لبس ابتسامة منتصرة على شفثيه، وكأنه فاز بجائزة ما، تمشى بخطوات جامحة قبل أن يقف بجانب تلميذه ويصرح: لقد أتينا لكم بضيوف مهمين! رحبوا بهم هيا!

وضح التعجب على معالم جميع الموجودين قبل أن تخطو وراءهم طفلة صغيرة حافية، ترتدي ثوبًا أبيض بسيطًا، تمتلك شعرًا ذهبيًا طويلًا يصل لأخمص رجليها، ترتدي طوقًا مصنوعًا من الأغصان والأزهار التي تعددت في ألوانها الزاهية، عيناها سوداوان داكنتان ومقلتاها تتلونان بلون ذهبي ساطع.

ميزتها (رعد) على الفور وحتت رأسها في تحية: جلالتك (مينرفا).

حيثها الملكة بشموخ: ابنة السماء، نلتقي أخيرًا.

تيسر الجميع في أماكنهم إثر هالتها القوية، أحسوا بمزيج من التخوف ولكن الأهم، أحسوا باحترام يفرض نفسه عليهم بشكل مهيب بينما وقفت هي مكانها بلا حراك وبملامح باردة لا تنم عن شيء.

نزل (نوروي) من الهواء بهدوء، تتخلل معالمه الصدمة
العارمة: (ميرفا)، إيش جابك هنا؟ هادي مخالفة للقوانين!

نظقت (ميرفا) بنبرة هادئة: تم إطلاق سراح الأول، الأكوان
جميعها غير مستقرة، ما أهمية القوانين إذا تدمرت العوالم
التي تخدمها؟ لا وجود للتوازن في هذا المسار.

ابتلع (نوروي) ريقه بصعوبة، بينما شاهد أخته تخطو
داخل أراضٍ بشرية لأول مرة في حياتها، أساريه منهكة
ومهمومة بشكل واضح، فوجود (ميرفا) هنا بنفسها عوضاً
عن أحد مرسلها يعني أمراً واحداً،

أن هناك أمراً طارئاً يجبرها على النزول من عرشها، أن أكبر
حرب يعرفها الوجود بعد الحرب الأولى تطرق على الأبواب.

أدرك (نوروي) ذلك، عدد الوفيات المهور الذي يحوم
فوقهم الآن، اندلاع نيران حروب لا تقتصر على كون واحد،
بل على كل السبعة، لم يعد هناك مخلوق واحد في جميع
هذه العوالم في مأمن، لقد كان متيقناً من ذلك.

وبينما كان (نوروي) غارقاً في سوداوية تلك الأفكار،
وقف كلٌّ من الملك (ماتع) والقائد (بيلور) ليحيي كلٌّ منهما
الملكة بخنوع، كلٌّ منهما بيد محاذية لقلبه بتوجس.

بدأ الملك (ماتع) بالحديث: ما الذي توارى وراء شرف
زيارتك لنا في هذا اليوم جلالتك؟

مهمة

«إذا هذا كل شيء؟»

سأل القائد (بيلور) بينما جلس على إحدى الأرائك مستمعاً لتقرير (مالين) عما استطاع تجميعه من المعلومات عن عدوهم الجديد.

أوماً (مالين) برأسه: هذا كل شيء سيدي.

تنهد الملك (ماتع) الذي تمقعد على إحدى الأرائك المجاورة: لم تستعلم عن أي من نقاط ضعفه؟ كيف تمكنوا من هزيمته لأول مرة؟

هز (مالين) رأسه نفيًا قبل أن يقاطعه صوت (نوروي): (كايلوما) هو اللي قدر عليه.

التفت الكل إلى المدخل ليلقوا بأنظارهم على (رعد) و(نوروي) الذي طفا فوق رأسها كما اعتاد أن يفعل بينما تقدمت هي لتقف بجانب (مالين) وتقوم بأداء تحية عسكرية قبل أن تتحدث: جلالة الملك، القائد (بيلور)، لقد أتى (نوروي) ليزودكم بجميع المعلومات التي قد نحتاجها خلال هذه الحرب.

قطب (نوروي) حاجبيه مز مجرأ: وإيش اللي حيخليها
تسمح بهادا الموضوع؟ ما حسمح لي! أنا عارف!

نطقت (مينرفا) والتعجب يقطر من لسانها: تسمح؟ ولم
تحتاج الإذن لاستعادة ما ينتمي إليك؟ استعد ما تبقى منك
لتكمل وتقف على أرجلك مجدداً كما فعلت من قبل.

بدأ صدره يتحرك متهدجاً كأمواج بحر هائج تلقي بأنفسها
بقسوة على خشونة ساحل صخري، دقات قلبه المتسارعة
مصاحبة لضيق في التنفس، تخطت الهواجس بين صدوع
عقله المتشتت، غير قادر على إنتاج فكرة واحدة.

بدا كل شيء ضبابياً ومبهماً حتى وضعت سيده يدها على
كفّه وتبخرت أوهامه.

قالت بدفء لم يعتده: لا تقلق، ستمكن من حل هذه
المعضلة كما فعلنا مع غيرها من الأمور.

فقط حينها بدأت دقات قلبه بالاستقرار من جديد، لا بد
أن عقد الدم يجعل لكلماتها وزناً مهولاً على مسامعه.

أحالت (مينرفا) بنظرها إلى (رعد): ابنة السماء، وحدك
أنت قادرة على مرافقة أخي في هذه المهمة الوعرة، بحكم
عقد الدم ما بينكما فأنتما تشكلان جزءاً بعضكما من بعض،
فإذا أردت الولوج للهاوية فهذا هو العامل الوحيد الذي
سيسمح لك بذلك.

أومات (رعد) برأسها قبل أن تصرح بما ورد بداخلها:
الأمر يرجع لما يريده (نوروي)، فالأمر يخصه هو ولن أمره
قسراً، إن أراد الذهاب كان بها، وإن أراد غير ذلك فأكتافنا
بعضها ببعض.

خيم الصمت على المكان قبل أن يقاطع القائد (بيلور):
(رعد)، مع كامل احترامي لقراراتك الخاصة وارتباطكما
الدموي أيًا كان، فإنك تعبين بموازين البشرية، لتنتهيا من هذا
الأمر حتى تتمكن من امتلاك فرصة ما على الأقل!

لوحث (رعد) بيدها في الهواء في غير مبالاة: لتحترق
البشرية، كلمتي بكلمته مهما كان قراره.

حذق (نوروي) بها بأعين جاحظة ومعالم مبهمة تتراوح
ما بين محاولات استيعاب وتعجب تام، لم يتمكن من إدراك
ما قالته للتو، فقد قامت برمي الأكوان السبعة برمتها لتتمكن
من الوقوف بجانبه في قراره مهما كان، ورغم توجسه السابق
فتصرفها هذا قام بمسح جميع الشكوك المتوارية وراء ذعره،
فقد تحقق الآن ممّا أراد فعله.

حماية سيده مهما كلفه الأمر، وإن كان ذلك السعر هو
حياته، أو غيره، أيًا كان الأمر، فهو لن يقف عند أي شيء.

تسللت أصابع (نوروي) لتمسك بيد (رعد) التي ارتاحت
على كتفه لشوان اكتسحها الصمت قبل أن يلتفت إلى أخته
مومثاً برأسه.

تأملت (مينرفا) أخاها الذي عدل عن قراره في لحظات:
أهذا يعني موافقتك؟

أخذ (نوروي) نفسًا عميقًا: لننقذ الأكوان الملعونة.

خيم الظلام على قصر السيد (فياض) وساد الهدوء
التام، فقط أصوات خفيفة لصرير ألواح الخشب تحت
خطوات (رعد) المثقلة. كانت قد بدأت في الغرق في
أفكارها كما يفعل الشخص عادة قبل أي مهمة قد تكون
انتحارية أقرب منها لأي شيء آخر، كانت لديها فكرة طفيفة
لما قد تكون مهمتها هي ولعنتها، زيارة (مورتم) واستعادة
ما كان ينتمي لـ (نوروي).

إلا أنها كانت متوجسة من زيارة الهاوية، لم تعلم ما قد
تفعل إن رأت أم (نوروي) و(مينرفا) على أرض الواقع، فطيفها
وحده كان مهيبًا بشكل لا يتصور.

أطلقت تنهيدة عالية بينما قادتها أرجلها إلى المدخل
الرئيس للقصر، فألقت بوزنها على إحدى دفتي الباب دافعة
إياه ليقوم نسيم الليل البارد بمداعبة خصلاتها الفوضوية إثر
محاولات نومها الفاشلة.

أخذت نفسًا عميقًا بأعين مغلقة، وما أن أطلقتته وقامت
بفتح عينيها مرة أخرى حتى التقى نظرها بظهر كبير وعريض
المنكبين ينتمي لشخص عرفته أشد المعرفة.

تقدمت حتى وصلت إليه واتخذت مجلساً بجانبه على
العتبات الصخرية القاسية.

«لم تستطع النوم؟»

سألت بقليل من السخرية.

التفت إليها صاحب الأعين الذهبية وحدثها بالوهلة
بصمت تام، سألت مرة أخرى: (شهاب)، ما بك؟

لم ينتظر (شهاب) أكثر من ذلك وتفوه بشيء على
عجالة: (رعد)، أعتقد أنني أكن لك مشاعر.

كادت (رعد) أن تقفز من مكانها إثر اعترافه المفاجئ،
وبدأت بالسعال بتوتر وأعين جاحظة لم تستطع البقاء مكانها.

ارتسم القلق على معالم (شهاب): ما بك؟ هل أنت بخير؟

لوحث (رعد) برأسها نقيًا قبل أن تهدأ من نوبة الكحة
التي اعتلتها: ما الذي قلته للتو؟

ظهر طيف من الإدراك على معالم (شهاب) يعلوه القليل
من الإحراج: آه، نعم. أنا أكن لك مشاعر. لم أكن أعلم عما
دهاني حتى تداركت الأمر مع نفسي.

حدثت به (رعد) بحاجيين مقطبين، كان هذا آخر شيء
توقعت سماعه الآن، وبينما لم تكن هي ساذجة بشكل كافٍ لعدم
رؤيتها لبوادر الأمر منذ مدة، إلا أنها ظنت أن أولويات الناس قد

تماشي أولوياتها عند اقتراب نهاية العالم كما نعرفه، فبين حروب وأكوان متخبطة، كان اعتراف مفاجئ أكثر ما أربكها.

تمكن منها الفضول: ولم تخبرني بهذا الأمر الآن؟

أجابها بنبرة هادئة، دافئة اعتادتها هي: نحن نقف على ضفة نهاية العالم، لن أرغب بأخذ سري معي إلى القبر إن كانت تلك نهايتي في هذه الحرب.

همهمت (رعد) بشفاه مزبومة: عجيب.

ألقى (شهاب) بمقلتيه الذهبيتين عليها بنظرة تملؤها خيبة الظن ونوع من أنواع السخرية: أهذا هو ردك؟

تلعثمت (رعد) في حديثها: ل- لا، أعني... لا أعلم، لا تمازحني بهذه الطريقة.

قرص (شهاب) جسر أنفه متحسراً: لا أدري ما كنت أتوقع، لكن لن ألوم إلا نفسي التي اختارتك.

خرجت (رعد) عن صمتها: (شهاب)! أنت تعلم أن الوقت غير مناسب! أنا لا أعلم ما الذي يحدث، لا أعلم ما إن كنت سأعيش غداً أم لا، لا أعلم إن كنت قد تخطيت تعقيداتي السابقة، جميع المعطيات مجهولة بالنسبة لي!

ارتسمت ابتسامة خفيفة على زاوية فمه: أنا لا أنتظر منك ردًا، أردت فقط التخلص من الوزن الذي اعتلى صدري، لن أذهب إلى قبري مثقلًا من (رعد) الحمراء.

نطقنت (مينرفا) بنبرة مستتبة لا تتغير: وما السبب غير
الهدف الدائم؟ الحفاظ على التوازن ما بين الأكوان.

سأل (بيلور) بفضول: وهل هناك طريقة تمكثنا من
مساعدتك للوصول لمبتغاك جلالتك؟

أومأت (مينرفا) برأسها: هزيمة الأول.

قاطع (خافير): وكيف تتوقعين منا فعل ذلك؟ هو من لم
يتمكن من هزيمته إلا حارس السماوات (كايلوما)؟ أم تنوين
الزحف معنا جلالتك؟

هزت (مينرفا) رأسها نفياً: نحن وصلنا لمنتصف الطريق،
كل ما تبقى هو النصف الآخر.

ما أن انتهت من جملتها حتى حدقت بأخيها في صمت
تام مما أثار غضبه: إيش بك؟ إيش دخلني أنا بالموضوع؟

قالت (مينرفا) بنبرة ناهية: لا تعتقد أنك قد انتهيت فقط
لأنك تشككت مجدداً، لتستعد ما كان لك يوماً، إن كنا نأمل في
الوقوف ضد الرجال الأول فنحن نحتاج إليك بكامل قوتك.

جحظ (نوروي) بفزع شديد: لا، لا، لا، لن يحصل!

ردت (مينرفا) بقسوة: أئنوي الوقوف مكبل اليدين بينما
تنطبق السماوات والأرض بعضها فوق بعض؟ سيدمر الأول كل
شيء في الوجود.

ارتبك (إيكول): ... لا تكن قاسيًا، هم جنودك، حتى وإن كانوا مختلفين عن المعتاد.

همهم الأول: لا طبيعة بشرية، ولا قدرات الرحالة، مسوخ خارج نطاق الطبيعة.

صمت (إيكول) لبرهة في حيرة من أمره قبل أن يتحدث الأول مجددًا: مثلي...

تدلت خصلات ذهبية أمام عينيها برفقة قرنين داكنين، يحومان تحت سقف مضجعها بينما استلقت هي على فراشها.

كان هذا المنظر آخر شيء توقعت (رعد) رؤيته رغم جنون تيارات الأحداث الأخيرة، إلا أن رؤية ملكة الطهارة والحكمة (ميرفا) تحوم فوق رأسها كانت شيئًا عجيبيًا، وليس هي فحسب، فقد اكتظت الغرفة بمجموعة من الناس، تتراوح رتبهم ما بين أفراد من رجال الجيش، ملوك، ونبلاء.

في هذه النقطة من الزمن لم يعلم أحد كيف تراحموا هنا بهذا الشكل، حتى بدؤوا بمحاولات طرد بعضهم بعضًا.

تدخل (شهاب) بينما تحرك بصعوبة فيما بينهم: حسنًا، لنهدئ من روعنا قليلًا، أعتقد أن آخر ما نحتاجه الآن هو بث التوتر في بدن (رعد).

هز (نوروي) رأسه موافقًا بينما استلقى بجانب سيدته: من جد طفشتونا ترى.

عقدت (رعد) حاجبيها: ما قصدك؟

هز (شهاب) كتفيه بتهكم: لا أقصد شيئاً.

تنهدت (رعد) بثقل قبل أن تزفر: حسناً، لتتفق على شيء.

قال (شهاب) بفضول: قل لي ما عندك.

نظرت (رعد) إليه بجدية: إن كُتبت لنا النجاة، وتمكننا من الخروج من هذه الفوضى على قيد الحياة، فأنا أعدك بأن أفكر بالأمر بجدية. ما رأيك؟

صمت (شهاب) متأملاً ما إن كانت تمازحه أم لا، ولكنها كانت تعني ما تقوله، فقهقه قليلاً، ثم سأل: وإن لم ننج؟

هزت (رعد) كتفيها: سنحل المسألة في الحياة الأخرى.

سأل (شهاب) ممازحاً: وأي حياة تكون هذه؟

ردت (رعد) بثقة: أي حياة نجد أنفسنا فيها.

أوماً (شهاب) برأسه: اتفقنا.

لم تنطق (رعد) فقط اكتفت برفع خنصرها في الهواء، ليقوم هو بالمثل ليعانق خنصره خنصرها ويتم اتفاقهما.



الهاوية

هبّت ریح هوجاء تتلاطم ببرودة قاسية مع أعمدة صخرية
اكست بتكتلات جليدية متطفلة فرضت نفسها على ما تبقى
من المحيطات بعنف وهمجية، تارة تتسلق الجدران، وتارة
تغطي الأرضية.

كان قصر (كيستون) قد تغير بشكل مفرع منذ أن استولى
عليه الأول، فأصبح الطقس الخارجي يمثل البرودة الداخلية،
كان الصقيع هو السمة الشائعة في كل زاوية، وكلما اقتربت
المسافة من الأول، أصبح الجو أكثر تجمداً.

لم يعلم أحد عن موقع الملكة السابقة لـ (كيستون)،
ولا عن قائد جيشها، كانا وكأن الريح هبت وأخذتهما، لا أثر
لهما. لكن الأول لم يهتم، فهو لا تستهويه السياسة البشرية
السائلة، فلا قوة تعلوه ولا شروط تحتويه، هذا جل ما كان
يريده، الحرية التامة.

جلس الأول على عرش الملكة السابقة بدون أي حركة،
وكانه بانتظار شيء ما، حتى فتح الباب على مصراعيه.

«هل اشتقت إلي؟»

سأل (إيكول) بسخرية وابتسامة مأكرة بينما شق طريقه تجاهه.

رد عليه الأول بسؤال: هل أحضرت ما أمرتك به؟

أوماً (إيكول) برأسه: بالطبع، أمتع عينيك بأحدث وأقوى أفراد جيشك الكاسر. هيا يا أولاد لا تطيلوا على والدكم!

ما أن نادى حتى بدأت أصوات خطوات مديبة بالضرب على أسطح الأرضية المثلجة بقسوة ليتدفق إلى قاعة العرش عدد من الجنود المدرعين بالسواد التام، جميعهم عظام القامة، وشديدو البنية، شكلوا صفوفًا منتظمة أمام الأول ووقفوا مكانهم حينها.

ترجل الأول من مكانه بهدوء تام ونزل العتبات التي تسبق عرشه ليقف أمام جنوده الجدد.

سأل الأول بنبرة باردة لا تتغير أبدًا: وكم مقدار تحملهم؟

أجاب (إيكول) بثقة: يمكنك الاعتماد عليهم.

تفحص الأول أحد الجنود الذين وقفوا أمامه محدقًا بالسواد تحت خوذته الحديدية: لا يزالون بشرًا.

قال (إيكول) بتهكم: نعم، هذا أصلهم الدنيء، لا نستطيع تطهيره للأسف.

حدق الأول تجاه (إيكول) وكأنه يعطيه فرصة أخرى لتعديل موقفه، لاحظ (إيكول) ذلك وتابع حديثه: أعني بشرًا غير منعمين بقدرات الرحالة، كانوا طبيعيين تمامًا.

أحال الأول بنظره عن (إيكول) وأعادته إلى الجندي أمامه: هم مسوخ....

قهقهه المستشار (خافير): ولكنك تبدو في قمة الراحة.

حدقت (مينرفا) تجاههم مبدية انزعاجها من حديثهم
التافه: لتلتزموا جميعكم بالصمت، هذه المهمة تتطلب تركيزًا
تامًا، وهذا يشملك أيضًا يا أخي.

لوح (نوروي) يده بتحية مازحة: حاضر سيدتي.

سألت (رعد) ييأس من حالتها: هل هذه الطريقة الوحيدة
للوصول إلى الهاوية؟

رمشت (مينرفا) عدة مرات بهدوء: أعني إن لم تمنعني التسلل
لدولة (ريليجيو) وبوابتها المحروسة من قبل لعنات (إيكول).

أجابت (رعد) على الفور: لا، أنت محقة، لنبدأ؟

أومأت (مينرفا) برأسها: سأقوم بدفعك للحاجز القابع ما
بين عالمناء وعالم الأموات، ولفعل ذلك يجب أن تكون
إحدى رجليك هنا، والأخرى في قبرك، سيكون كل شيء
مضمحلًا وداكنًا ولكن عليك التثبيت بالحياة، بالجبل الذي
يربطك بهذا الكون. إياك وأن تتبعني خيالًا ما، حتى من
تظنين أنك تعرفينه، اتبعني أخي فقط، أتفهمين؟ إن حالت
الأمور للسوء فهو من سيقوم باقتلاعك من ذلك المكان.

هزت (رعد) رأسها بالموافقة بينما أكملت (مينرفا): لا تطيلني
مكوئك وإلا فستسبحين بين أصابع الموت لبقية العمر، وعندما
ترين أمي تجنبني النظر إلى عينيها بشكل مباشر، واضح؟

تذمر (نوروي): خلاص طولتيها ترى.

أحالت (مينرفا) بنظرها إلى أخيها: حاذر أين تخطو واعتنِ بسيدتك.

أوماً (نوروي) برأسه قبل أن تغلق (مينرفا) عينيها لتأخذ
نفساً عميقاً رافعة ذراعها في الهواء ومن ثم بحركة سريعة منها
سقط النعاس على أجفان كل من اللعنة وسيدته ليغفوا بعمق.

كسا الظلام المكان بشكل مريب بينما تدفق الضباب الكثيف
في الأرجاء، بدا الهواء ثقيلًا على الرئتين لسبب ما، وكأن وزنًا
تشكل فوق صدرها. التفتت (رعد) يمينًا ويسارًا تمسح محيطها
حتى التفت أعينها بزوجين آخرين مطعمين بالزرقعة.

ظهر الإرهاق على (نوروي) وهز رأسه وكأنه يهز الأفكار
من عليه: هادا المكان يجيب الصداق.

ارتسمت ابتسامة اعتذارية على معالم (رعد) وقامت
بالتزيت على كتفه: لنسترد ما ينتمي إليك.

أوماً (نوروي) برأسه موافقًا لينظر كلاهما إلى الأفق قبل
أن يمر طيف أسود من أمامهما بشكل سريع، أجفلت (رعد)
وتمسكت بكم (نوروي) على عجلة، ولكنه لم يمنحها وقتًا
للراحة وبدأ بالمشي في اتجاه ما.

تفحص (نوروي) محيطه بينما أخذ خطوة واثقة وراء
الأخرى: لا تعيرهم أي اهتمام، فهذا ما يريدونه منك بالضبط.

سألت (رعد) بتوجس واضح: وما يكونون هم بالضبط؟

همهم (نوروي): أرواح تائهة، لم تجد طريقها للقاع، أو تتمسك بما أوتيت من قوة لأنها تملك أمورًا معلقة في أحد الأكوان.

صمتت (رعد) وكأنها تحاول استيعاب تلك المعلومات، ولكن صوت نداء خافت شد انتباهها، نداء باسمها، على رنة مألوفة.

«أبي؟»

قالت (رعد) بفرع وعدم فهم قبل أن يهزها (نوروي) من كتفها ليوقظها من أفكارها: لا تسمعي لهم، هم يستدرجونك.

تمالكت (رعد) نفسها وأومات برأسها موافقة، ولكنها كانت تفيض بالأسئلة عن طبيعة هذا المكان وسكانه، أسئلة فضولية بحتة كانت واضحة على معالمها.

همهم (نوروي): قولي إيش عندك؟

لم تستطع (رعد) التحكم بلسانها آنذاك: لم تعيش والدتك هنا؟ ألم تجد مكانًا أكثر... بهجة؟

تنهد (نوروي) بينما أكمل مشيًا: (مورتم) هي المسؤولة عن هادا المكان، عن الأرواح التائهة والكينونات المتطفلة، حتى ينزلوا للقاع.

سألت (رعد): الكينونات المتطفلة؟

هز (نوروي) كتفيه: بعض الأرواح التائهة تجلس في الهاوية لفترات طويلة، وهذا شيء غير طبيعي، وكلما طالت المدة

كلما فقدوا أجزاء من أنفسهم، وذكرياتهم حتى، ولمن يصير
هذا الشيء يتحول حالهم من أرواح إلى كائنات تبحث عن أي
شيء تسكنه، جسد، أو روح ثانية أكثر ثبات.

قطبت (رعد) حاجبيها من تلك الفكرة المزعجة، من
كينون طفيلي يرتبط بها بهذا الشكل المريب، ثم أدركت شيئاً
ومسبقها لسانها: أليس هذا ما تكونه أنت بالنسبة لي؟

تيس (نوروي) مكانه والتفت إليها بتعجب واضح، تليه
لحظات من الصمت التام: ... أعتقد لمن تقولها زي كدا،
مممكن. بس أنا غير.

أمالت (رعد) رأسها: وكيف يكون ذلك؟

أحال (نوروي) بنظره إلى الأفق الضبابي أمامه وأكمل
سيراً: أنا... لم أكن كائن حي. أنا روح مالكة، أو كنت روح
مالكة بالأصح.

سألت (رعد): وما الفرق؟

بدا الانزعاج واضحاً على معالم (نوروي)، فوضع يده
على وجهها وهزه: طفشتيني! مو لازم تعرفي كل شي ترى.

أزاحت (رعد) يده عنها: ما عساني أفعل؟ لدي تعطش
عظيم لهذه الأمور.

توقف (نوروي) عن المشي عندما وصلا لبرج سامق
العلو، متفحصاً إياه بأعين مضطربة: حشوفي الفرق الآن.

تأملت (رعد) المبنى بجزع واضح، كان الهواء يبدو أثقل حتى في هذه الجهة من الكون، لم تعلم لماذا حتى انقشع بعض الضباب من أمامها لترى حافة الهاوية العظيمة، كان يبدو وكأنه نهاية العالم.

لا شيء من بعده، فقط حافة صخرية يليها فراغ تام يمتد إلى الأبد.

كان منظرًا موبقًا يرسل القشعريرة في ظهر كل كائن حي، ولم ترغب بالاعتراف بذلك الأمر أمام (نوروي)، ولكنها لم ترد الدخول إلى ذلك المبنى بتأًا، لم يكن مظهره مشجعًا، ولم ترتخ للفكرة في صدرها أبدًا.

ولكنها استجمعت نفسها عندما ألقت بنظرها على معالم (نوروي) الواهنة، هو من كان يحمل ذلك الخوف في قلبه، وإن كان يجب على أحدهما التشجع فالاختيار يقع عليها هي.

ربت (رعد) على كتفه بحزم: لنذهب؟

اكتفى (نوروي) بهز رأسه كإجابة ليخطو كلاهما خلال بوابة طويلة حالكة السواد إلى مضجع الموت.

وما أن فعلا حتى أغلق الباب من ورائهما بقسوة مخلّقا صدًى يتضارب وقعه في الأنحاء، ورغم وجودهما في الداخل كان الضباب ملازمًا لهما وكأنما تسلل خلسة معهما.

تجلدت (رعد) وابتلعت ريقها بصعوبة محاولة تقصي معالم المكان، ولكن بلا جدوى، كان السكون الداكن هو ما يقابلهما.

وخلال محاولاتها مر طيف أسود سريع من أمامها،
أخذت خطوة للوراء في محاولة لاستيعاب الأمر حتى مر
مرة أخرى من ورائها لتأخذ خطوة للأمام، وكأنه كان يتلاعب
بها، حتى تكاثرت الأطياف المارة لتدرك أنه ليس واحدًا بل
ثلاثة، يحومون تارة يمينًا وتارة يسارًا. تمسكت (رعد)
بـ (نوروي) بتخوف من المنظر، بينما كان هو يقف مكانه
ثابتًا، وكأن ما أمامهما لا شيء مقارنة بأهوال والدته.

بدأت الضحكات الخافتة تعلو وتصدي من مكانٍ لآخر،
حتى قفز أمام (رعد) زوجان من الأعين المفرغة، يكادان
يلتصقان بوجهها، رمشت (رعد) عدة مرات في عدم
استيعاب لما كان أمامها.

«تلبّسها! تلبّسها!»

ضحك صوتٌ ما مخاطبًا الشيء الذي وقف أمام (رعد).

«لا، إن الملعون يتشبث بها!»

تذمرت الروح الواقفة أمام (رعد) ثم طفت مبتعدة.

«الملعون! الملعون! ما الذي تفعله هنا؟!»

قفزت روح ثالثة لتحوم حول (نوروي) بسرعة كثعبان
يطوق فريسته.

هز (نوروي) ذراعه محاولًا إبعادهم كالذباب: اخرسوا! أنا
جاي أقابل (مورتم).

تجمعت الأرواح الثلاثة أمامهم لتطفو بعضها حول بعض
تتهامس باسمها حتى قفز أحدهم أمامه مجددًا: وما الذي
تريده بملكتنا؟ يا ملعون!

بدأت الروحان الأخريان بترديدها لتصدي الكلمة «ملعون»
بشكل مزعج.

رد (نوروي) بصرامة: ما يخصك، نادية ولا تكثري كلام.

بدأت (رعد) بإظهار ضيقها من ذلك الصداق المتحرك،
حركت يدها للهواء بسرعة لتحاول إطاحتهم بصاعقة تبيد
شملمهم، ولكن لم يحدث شيء، فاختفت الروح من أمام
(نوروي) وعادت لتسبح مع شقيقاتها، يعومون في الهواء
كأسماك في بركة يرددون: «ملعون» ثلاثتهم هذه المرة.

ظهر الارتباك على (رعد): ما الذي يحدث؟ محطمي لا يعمل.

رد (نوروي) بدون أن يحيل نظره عن الأرواح الثلاثة:
المحطمت ما تنفع هنا، لا تحاولي.

بدأت (رعد) بالقلق، فلم تعلم كيف كان بإمكانها الدفاع عن
نفسها إن لم تستطع تسخير السماوات لخدمتها كما اعتادت.

«أمي! لقد جئت لزيارتك!»

بدأ (نوروي) بالنداء بصوت جهوري بعثر الأرواح من
أماكنهم، فأصبحوا يعومون في كل اتجاه متخبطين بعضهم
ببعض حتى اختفوا على مجال رؤيتهما.

سألت (رعد) بتوجس: هل أنت واثق بأن هذه فكرة جيدة؟

هز (نوروي) رأسه نفياً: لا. بس أتحمّل أمي ولا دولا المعاتيه.

ما أن قال ذلك حتى غطى الضباب الكثيف المكان حتى اضمحلت الرؤية، بدأت (رعد) بتلويح ذراعيها في الهواء محاولة إزاحة الضباب ولكنه بدا وكأنه لا يتحرك البتة، وبدا وكأن ذراعيها لا وزن لهما من الأساس، لم تستطع حتى رؤية (نوروي) في هذه النقطة من الزمن، بدأت تناديه عدة مرات ولكنها لم تسمع أي رد، كانت وحدها تائهة في هذه العتاهة الضبابية.

وبينما كانت على هذا الحال، انقشع الضباب من أمامها فجأة وعلى عجل ليتضح لها ممر طويل ينتهي بعرش مصنوع من العظام، تمقعدت عليه امرأة ميزتها (رعد) على الفور.

كانت (مورتم) تتدثر بالسواد كما رأتها في ذكريات (نوروي) بالضبط، لم يتغير بها مقدار شعرة، فارعة الطول، لها قرنان عظيمان أكبر من (مينرفا) و(نوروي) مجتمعين، شعرها فضي يبرق رغم ضمور الضوء، وعيناها سوداوان بشكل كامل، لا تميز ما بين البؤبؤ وما تبقى من العين.

أنزلت (رعد) رأسها على الفور عندما تذكرت تحذير (مينرفا)، وبدأت تحديق في الأرض من تحتها.

«أريني وجهك يا ابنة السماء.»

نزل صوتها على مسمعيها عميقاً ومدوياً.

حنت (رعد) رأسها: تحياتي لجلالتهـا (مورتم)، يشرفني
وجودي على بلاطك.

حدقت (مورتم) تجاهها: سأتشرف برؤية وجهك يا ابنة السماء.

هزت (رعد) رأسها نفياً: لا أستحق شرف رؤيتك يا جلالتهـا،
أنا مجرد متأقلمة متواضعة ترجو رحمتك.

قطبت (مورتم) حاجبيها: أطفالي قاموا بتحذيرك إذا، يبدو
أنهم يهتمون لأمرك.

همهمت (رعد): لا أستحق ذلك الشرف جلالتهـا.

ترجلت (مورتم) من على عرشها: أنت محقة، لا تستحقينه.
ما الذي يجعلك إذا يا ابنة السماء مميزة لهذه الدرجة؟

ازدردت (رعد) لعابها بصعوبة، لم يكن هناك وقت تمنيت
فيه وجود (نوروي) أكثر من الآن، فقط الحديث مع (مورتم)
كان مرهقاً، ومستنزفاً للطاقة.

استجمعت (رعد) نفسها وردت: لا شيء يميزني جلالتهـا،
أنا مجرد رحالة.

خيم الصمت على المكان بينما علت خطوات (مورتم)
فقط وهي تقترب منها، خطوة وراء الأخرى، حتى أصبحت
(رعد) تبصر طرف ثوبها الأسود على الأرض، ورغم ذلك

رفضت رفع رأسها، ولكنها توقفت عن التنفس عندما تعالى إلى سمعها صوت طقطقة عظام قبل أن تتفاجأ برأس (مورتم) يطفو قريباً من وجهها، وكأنما جذعها انقسم من على رجليها والتف ليتمكن من رؤية وجهها.

قفزت (رعد) للوراء بجزع تام، فاقدة التحكم بأنفاسها، قلبها يكاد يخرج من مكانه بينما شاهدت (مورتم) تعيد تشكيل جسدها الملتوي إلى شكله الطبيعي لتقف أمامها بطولها السامق.

قالت بصوت هادئ ونبرة لا تتغير وتيرتها: أخيراً رأيناك. لا تتوتري لو أردت إيذاءك لكنت فعلت بالفعل.

حدقت (رعد) بها لوهلة متأملة لمعالمها، وكأنها نسخة كربونية من ابنتها (مينرفا)، ولكنها سرعان ما تماكنت نفسها وهزت الأفكار من رأسها: أعتذر لجلالتك، إن سمحت نحن فقط هنا لاستعادة ما ينتمي إلى ابنك ونعود أدراجنا.

حدقت (مورتم) تجاهها: ما ينتمي لابني؟ وما الذي يربطك به من الأصل؟ آه، نعم، تقصدين عقد دمكما الباطل.

عقدت (رعد) حاجبيها: باطل؟

أمالت (مورتم) رأسها: نعم، باطل. لأن ابني لا يمكن أن يعقد ميثاقاً كذلك مع أمثالك من الكينونات الدنيئة، حتى وإن كنت ابنة (كايلوما).

ردت (رعد) بتهكم يعلو نبرتها: نعم، أعتذر لتخيب ظنك،
ولكننا مربوطان بعضنا ببعض حتى نهاية الزمان، شئنا أم أبينا.

أوضحت (مورتم) بنبرة قاسية: ليس إن قصصت أنت ذلك
الحبل، فوقتها العقدة التي تجمعكما تنحل، أم لم يخبرك
أحد بذلك؟

تمهلت (رعد) قليلاً متفكرة في الأمر ولكنها هزت كتفيها
بلا مبالاة: إذا هذا قراره هو، وإن رغب بأن أطلقه فله ذلك.

استدارت (مورتم) على كعبها وأخذت عدة خطوات تجاه
عرشها: لا، لن يفعل، لأن ابني أكثر حمقاً من أن يتخذ القرار
الصحيح، ولكنك تبدين عقلانية أكثر منه، لذا ما رأيك بأن
تطلقني سراحه؟

وضح عدم الفهم على معالم (رعد): ولم عساني أفعل ذلك؟

استدارت (مورتم) لتواجه (رعد) مرة أخرى: لأنني سأعيد
لك شيئاً فقدته، شيئاً ذا قيمة أكبر.

تجهمت (رعد): لا.

همهمت (مورتم): هل أنت متيقنة؟ سأمنحك فرصة
لإعادة التفكير.

ردت (رعد) بتهيج: قلت لك لـ -

لم تستطع (رعد) إكمال ما بدا أنه عندما رأت عشيقها
يتسلل من بين الظلال ليقف أمامها، بحلته العسكرية وشعره
الدامس، يقف أمامها كما عهدته بدون أدنى تغيير.

ضيقّت (رعد) عينيها مخاطبة (مورتم): أنا أعلم الآن لم
هرب (نوروي) منك، فأنت لا يمكن معاشرتك.

أطلقت (مورتم) نظرة حانقة تجاهها: ما الذي قلته للتو؟

صرخت (رعد): أنت لا تُعاشرين! كل ما تفعلينه هو تعيير
ابنك ولكن هل تلومينه إن كنت أنت أمه؟

دوى صوت (مورتم) بعنف: ماذا تقولين؟! يا أيتها القذرة
الصغيرة، أستطيع إنهاء حياتك هنا إن أردت!

لم تتراجع (رعد) بتأً، بل ثبتت مكانها بدون حراك:
لتفعلني إذاً، (نوروي) سيبقى بجانبني طالما أراد هو ذلك!
يمكنك التوقف عن ألاعيبك الرخيصة لأن الأمر غير مجدٍ.

عبس (أيهم) عند سماعه لكلامها ولكنه سرعان ما تبسم،
فهذه (رعد) التي أحبها، بكامل مجدها. فرغم مفارقتها لها،
ما دامت هي بخير وسعادة فهو لا يهتم ما إن كان هو في
الصورة أم لا.

التفتت (رعد) إليه لتأمله لآخر مرة: (أيهم)، أنا أحبك،
لكن يجب عليك المضي قدماً، الفقدان ليس مفهوماً غريباً
بالنسبة لي، والموت... شيء يجب عدم العبث به.

أوماً (أيهم) برأسه لابساً ابتسامة خفيفة تطوق شفتيه: كما تأمرين.

وقفت (مورتم) مكانها مذهولة ممّا حصل أمامها للتو، ما
خطب هذين الاثنين؟

لا يمكن أنهما بشريان طبيعيان، فهما يملكان من راحة العقل ما يشيد أممًا!

لا يقيدهما الوله بشيء، ولا يعقد أمرهما أبدًا، بالأصح لا يقيدها هي.

فلو كانت الأمور معكوسة لرأت عشيقها يتلوى عند رجلها يفعل المستحيل ليحاول إعادتها للحياة. أما هي بالمقابل، فحالة شاذة.

أغرب إنسانة مرت على بوابات الموت كانت هي.

طالبت (رعد) وكأنها تفرض هيمنتها: أعيدي إلي (نوروي) ما يفتقده، فهذا حقه الشرعي ولا ينتمي إليك.

شهقت (مورتم) مستنكرة تمامًا ما تسمعه، وكأن قرّدًا يطالب بحكم العالم، لا تمت مطالبتها للمنطق بصلة. «قدرة!»

صرخت (مورتم) بوحشية عندما اندفعت بسرعة فائقة لترفع يدها للهواء لتحاول سحق (رعد) ولكنها قبل أن تصيب هدفها برق ضوء ساطع من جسد (رعد) أطاح بـ (مورتم) للوراء.

نظرت (رعد) إلى نفسها بحيرة، لم تكن هي من قام بذلك، فمن عساه يكون؟

«أتجرئين علي لمس ابنتي يا (مورتم)؟!»

توسعت حدقتها بينما التصقت أعينها به بصدمة عارمة
تخيم على معالمها، لم تستطع تصديق ما رآته، ما الذي
يفعله (أيهم) هنا؟ مدت (رعد) ذراعها لتحاول لمس وجهه
لكنهما اخترقا بعضهما بعضاً كالأشباح.

أصدى صوت (مورتم) بينما وقفت وراء الجنرال: هذا
الوضع لا يدوم في الأكوان السبعة، فأنا أستطيع إعادته
لجسده كما كان ودون أدنى ضرر ليعود إليك، ويمكنكما
العيش في نعيم كما أردتما، بشرط أن تطلقني سراح ابني.

لم تستطع (رعد) نزع عينيها من عليه: (أيهم)، هل هذا
أنت فعلاً؟

ارتسمت الهزيمة على معالمه وهز رأسه: هذا ما تبقى مني.

قطبت (رعد) حاجبيها: ما الذي تفعله هنا؟! لم لم ترحل للقاع؟!
نظر إليها (أيهم) والحسرة تقيد ملامحه: لم أستطع تركك،
هذا ذنبي أنا.

رمشت (رعد) عدة مرات، لم يكن الأمر كما رأت من قبل مع
المتشكلة التي لبست وجه والدتها، كان هذا (أيهم) فعلاً، لا شك
في ذلك. لم تستطع تمالك نفسها، أحست بتخبط شديد في
مشاعرها، ظنت أنها إن استطاعت الإطاحة بالعوالم السبعة من
أجله لفعلت، لكنها لم تقوَ على ذلك الآن، في هذه اللحظة من
الزمن فهي كانت تقف ما بين نارين، ولكن عبث القلب لا يفيد
هنا، فيجب على رجاحة العقل الانتصار.

دوى صوت جهوري، مهيب يث القشعريرة عند كل حرف.

لم تستطع (رعد) إيجاد مصدره ولكنه سرعان ما ظهر أمامها، لم ترَ منه إلا عرض منكبيه وطول قامته، ولكنها ميزته على الفور.

«جلالتك (كايلوما)!»

هربت الكلمات من (مورتم) بفزع واضح، لم تستطع استيعاب الأمر، كون (كايلوما) يقف أمامها الآن لا يمكن أن ينتهي الأمر بدون عواقب وخيمة.

صرخ (كايلوما) بسخط واضح: اضبطي نفسك! واجبك ينص على استقبال الأرواح عندما يحين وقتها وليس حينما أردت أنت! ألا تملكين من المروءة ما يلزم لأداء واجباتك؟

انحنت (مورتم) مائلة لأمره بخضوع تام: أعتذر جلالتك، لم يكن الأمر كما يبدو.

حدق (كايلوما) في (مورتم) بحدة شديدة تكاد تولد الشرارات: وكيف كان إذا؟ أفسرين لي عن السبب القابع وراء تلاعبك بأمور الموتى؟

خيم الصمت المكان حين لم تستطع (مورتم) شرح موقفها: أ- أنا

صاح فيها (كايلوما): يكفي! لبي طلب ابنتي، هذا أقل ما يمكنك فعله بعد كل الفوضى التي خلقتها.

همهمت (مورتم) بتوتر: أمرك سيدي.

ما أن فعلت حتى أخلى الضباب المكان تمامًا، لتسقط أعين (رعد) على (نوروي) الذي وقف على بعد يسير منها، فلوحى تجاهه بخفة بينما اختبأت وراء ظهر (كايلوما)، فقام (نوروي) برد التلويح رغم أن التعجب الشديد اعتلى معالمة.

وبينما كانا على ذلك الحال أضاء نور أزرق المكان عندما هبط قرن مشتعل باللسنة من اللهب من السماء ليقف أمام (نوروي) الذي تأمل مشدوهاً.

تحدثت (مورتم): هذا ما فقدت عاد إلى مالكة الأصلي، لا شيء لك عندي الآن.

تأمل (نوروي) بصمت تام، وكأنه لم يكن مدركاً أن هذه اللحظة قد حانت، فتبسم ولم يستطع الحراك حتى أمره (كايلوما): لتأخذ حقك إذاً.

هز (نوروي) الأفكار من رأسه، ومد ذراعه ليمسك بقرنه المكسور، تذكرته التي تؤهله للعودة إلى السماء العالية إن أراد، التي تعيد أحقيته في وجوده في الأكوان رغمًا عن أنف الجموع، حتى وإن لم يكن مربوطاً بـ (رعد).

أخذ نفساً عميقاً ثم تدارك نفسه وبحركة من ذراعه قام بإعادة وصله في مكانه ليبتلع جسده بأكمله بنار زرقاء وكأنها تقوم بتطهيره وإعادة امتلاكه، ظلت النيران للحظات ثم انطفأت.

توقف الثنائي عن القفز ووقفوا مكانهما متيسين للحظة
قبل أن يؤديا تحية عسكرية رد عليها (كايلوما) بالتبسم.

«و(رعد)، لقد سررت بلقائك.»

قال (كايلوما) برفق قبل أن تحيل (رعد) بنظرها عنه إلى
عشيقها الذي وقف مكانه، ملوحًا بيده مودعًا، لا بسًا تلك
الابتسامة التي ألفتها هي، تلك التي اعتادا على لبسها عندما
افترقا، فردتها له بالمثل.

كان ذلك آخر ما رآته قبل أن تتبدل الرؤية للسواد التام ليستيقظا
حيث كانا من قبل، وما أن رفعوا رأسيهما حتى تعالت صيحات
الانتصار في الأرجاء مرافقة للصفقات الحارة مرحبة بعودتهما.



رمش (نوروي) عدة مرات وتأمل في ذراعيه يمينًا ويسارًا،
أحس بالطاقة تسري مسرى الدم في الجسد، قوة تنبض في
كافة أنحاء جسده.

لقد عادت الشعلة الزرقاء للحياة.

رحب به (كايلوما): عودًا حميدًا يا (سايان).

تجهم الشعلة الزرقاء مباشرة: (نوروي) يعجبني أكثر.

همهم (كايلوما): كما تريد.

جرت (رعد) تجاهه ليتمسك كلاهما بيدي بعضهما بعضًا
ويقفزا من السعادة كطفلين تمكنا من الحصول على مرادهما،
بابتسامات عريضة تشغل وجوههما.

تأمل (أيهم) المنظر أمامه بهدوء لترسم على شفثيه ابتسامة
رضًا، لقد كانت بخير من دونه، لديها من يعاونها ويهتم بأمرها،
لديها أشخاص يمكنها الاعتماد عليهم ويمكنهم الاستناد عليها.
لقد أدى واجبه بحمايتها طالما استطاع، كان هذا يكفي.

لم يكن (أيهم) الوحيد الذي كان يحدق بذلك المنظر،
فكان (كايلوما) يتأملهما أيضًا، متنهدًا ونادبًا على حظه، هذه
هي بطلته إذا؟

نادى (كايلوما) عليهما: لقد أتممتا مهمتكما هنا، لتعودا
من حيث ما أتيتما.

زنزانة

رغم أنها لم تكن إلا جدراناً أربعة، إلا أن طبقات الجليد المتكومة عليها كانت تضيق المساحة أكثر وأكثر، وكأن كآبة الزنزانة وحدها لا تكفي، وبالنسبة لـ (أرثر ريد)، صانع سلام مملكة (كيستون)، فهو ظن أنه بعد سنين طوال من الحياة في أبرد منطقة في العالم سيعتاد قساوة ذلك المناخ، إلا أن جليد الأول كان مختلفاً، يبدو وكأنه أكثر عدائية، أكثر خشونة، وأكثر برودة.

ورغم كونه متدثراً بطبقات عديدة من الأغشية إلا أن البخار كان يتعالى من أنفاسه في كل مرة، لا جدوى من المقاومة مهما فعل. منذ أن وقع تحت رحمة الأول، انقلبت دنياه على عقبها، فلا يعلم أين ملكته، ولا أين جنده، وجل ما يأتيه من أخبار شحيحة كان يصله عن طريق حارس زنزانه الذي كان يتجاذب معه أطراف الحديث المقتضب كل فترة وأخرى.

تعالى أصوات خطوات تنزل على العتبات التي كانت صخرية في يومٍ ما، الآن تغلفها طبقة من الجليد الخشن، حتى ظهر صاحبها ليقف أمام زنزانه كعادته. وقف حارس الزنزانة متدثراً بالسواد الذي يتضارب مع بهاقه يعبث

بمفاتيحه حتى وجد ما كان يبحث عنه ليدفعه داخل المزلاج
فاتحاً باب الزنزانة ودافعاً لطبق من بقايا الطعام ليخرج
مجدداً بخفة ويغلق الباب من ورائه. وقف يتبادل النظرات
مع صانع السلام بصمت قبل أن يميل برأسه ليتحرك معه
خرصه الذي تميز بحبة لؤلؤ كبيرة، وقف محدقاً لوهلة قبل
أن يقطع صانع السلام حبل أفكاره.

تجهم (أرثر ريد): هل أستطيع مساعدتك؟

هز الأبهق كتفيه بلا مبالاة: لا، لا شيء، فقط أدركت كيف
يمكن للحياة أن تطيح حتى بأكثر الأشخاص ثباتاً.

رفع (أرثر ريد) أحد حاجبيه: والحياة لا تستهدفك أنت،
أليس كذلك؟

همهم الأبهق: أعتقد أن الحياة استهدفتني بما فيه الكفاية،
أما هذه المرة فالدور عليك.

صمت (أرثر ريد) لوهلة قبل أن يسأل: أنت متأقلم، لم
خضعت لاستعباد الأول؟

رفع الأبهق يديه في الهواء مستسلماً: أنا أقف في صف
الجهة الفائزة دائماً، إن كانت هذه جريمة فاقبض علي.

أخذ (أرثر ريد) نفساً عميقاً: أنت تحمل الكثير من
التعقيدات النفسية على كتفك، لا تستطيع الثقة بالآخرين

بتأثا، الأغلب أن طفولتك كانت سيئة واعتدت على خيبة
الظن، والأغلب الخيانة.

حدق الأبهق بتعجب: يا له من تحليل، وماذا أيضًا؟

سأل (أرثر ريد) متحديًا: وما هي جائزتي إن أصبت؟

ابتسم الأبهق بمكر: لك ما أردت.

لم ينتظر (أرثر ريد) لينطلق لسانه: تخلى عنك والداك
في سن صغيرة، اضطرت للعيش أو بالأصح النجاة
وحدك، الأغلب كنت يتيمًا، عملت في كافة أنواع الأعمال
الشاقة حتى الأعمال التي تتضمن تلويث يديك. كان لديك
شخص أو مجموعة من الأشخاص الذين تمكنوا من
الولوج لقلبك بعد عناء، إلا أنهم كمثلم من البشر قاموا
بطعنك في ظهرك. لا تهوى الاستقرار، بالأصح تلك فكرة
مرعبة بالنسبة لك، فأنت كثير الترحل والانتقال وتعتمد
على نفسك بشكل كلي، لا تؤمن بالصدقات بتأثا، ولديك
إدمان للمقامرة.

تعالى الضحكات من الأبهق: أنت شديد الملاحظة يا
عجوز، أعترف أنك أثرت إعجابي.

ابتسم (أرثر ريد): وجائزتي؟

لوح الأبهق بيده: اطلب ما أردت!

طلب (أرثر ريد) بجدية تامة: أطلق سراحي.

تعالى ضحكات الأبهق وترددت في المكان بينما رمى رأسه للوراء في نوبة من الضحك قبل أن يستقيم مكانه ويمسح الدموع من عينيه: أنت مسلٌ للغاية.

هز (أرثر ريد) كتفيه: لي شرف المحاولة على الأقل، لكنني عجزت عن فهم الأسباب وراء عدم هروبك. يمكنك الفرار بدون أن تنظر للوراء، ولكنك تختار أن تبقى هنا، مستعبدًا من ذلك المسخ.

سأل الأبهق متحديًا: أليس بإمكانك فعل ذلك أنت أيضًا؟

خيم الصمت المكان لوهلة، لم يكن يريد (أرثر ريد) الاعتراف بالأمر، لكنه كان محقًا.

ومع ذلك، أصر على عدم مواجهة ذلك الأمر ورد: وكيف عساني أهرب؟ لعلك تفيدني؟

قهقه الأبهق: لا تكن سخيًا، رأيت ما بإمكان صنّاع السلام فعله، ورغم ما يتداوله الناس من أقوال، إلا أنكم أنتم أخطر صنف من بين الرحالة، فلو علم العالم عن قدراتكم لكان الناس يخشون صنّاع السلام لا المتأقلمين.

عقد (أرثر ريد) حاجبيه: كائنًا ما يكون، صنّاع السلام ليسوا محاربين كما تكونون أنتم، وقد تكون محقًا، قد يكون الخطب يقع في، لعلني أكثر جبنًا من الهرب كما تنص طبيعة صنّاع السلام، ولكن ما عذرك أنت؟ فلم يسبق لي أن أقابل متأقلمًا يخشى فعل ما يريد.

بدأ الأبهق يعبث بخرصه: لعلك لم تقابل متأقلمًا يعلم
مصلحته من قبل، جميعهم يحبون تقمص شخصية المنقذ،
البطل المغوار، المحارب الشجاع، لكن إن كانوا على
سجيتهم فهل تعتقد أنهم سيرغبون بإهدار حيواتهم لإنقاذ
ممالك لا تريد إلا استغلالهم؟

قال (أرثر ريد) بثقة: إن كان ولاؤهم يكمن لها، فنعم.

انفعل الأبهق وصرخ: هذا ليس إلا استعبادًا! أنتم
تستبدوننا لنقاتل في حروبكم، فلا بد أننا نستطيع تغيير
ولائنا على حسب الكفة الفائزة، هذا ما يعنيه الصراع للحياة،
هذه هي طبيعة المتأقلمين!

سأل (أرثر ريد): إن أبيت القتال في سبيل أي قضية، فما
الذي يمكنك الموت من أجله؟

صمت الأبهق وكأنه ابتلع لسانه، لم يعلم كيف يمكنه الرد.

لم يتوقف (أرثر ريد): ما المعنى الذي تحمله حياتك إذا؟
لقد مررت على العديد من المتأقلمين الذين كانوا على أتم
استعداد للتضحية بحيواتهم من أجل أرضهم، موطنهم! وإن
لقوا حتفهم على أرض المعركة فيرون في ذلك الأمر فخراً
وشرفاً، أن تفقد جسدك المادي لأجل ما تؤمن به ليس موتاً،
فالروح لا تموت!

«(أبجيت)! يطلب حضورك في قاعة العرش!»

نادى صوت شاب من الأعلى على الأبهق.

حذق كلُّ من صانع السلام والمتأقلم بعضهما ببعض قبل
أن يقوم الأخير بتلبية النداء.

«هذا لا يعقل! أعدادنا تنقص كل يوم، واثنان منهم يقعان
على عاتق ذلك الخائن!»

قرص رجل في أواخر عمره جسر أنفه بحسرة، ما تبقى
من شعره قد اجتاحه الشيب وتدلى من فوق رأسه بصعوبة
بينما تمقعد على تلك الطاولة الرخامية الطويلة التي جمعت
عدة أشخاص آخرين يتدثرون بمعاطفهم البيضاء.

«يجب أن نفعل شيئاً! فإن تركنا الأول يعيث في الأرض
فساداً كما هو الحال الآن لتدمرت الأكوان كما نعرفها!»

صاحت امرأة في الجهة المقابلة من الطاولة بانفعال واضح.

رفع رجل ذو أعين ذهبية يده في الهواء لتتوقف
تلك الفوضى فوراً، يقف على رأس الطاولة يحاول
استجماع أفكاره: تريثوا، من الأكيد أن الأمر لن يمر مرور
الكرام، لا يمكن أن نسمح للأول بالبقاء على حاله،
ولكن يجب عليكم أن تتذكروا أننا لسنا صناع سلام، هذه
ليست مهمتنا.

اعترض العجوز من مكانه: هل أنت جدي يا (صباح)؟!
صناع السلام إما محتجزون من قبل الأول أو يهربون منه!
كيف سيتمكنون من نشر السلام تحت ظل هذا المسخ؟!؟

مرر (صباح) أنامله خلال خصلات شعره الداكنة: وما
يعني لك السلام؟ لا يستطيع الأول لمسك ما دمت هنا، قد
يكون الأول ولكنه لا يزال متأقلمًا، سيظل مكانه أو ستعتقد
أرجله ليقفز بلا ثبات بين الأكوان.

سأل شاب حليق يتمتع في مؤخرة الطاولة يمتلك عيين
جاحظتين وكأنه يتعجب من كل شيء: وهل نتظره حتى
يصل لأرضنا؟

قطب (صباح) حاجبيه: وهل تقاتله أنت يا (باشق)؟

هز (باشق) رأسه نفيًا: لا أتمنى الموت على نفسي، هذا
أكيد، فجميعنا نعلم عن قدرات الأول وقوته، اعذروا ما أقول
ولكن قد لا نملك فرصة حتى إن اجتمع كل المغيرين عليه.

سألت (ليلي) من مكانها على أحد المقاعد المقاربة
لزوجها: وما الذي تقترحه إذا؟

صرح (باشق) عاقدًا أصابعه بعضها ببعض: هدنة.

هرب الشهيق مفزوعًا من جميع الحاضرين قبل أن يبدأ
الهمس يغزو المسامع.

هدنة مع الأول؟ من يهدد وجوده الوجود؟ كيف عساهم
يتعايشون معه؟

ترجلت امرأة ذات شعر قصير عن كرسيها مبينة انزعاجها:
(باشق) هل أنت مدرك لما تقوله؟

رمش (باشق) بهدوء: إن لم نستطع هزيمته، فلننضم إليه،
المسألة ليست بتلك الصعوبة.

هزت المرأة رأسها نفياً: لا، وألف لا! (صباح)، أنت تدرك
أن هذا الأمر ليس ممكناً صحيح؟ (ليلي) أخبريهم بأنه لا
يمكن الوثوق بالأول! هو ظل مسجوناً منبوذاً لقرون لأسباب
واضحة وصريحة لا تحتاج إلى الذكاء الخارق لتدرك ذلك!

رفع (صباح) كف يده ليعم الصمت في المكان قبل أن
يتحدث: ومن سيشرع بهذه الهدنة؟ وعلى ماذا ستقوم؟

أجاب (باشق): تقوم الهدنة على الوجود والتعايش بسلام
بدون مسنا بعضنا لبعض، لا نتعرض له ولا يتعرض لنا، ومن
الأكيد أنني اقترحت هذه الفكرة بأتم استعداد لتنفيذها شخصياً.

همهم (صباح) متفكراً قبل أن يقاطع العجوز حبل أفكاره:
(صباح)، لا يمكن أنك تأخذ هذه الفكرة المختلة بعين الاعتبار!

التفت (صباح) لزوجته: ما الذي تقترحينه يا (ليلي)؟

ردت (ليلي) بهدوء: إن كان هناك حل لا يتضمن القتال،
فقد يكون ذلك هو الأمر الأمثل.

أوماً (صباح) موافقاً: فليكن إذًا، لا شيء لنخسره أليس كذلك؟

لم يكف الثلج عن التساقط في العالم السابع منذ استيقاظ الأول، فعندما كان سجين الفوهة كان الصقيع يقتصر على مملكة (كيستون) التي احتوته، ولكن الآن لا حدود للبرد القارس الذي دمر المحاصيل وأخذ حيوات العديد من البشر الطبيعيين الذين لم يكن لهم أي علاقة بأمور الرحالة وحروبهم، فالبياض امتد على مد البصر، ولم يكن هناك أي خيار إلا محاولة النجاة رغم قساوة الظروف.

مد شاب صغير ذراعه ليمرر بعض الأعشاب إلى فتاة ذات ملامح حادة، لتسحبها منه وتقوم بلفها حول ذراع رجل مصاب كان يتأوه من الألم.

«لا تستسلم، أنت بخير، أنت بخير.»

طمأنته ساحرة النبوءة بصوت خافت رقيق لتؤنس آلامه قبل أن تمرر يدها على جبينه ويفقد هو الوعي.

سألها الفتى ببراءة: لم لا تشفيه بقدراتك يا (سيف)؟ بدلاً عن الطرق التقليدية التي تستغرق كل هذا الوقت.

هزت (سيف) رأسها نفياً: لا أستطيع استخدام قدراتي على الجميع يا (إبراهيم)، فهي تأكل من طاقتي أنا، ولو فعلت ذلك لكنت لقيت حتفي منذ مدة، خاصة وأن علي تطوير المكان بحقل الإخفاء.

هز (إبراهيم) رأسه متفهماً: أعتقد أن (نور) والباقيين بخير؟

تنهدت (سيف): أتمنى ذلك من كل قلبي، ولكننا يا عزيزي في حال لا تسمح لنا بالقلق على الآخرين.

حدق بها (إبراهيم): ولكنك ما زلت تعتنين بكل من مر من هنا...

التزمت (سيف) بالصمت بينما حدقت بالرجل المغشي عليه أمامها: لا أستطيع تركهم هكذا...
«لطالما كنت رهيبة القلب».

تعالى صوت لفتاة اقتربت معالمها من ساحرة النبوءة بينما شقت طريقها إليها وربتت على رأسها بحنان.

ابتسمت (سيف) بخفة، فهي لا تزال غير قادرة على تصديق ما كان يحصل، فبعد عودة الأول لم تعلم ما تفعل بنفسها ولا أين تلتجئ، فوجدت نفسها تسحب (إبراهيم) معها عائدة إلى قريتها الصغيرة، تلك القرية نفسها التي لم تكن تسمح بدخول الرجال، تلك القرية نفسها التي فرت منها خشية من أن تقع تحت قضبان سجنها، فعندما انطفأ أمل الحياة، طال الشتاء، وزادت الجثث المكومة في الأنحاء، كانت أرجلها تتسابق بين بعضها وبعض عائدة لبقعة ولادتها، للشيء الوحيد الذي بدا وكأنه سيظل ثابتاً رغم الظروف.

عادت لأختها وأمها وقبيلتها لتجدهم مرحبين بها، ساحرة النبوءة التي قاتلت بجانب الرحالة، لم تكن عرضة للعقاب

عندما كان العالم كله موحداً تحت تهديد عدو مشترك، كان هذا الشيء الإيجابي الوحيد الذي خلفه الأول بشكل غير مباشر، وبالطبع عندما تضمن قدراتها الإخفاء التام لقريتهم الصغيرة، فهذا أقرب ما يكون للسلام.

همهمت الفتاة: لقد أصبحت القرية ملجأً دافئاً لكل من أضاع طريقه، وكل ذلك بسببك، لا أصدق أن أختي الصغيرة هي ساحرة النبوءة!

قهقهت (سيف) على تعليق أختها وربتت على كتف (إبراهيم): وأنتك بحارس جبار أيضاً، أليس ذلك أمراً يستحق الشاء؟

أمالت الأخت الكبرى رأسها متأملة لـ (إبراهيم) بتشكيك واضح: لا أعلم عن ذلك، فأنا لم أره يقاتل بعد.

رد (إبراهيم): هذا من حسن حظك! فأنا لم أضطر للقتال بعد.

ضحكت الأخت الكبرى: نعم، نحن محظوظون بوجودكما معنا.

لم تكن لحظات حتى غزا صوت عقعقة طير مسامعهم، رفعت (سيف) ذراعها ليهبط عليها صقرها (شاهين) على الفور، حدقت به لوهلة في عدم تصديق، فكانت هناك لفافة معقودة حول إحدى رجليه. تبادلت النظرات الخاطفة مع (إبراهيم) قبل أن تقتلع اللفافة من عليه وتفرطها على عجلة، أعينها تقفز من على قمم الأحرف بعجلة، وكأنها لا تطيق الانتظار للوصول إلى الاسم الموقَّع في النهاية.

«المتذاكي»

صرخت (سيف) بحماس: (نور)! إنه (نور)!

انتشل (إبراهيم) اللقافة من بين أناملها: أعطيني دعيني أقرأ!

مسح (إبراهيم) محتويات الرسالة على عجالة، فـ (سيف) نهتم لأمر واحد، (نور). أما هو فيهتم أيضاً بما يحصل في العالم الخارجي.

«إلى الساحرة والصلوك،

لقد تجمد كل شيء، واستولى الأول على (كيستون) بشكل كامل، وقد بدأت قواته بالتوسع في المناطق المجاورة، لم يستغرقوا الكثير من الوقت حتى يتمكنوا من التحكم في العالم السابع بأكمله.

جيوشه استبدت على الحدود ويبدو أنهم ينوون احتلال أرض الصفر، عاصمة الرحالة.

لا أعلم أين تكون الوحدة الخاصة ومليكهها، ولا أين استقر بقية الولاة، إلا أنني وجدت مقرّاً في إمبراطورية (هالكروس) تحت غطاء الخفاء والسرية.

اتجهوا لعاصمة الإمبراطورية واسألوا عن المتذاكي في المكتبة العتيقة التي تطل على طريق المَواكب.

سأجدكم.

- المتذاكي»

لوح (إبراهيم) باللفافة أمام وجه (سيف): انظري! إنه يريد
منا التوجه إلى الإمبراطورية!

قطبت (سيف) حاجبيها: ماذا؟! لماذا؟! لم لا نتوجه لـ (ديرينشيا)؟
هز (إبراهيم) كتفيه: الأغلب أنه يريد إبعاد الشكوك، فهم
بالأغلب سيظنون أنه سيعود لـ (ديرينشيا) فمن الأكيد أن
المتذاكبي يود تشتيتهم.

«(سيف)! لدينا حالة حرجة!»

صرخت فتاة من مسافة يسيرة ملوحة للساحرة بالمجيء.

لم تنتظر (سيف) واستقامت على رجليها لتجري حيث
كانت تشير إليها الفتاة، تبعها (إبراهيم) فوراً بغير وعي حتى
وصلا لتلك البقعة.

كانت الفتاة تشير لشاب صغير يقارب (إبراهيم) عمراً،
له أعين مفزعة وجسد ضعيف، الكدمات تغطيه في كل
مكان، وسوء التغذية واضح من نتوء العظم في وجهه،
يمكن لأي شخص رؤية أنه على مشارف الموت، ولكن
هذا لم يكن أكثر ما صدم ساحرة النبوءة و(إبراهيم)، فقد
أخذوا وهلة من الوقت لتمييزه في حالته الرثة ولكن ما أن
فعلا حتى صرخا:

الأمير (فالديمير)؟!!

هدنة

أصدى صوت خطوات من على الجدران المثلجة بينما شق شاب أبهى متدثر بالسواد طريقه خلال ردهات القصر المتجمد، لم يكن يعلم عن سبب دعوته للحضور إلى بلاط الأول، فكان سبق وأن رأى الكتيبة الجديدة من «الجنود» وقد ارتعش من قبح الفكرة عندما خطرت على باله، فمهما لمعوا صورتهم كانوا بالنسبة له مسوخاً، عيوباً وأخطاء، شيء يجب أن لا يوجد.

لم يكونوا بشرًا ولم يكونوا رحالة، ورغم كون مصطلح «أسلحة» غير محبب على مسمعيه كمتأقلم، إلا أنه لم يجد إلا هذه الكلمة لوصفهم بشكل صحيح.

ولم يعلم ما الذي كان بانتظاره في غرفة العرش، فبعد الصدمة العاطفية التي أصابته آخر مرة كان قد أصبح جزعاً من تقديمهم مفهومًا جديدًا أسوأ له، وتمنى بينه وبين نفسه أنه لم يتم تنصيبه كقائد للقوات العسكرية تحت راية الأول، ولكنه كان أكثرهم خبرة، وكان متأقلمًا، وذلك الأمر كان يجعلك مفضلًا منعماً عندما تخدم الرحال الأول، الثوري الذي يريد تكوين كون كامل من الرحالة فحسب.

لعن حظه من تحت أنفاسه عندما وقف أمام الباب المؤدي
لعرش الأول وحاول هز تلك الأفكار من رأسه، فهو يخدم
الكفة الفائزة، وذلك الأمر وحده سبب كافٍ لبقائه. استجمع
نفسه ودفع دفتي الباب ليواجه نظره ذلك الممر الطويل الذي
ألفه في هذه النقطة من الزمن، مسح محيطه ليرى الأول
متمقعدًا على عرشه يلبس تعبيرًا لا يدل على شيء كعادته،
على جانبه الأيمن يقف (إيكول) لابسا ابتسامة مأكرة، وأمامهما
في نهاية الممر يقف رجل حليق مرتديًا معطفًا أبيض اللون.

لم يطل التفكير وتقدم حتى وقف بجانب الرجل الحليق.

«مولاي.»

أوما الأبهى برأسه بخفة ليحيي مليكه الذي التزم الصمت كرد.

ظهرت أنياب (إيكول) خلال ابتسامة عريضة: (أبجيت) !
شكرًا لحضورك، كما ترى فنحن نستضيف ضيوفًا مهمين اليوم.

التفت (أبجيت) إلى الرجل بجانبه متأملًا إياه، أعين
جاحظة غريبة ووشم على رقبته، لم يعلم لم كان هذا
الشخص بتلك الأهمية، ولكن إن قال (إيكول) ذلك فلا بد
أنه شديد الأهمية.

تحدث الرجل الجاحظ: شكرًا لمنحي وقتكم، أنا (باشق)،
رحالة متحكم، آتي إليكم باسم المؤسسة الممثلة لجميع
الرحالة المتحكمين.

صريعًا على الأرض في ثوانٍ معدودة. أجفل (أبجيت) وأخذ عدة خطوات للوراء مبتعدًا عن الجثة بجانبه، عيناه متشابكتان بعيني الرجل الذي لفظ أنفاسه الأخيرة حتى رأى الحياة تنطفئ في بؤرتيه.

تعالَت أصوات ضحك تصدي من على الجدران عندما دخل (إيكول) بنوبة من الضحك الهستيري، وظل على ذلك الحال لعدة دقائق بينما ظل الأول متسمرًا مكانه، ظل (أبجيت) محدقًا تارة في الجثة وتارة في (إيكول) والأول، حتى رفع الأول إصبعيه مشيرًا له بأن يجلب الجثة إليه.

ابتلع (أبجيت) ريقه بصعوبة ولكنه سرعان ما أمسك بذلك الجسد الهامد بصعوبة، باذلاً قصارى جهده ليظهر متماسكًا، ليسحبه لأعلى عتبات العرش ويلقيه أمام الأول مباشرة.

«صحة وعافية يا عزيزي.»

كان آخر ما قاله (إيكول) قبل أن يبدأ الأول بالتهام جثة المُغير.

فرك الإمبراطور (جراتيان) لحيته التي نمت بشكل فوضوي بينما حدق ببعض التقارير التي استلقت على مكتبه، أعينه المفزعة تقفز من على قمم الأحرف بسرعة ولكنه لا يجد مبتغاه أبدًا، ضائعًا بين مخطوطات عدة، لا يزال يبحث عن فقيده. تناول الكأس الزجاجي بجانبه ليأخذ رشفة عندما دخل عليه صانع السلام (فيدور زاكس) ليقف أمام مكتبه ويحييه.

توسعت حدقتا (أبجيت) بتعجب واضح، لم يعلم عمّ كان يتحدث، مؤسسة من الرحالة المتحكمين؟ هؤلاء المُغيرون أسطورة غابرة لم يسبق لأحد إثبات صحة وجودهم من الأصل، وهذا الجاحظ يقول بأنه توجد مؤسسة منهم؟

سأل (إيكول) بدون أن تفارقه تلك الضحكة الماكرة: وما الذي تريده المؤسسة من الرجال الأول؟

أجاب (باشق): هدنة. نحن على علم مسبق بقدرات الأول، ولا ترغب بتوريط أنفسنا في ما لا يخصنا، فكما تعلم أن المُغيّرين قليلون في الأعداد ولا يمكننا خسارة المزيد من إخوتنا. نود اقتراح هدنة تتضمن التعايش والسلام ما بين الرجال الأول والمُغيّرين، بحيث لا نتعرض بعضنا لبعض.

أوماً (إيكول) برأسه متفهّمًا: وما الذي نستفيد منه نحن من هذه الهدنة؟

قال (باشق) بهدوء تام: كما تعلم المؤسسة بقدرات الأول، فمن الأكيد أنكم على علم مسبق بقدرات المغيّرين، فلا شك بأننا أقوى فصيلة من فصائل الرحالة، وأعتقد أن تعاوننا سيكون مفيدًا أكثر لمولاه الأول من عدمه.

همهم (إيكول) متفهّمًا قبل أن يخاطب الأول: وما رأيك بهذا الأمر يا مولاي؟

لم يتحدث الأول بتاتًا، جاء رده كسيخ ثلجي انطلق كقذيفة نارية من كف الأول ليخترق صدر (باشق) ليخر

حديق الإمبراطور (جراتيان) تجاهه: أَدْخِلْ عَلَيَّ بَدُون أَنْ
تَطْرُقْ حَتَّى يَا (فِيدُور)؟

رَدَّ عَلَيْهِ (فِيدُور رَايَكْس) بِنْبِرَةٍ غَيْرِ أَبْهَةٍ: الْمَعْذِرَةُ سَمُوكْ،
وَلَكِنِّي لَدَيَّ أَمْرٌ يَحْتَاجُ رَأْيَكَ الْعَاجِلَ.

اتَّكَأَ الإمبراطور (جراتيان) بِظَهْرِهِ عَلَى مَقْعَدِهِ الْجُلْدِيِّ: تَحْدِثْ.

قَالَ (فِيدُور رَايَكْس): سَمُوكْ، لَقَدْ اسْتَوْلَى الرِّحَالُ الْأَوَّلُ
عَلَى مَمْلَكَةِ (كَيْسْتُون) تَمَامًا، وَمَا هِيَ إِلَّا مَسْأَلَةٌ وَقْتٍ حَتَّى
يَقُومَ بِالزَّحْفِ نَحْوَ مَا تَبْقَى مِنَ الدُّوَلِ، وَذَلِكَ يَشْمَلُ
الْإمبراطوريةَ، فَخَطَرَ فِي بَالِي أَمْرٌ قَدْ يَحْظِي بِاهْتِمَامِكَ، فَإِنِّي
كَصَانِعِ سَلَامٍ لِهَذِهِ الْأَرْضِ أَرَى أَنْ يُنْشَأَ صُلْحٌ مَعَ الرِّحَالِ
الْأَوَّلِ هُوَ الْحَلُّ الْأَمْثَلُ فِي حَالِنَا هَذَا.

حديق الإمبراطور (جراتيان) فِي صَانِعِ سَلَامِهِ لَوْهَلَةٍ قَبْلَ أَنْ
يَتَمَسَّكَ بِكِتَابِ جُلْدِي ثَقِيلٍ لِيَقُومَ بِقَذْفِهِ فِي الْهَوَاءِ صَافِعًا وَجْهَهُ
(فِيدُور رَايَكْس) بَعْنَفٍ لِيَصْرُخَ: أَيْنَ هُوَ وَرِثِي يَا (فِيدُور)؟! وَلِي
عَهْدِي وَابْنِي الْوَحِيدَ مَفْقُودًا وَأَنْتَ تَقْتَرِحُ عَلَيَّ صُلْحًا؟! أَلَمْ نَقُمْ
حَرْبًا كَامِلَةً لِإِيجَادِهِ بَدُونِ جَدُوى؟ أَلَمْ تَقْتُلُوا ابْنَ الْأَسَدِ،
الشَّخْصَ الْوَحِيدَ الَّذِي قَدْ يَمْلِكُ أَيُّ فِكْرَةٍ عَنْ أَرْضِي وَرِثِي؟!

تَلَعَثَ (فِيدُور رَايَكْس): اعْذِرْنِي سَمُوكْ، وَلَكِنْ أَلَيْسَ
الْحِفَازُ عَلَى الإمبراطوريةِ أَمْرًا مَهْمًّا بِحَدِّ ذَاتِهِ؟

اسْتَقَامَ الإمبراطور (جراتيان) مِنْ مَقْعَدِهِ: لَقَدْ وَكَلْتُكَ
بِمَهْمَةٍ يَا (فِيدُور)، مَهْمَةٍ إِيجَادِ (فَالْدِيمِير)، وَمَنْحَتِكَ كَامِلَ

الصلاحية للتصرف كما يحلو لك، ولكننا بالمقابل فقدنا جنرالاً، ولم نجد أثراً لابني، وتظل أنت هنا متقصياً لأمر ناسك من الرحالة ومناسياً لواجباتك في خدمتي أنا! أنت تخدمني أنا ولا أحد غيري أتفهم؟

حنى (فيدور رايكس) رأسه خانعاً: أنا تحت أمرك.

أشار الإمبراطور (جراتيان) إلى الباب: والآن ارحل ولا تعد إلي بأمر إلا إذا كان يخص وليدي، انصرف!

أوماً (فيدور رايكس) برأسه قبل أن يستدير على كعبه ويغادر مكتب الإمبراطور، وما أن أغلق ذلك الباب حتى شتم تحت أنفاسه وبصق على الأرض متقرفاً ومستنكراً.



عندما كان العالم كله موحداً تحت تهديد عدوٍّ مشترك، كان هذا الشيء الإيجابي الوحيد الذي خلفه الأول بشكل غير مباشر، وبالطبع عندما تضمن قدراتها الإخفاء التام لقريتهم الصغيرة، فهذا أقرب ما يكون للسلام.

همهمت الفتاة: لقد أصبحت القرية ملجأً دافئاً لكل من أضاع طريقه، وكل ذلك بسببك، لا أصدق أن أختي الصغيرة هي ساحرة النبوءة!

قهقهت (سيف) على تعليق أختها وربتت على كتف (إبراهيم): وأنتك بحارس جبار أيضاً، أليس ذلك أمراً يستحق الشناء؟

أمالت الأخت الكبرى رأسها متأملة لـ (إبراهيم) بتشكيك واضح: لا أعلم عن ذلك، فأنا لم أره يقاتل بعد.

رد (إبراهيم): هذا من حسن حظك! فأنا لم أضطر للقتال بعد.

ضحكت الأخت الكبرى: نعم، نحن محظوظون بوجودكما معنا.

لم تكن لحظات حتى غزا صوت عقعقة طير مسامعهم، رفعت (سيف) ذراعها ليهبط عليها صقرها (شاهين) على الفور، حدقت به لوهلة في عدم تصديق، فكانت هناك لفافة معقودة حول إحدى رجليه. تبادلت النظرات الخاطفة مع (إبراهيم) قبل أن تقتلع اللفافة من عليه وتفرطها على عجلة، أعينها تقفز من على قمم الأحرف بعجلة، وكأنها لا تطيق الانتظار للوصول إلى الاسم الموقَّع في النهاية.

«المتذاكي»

صرخت (سيف) بحماس: (نور)! إنه (نور)!

انتشل (إبراهيم) اللقافة من بين أناملها: أعطيني دعيني أقرأ!

مسح (إبراهيم) محتويات الرسالة على عجالة، فـ (سيف) نهتم لأمر واحد، (نور). أما هو فيهتم أيضًا بما يحصل في العالم الخارجي.

«إلى الساحرة والصلعوك،

لقد تجمد كل شيء، واستولى الأول على (كيستون) بشكل كامل، وقد بدأت قواته بالتوسع في المناطق المجاورة، لم يستغرقوا الكثير من الوقت حتى يتمكنوا من التحكم في العالم السابع بأكمله.

جيوشه استبدت على الحدود ويبدو أنهم ينوون احتلال أرض الصفر، عاصمة الرحالة.

لا أعلم أين تكون الوحدة الخاصة ومليكهها، ولا أين استقر بقية الولاة، إلا أنني وجدت مقرًا في إمبراطورية (هالكروس) تحت غطاء الخفاء والسرية.

اتجهوا لعاصمة الإمبراطورية واسألوا عن المتذاكي في المكتبة العتيقة التي تطل على طريق المَواكب.

سأجداكم.

- المتذاكي»

لوح (إبراهيم) باللفافة أمام وجه (سيف): انظري! إنه يريد
منا التوجه إلى الإمبراطورية!

قطبت (سيف) حاجبيها: ماذا؟! لماذا؟! لم لا نتوجه لـ (ديرينشيا)؟
هز (إبراهيم) كتفيه: الأغلب أنه يريد إبعاد الشكوك، فهم
بالأغلب سيظنون أنه سيعود لـ (ديرينشيا) فمن الأكيد أن
المتذاك يود تشتيتهم.

«(سيف)! لدينا حالة حرجة!»

صرخت فتاة من مسافة يسيرة ملوحة للساحرة بالمجيء.

لم تنتظر (سيف) واستقامت على رجليها لتجري حيث
كانت تشير إليها الفتاة، تبعها (إبراهيم) فورًا بغير وعي حتى
وصلا لتلك البقعة.

كانت الفتاة تشير لشاب صغير يقارب (إبراهيم) عمرًا،
له أعين مفزعة وجسد ضعيف، الكدمات تغطيه في كل
مكان، وسوء التغذية واضح من نتوء العظم في وجهه،
يمكن لأي شخص رؤية أنه على مشارف الموت، ولكن
هذا لم يكن أكثر ما صدم ساحرة النبوءة و(إبراهيم)، فقد
أخذوا وهلة من الوقت لتمييزه في حالته الرثة ولكن ما أن
فعلا حتى صرخا:

الأمير (فالديمير)؟!!

هدنة

أصدى صوت خطوات من على الجدران المثلجة بينما شق شاب أبهى متدثر بالسواد طريقه خلال ردهات القصر المتجمد، لم يكن يعلم عن سبب دعوته للحضور إلى بلاط الأول، فكان سبق وأن رأى الكتيبة الجديدة من «الجنود» وقد ارتعش من قبح الفكرة عندما خطرت على باله، فمهما لمعوا صورتهم كانوا بالنسبة له مسوخاً، عيوباً وأخطاء، شيء يجب أن لا يوجد.

لم يكونوا بشرًا ولم يكونوا رحالة، ورغم كون مصطلح «أسلحة» غير محبب على مسمعيه كمتأقلم، إلا أنه لم يجد إلا هذه الكلمة لوصفهم بشكل صحيح.

ولم يعلم ما الذي كان بانتظاره في غرفة العرش، فبعد الصدمة العاطفية التي أصابته آخر مرة كان قد أصبح جزعاً من تقديمهم مفهومًا جديدًا أسوأ له، وتمنى بينه وبين نفسه أنه لم يتم تنصيبه كقائد للقوات العسكرية تحت راية الأول، ولكنه كان أكثرهم خبرة، وكان متأقلمًا، وذلك الأمر كان يجعلك مفضلًا منعماً عندما تخدم الرحال الأول، الثوري الذي يريد تكوين كون كامل من الرحالة فحسب.

لعن حظه من تحت أنفاسه عندما وقف أمام الباب المؤدي
لعرش الأول وحاول هز تلك الأفكار من رأسه، فهو يخدم
الكفة الفائزة، وذلك الأمر وحده سبب كافٍ لبقائه. استجمع
نفسه ودفع دفتي الباب ليواجه نظره ذلك الممر الطويل الذي
ألفه في هذه النقطة من الزمن، مسح محيطه ليرى الأول
متمقعدًا على عرشه يلبس تعبيرًا لا يدل على شيء كعادته،
على جانبه الأيمن يقف (إيكول) لابسا ابتسامة مأكرة، وأمامهما
في نهاية الممر يقف رجل حليق مرتديًا معطفًا أبيض اللون.

لم يطل التفكير وتقدم حتى وقف بجانب الرجل الحليق.

«مولاي.»

أوما الأبهى برأسه بخفة ليحيي مليكه الذي التزم الصمت كرد.

ظهرت أنياب (إيكول) خلال ابتسامة عريضة: (أبجيت) !
شكرًا لحضورك، كما ترى فنحن نستضيف ضيوفًا مهمين اليوم.

التفت (أبجيت) إلى الرجل بجانبه متأملًا إياه، أعين
جاحظة غريبة ووشم على رقبته، لم يعلم لم كان هذا
الشخص بتلك الأهمية، ولكن إن قال (إيكول) ذلك فلا بد
أنه شديد الأهمية.

تحدث الرجل الجاحظ: شكرًا لمنحي وقتكم، أنا (باشق)،
رحالة متحكم، آتي إليكم باسم المؤسسة الممثلة لجميع
الرحالة المتحكمين.

توسعت حدقتا (أبجيت) بتعجب واضح، لم يعلم عمّ كان يتحدث، مؤسسة من الرحالة المتحكمين؟ هؤلاء المُغيرون أسطورة غابرة لم يسبق لأحد إثبات صحة وجودهم من الأصل، وهذا الجاحظ يقول بأنه توجد مؤسسة منهم؟

سأل (إيكول) بدون أن تفارقه تلك الضحكة الماكرة: وما الذي تريده المؤسسة من الرجال الأول؟

أجاب (باشق): هدنة. نحن على علم مسبق بقدرات الأول، ولا ترغب بتوريط أنفسنا في ما لا يخصنا، فكما تعلم أن المُغيّرين قليلون في الأعداد ولا يمكننا خسارة المزيد من إخوتنا. نود اقتراح هدنة تتضمن التعايش والسلام ما بين الرجال الأول والمُغيّرين، بحيث لا نتعرض بعضنا لبعض.

أوماً (إيكول) برأسه متفهّمًا: وما الذي نستفيد منه نحن من هذه الهدنة؟

قال (باشق) بهدوء تام: كما تعلم المؤسسة بقدرات الأول، فمن الأكيد أنكم على علم مسبق بقدرات المغيّرين، فلا شك بأننا أقوى فصيلة من فصائل الرحالة، وأعتقد أن تعاوننا سيكون مفيدًا أكثر لمولاه الأول من عدمه.

همهم (إيكول) متفهّمًا قبل أن يخاطب الأول: وما رأيك بهذا الأمر يا مولاي؟

لم يتحدث الأول بتاتًا، جاء رده كسيخ ثلجي انطلق كقذيفة نارية من كف الأول ليخترق صدر (باشق) ليخر

حَدِّقُ الْإِمْبْرَاطُورَ (جراتیان) تَجَاهَهُ: أَتَدْخُلُ عَلَيَّ بِدُونِ أَنْ تَطْرُقَ حَتَّى يَا (فیدور)؟

رد عليه (فيدور رايكس) بنبرة غير آبهة: المعذرة سموك، ولكنني لدي أمر يحتاج رأيك العاجل.

اتكأ الإمبراطور (جراتيان) بظهره على مقعده الجلدي: تحدث.

قال (فيدور رايكس): سموك، لقد استولى الرحال الأول على مملكة (كيستون) تمامًا، وما هي إلا مسألة وقت حتى يقوم بالزحف نحو ما تبقى من الدول، وذلك يشمل الإمبراطورية، فخطر في بالي أمر قد يحظى باهتمامك، فإنني كصانع سلام لهذه الأرض أرى أن إنشاء صلح ما مع الرحال الأول هو الحل الأمثل في حالنا هذا.

حذق الإمبراطور (جراتيان) في صانع سلامه لوهلة قبل أن يتمسك بكتاب جلدي ثقیل ليقوم بقذفه في الهواء صافعًا وجهه (فيدور رايكس) بعنف ليصرخ: أين هو ورثي يا (فيدور)؟! ولي عهدي وابني الوحيد مفقود وأنت تقترح عليّ صلحًا؟! ألم نقم حربًا كاملة لإيجاده بدون جدوى؟ ألم تقتلوا ابن الأسد، الشخص الوحيد الذي قد يملك أي فكرة عن أراضى ورثي؟

تلعثم (فيدور رايكس): اعذرني سموك، ولكن أليس
الحفاظ على الإمبراطورية أمرًا مهمًا بحد ذاته؟

استقام الإمبراطور (جراتيان) من مقعده: لقد وكلتك
بمهمة يا (فدور)، مهمة إيجاد (فالديمير)، ومنحتك كامل

الصلاحية للتصرف كما يحلو لك، ولكننا بالمقابل فقدنا جنرالاً، ولم نجد أثراً لابني، وتظل أنت هنا متقصياً لأمر ناسك من الرحالة ومناسياً لواجباتك في خدمتي أنا! أنت تخدمني أنا ولا أحد غيري أتفهم؟

حنى (فيدور رايكس) رأسه خانعاً: أنا تحت أمرك.

أشار الإمبراطور (جراتيان) إلى الباب: والآن ارحل ولا تعد إلي بأمر إلا إذا كان يخص وليدي، انصرف!

أوماً (فيدور رايكس) برأسه قبل أن يستدير على كعبه ويغادر مكتب الإمبراطور، وما أن أغلق ذلك الباب حتى شتم تحت أنفاسه وبصق على الأرض متقرفاً ومستنكراً.



صريعًا على الأرض في ثوانٍ معدودة. أجفل (أبجيت) وأخذ عدة خطوات للوراء مبتعدًا عن الجثة بجانبه، عيناه متشابكتان بعيني الرجل الذي لفظ أنفاسه الأخيرة حتى رأى الحياة تنطفئ في بؤرتيه.

تعالَت أصوات ضحك تصدي من على الجدران عندما دخل (إيكول) بنوبة من الضحك الهستيري، وظل على ذلك الحال لعدة دقائق بينما ظل الأول متسمرًا مكانه، ظل (أبجيت) محدقًا تارة في الجثة وتارة في (إيكول) والأول، حتى رفع الأول إصبعيه مشيرًا له بأن يجلب الجثة إليه.

ابتلع (أبجيت) ريقه بصعوبة ولكنه سرعان ما أمسك بذلك الجسد الهامد بصعوبة، باذلاً قصارى جهده ليظهر متماسكًا، ليسحبه لأعلى عتبات العرش ويلقيه أمام الأول مباشرة.

«صحة وعافية يا عزيزي.»

كان آخر ما قاله (إيكول) قبل أن يبدأ الأول بالتهام جثة المُغير.

فرك الإمبراطور (جراتيان) لحيته التي نمت بشكل فوضوي بينما حلق ببعض التقارير التي استلقت على مكتبه، أعينه المفزعة تقفز من على قمم الأحرف بسرعة ولكنه لا يجد مبتغاه أبدًا، ضائعًا بين مخطوطات عدة، لا يزال يبحث عن فقيده. تناول الكأس الزجاجي بجانبه ليأخذ رشفة عندما دخل عليه صانع السلام (فيدور زاكس) ليقف أمام مكتبه ويحييه.

إدراك

«خلاص ترى مسختيها!»

صرخ (نوروي) بينما شدت (رعد) على قرنه لتميل بجذعه
كاملاً باتجاهها: أنا فقط أتحقق من أنه ثابت في مكانه!

تذمر (نوروي) بينما دفعها عنه: يعني أكيد ما حيطيح من
راسي يعني!

تأففت (رعد) بينما عدلت خصلات شعرها: ما الفرق
الذي يشكله قرنك إذا؟

أطلق (نوروي) تنهيدة عميقة بينما تأمل في سقف الصالة
التي اعتادوا الجلوس فيها: هادي تعني أني روح مالكة، أني
أستحق مكاني في السماء العالية.

همهمت (رعد) عندما صر صرير الباب لتبعه أصوات
خطوات مألوفة إثر دخول (شهاب) غارقاً بعرقه كالمعتاد،
يتبعه المستشار بابتسامته التي لم تفارق معالمه. كانا قد انتهيا
من التدريب للتو، التدريب الذي لم يتمكن منه إلا (شهاب)
لسبب ما، ولكن هذه المرة كغير العادة، تبعهما ذلك الرجل
العجوز ذو العمامة الخضراء.

حَدَقَ بِهِمْ كُلٌّ مِنْ (رَعْدٍ) وَ(نُورَوِي) بِالْقَلِيلِ مِنَ التَّعَجُّبِ
وَلَكِنَّهَا هَزَتْ كَتِفَيْهَا بِغَيْرِ مَبَالَاةٍ حَاوَلَتْ تَجَاهِلُ الْأَمْرَ، إِلَّا أَنَّ
الْأَمْرَ لَمْ يُمْكِنْ تَجَاهُلُهُ.

«ابنة السماء، الشعلة الزرقاء، علينا البدء.»

قال المؤرخ بصوته الوقور بينما وقف ليوواجههما.

نَظَرَ كُلٌّ مِنْ (نُورَوِي) وَ(رَعْدٍ) بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ ثُمَّ نَظَرَا إِلَى
المؤرخ بعدم استيعاب واضح، فهما كانا للتو قد انتهيا من مهمة
أرسلتهما إلى أرض الأموات، فما تكون هذه المهمة الجديدة؟

أكمل المؤرخ: يجب عليكما العودة للعالم السابع، لا مفر
الآن، فقد انتهى (شهاب) من تدريبه وقد استعاد ابن (مورتم)
حقه الشرعي وعاد بكامل مجده، ما تبقى الآن هو إيجاد
طريقة لهزيمة الرحال الأول.

أمال (نوروي) رأسه: القول أسهل من الفعل.

أوما المؤرخ برأسه متفهمًا: هذا صحيح، ولكن من قام
بحبسه من قبل سيتمكن من فعل ذلك مجددًا، (كايلوما) كان
وما زال حارس السماوات، وقد تمكن من الأول من قبل،
ولا شك بأن ابنته تستطيع فعل المثل، نعم إنه لأمر محزن
أنها لم تتمكن من الوصول لمستوى المتحكمين كما فعل
(شهاب)، ولذلك فإن العمل كفريق هو أفضل ما يمكننا
فعله الآن.

قاطعت (رعد) بجفاف: أنت لا تتوقع أننا ستمكن من
الرحال الأول، فقط لأننا تمكنا من بعض المهارات الجديدة،
هذا لا يعني شيئاً عند مواجهة مثله من الوحوش، أعتقد أنك
أدرى بالأمر مني.

تدخل المستشار: لن نكون وحدنا، يجب علينا إعادة
توحيد قواتنا في الكون السابع لنتمكن من مواجهة الأول
بضراوة، نعيد لم شمل أفراد الفريق، ونجند ما نستطيع من
البشر هذه أول خطوة علينا اتخاذها الآن.

رفع (شهاب) أحد حاجبيه: وماذا بعد؟ ما الخطوة الثانية؟

ربت المستشار على كتف (شهاب): تريث وخذ نفساً
عميقاً، سيُكشف كل شيء قريباً.

سألت (رعد) بقلق يعلو نبرتها: هل يعلم الملك عما
تخططان له؟

نظر المستشار إليها بهدوء: سيعلم عما يعنيه، أما ما
يخص الرحالة، فيخصهم هم.

التزمت (رعد) بالصمت ولكن التشوش الذي بدأ ينهش
بعقلها كان ظاهراً على معالمها، فهي سواء كانت رحالة أم لا، قد
أقسمت على الولاء لمليكتها، ولم تعلم ما إن كانت الخطط التي
يحكيها المستشار مع المؤرخ ستقوم بإلحاق الضرر به بأي شكل
من الأشكال أم لا، لأنها في باطنها كانت مدركة لعدم اهتمامهما
بالحياة البشرية، أمر مشترك ما بين الثنائي، فأمر الرحالة هي

أمورهم وهذا أمر لا ريب فيه، ولكن لا يزال البشر رغم فظاعتهم يحملون بعض الخير فيهم، فإن كانت هذه فحوى حبال أفكارهما فما الاختلاف ما بينهما وما بين الأول؟

ولكن ما يقع في الكفة الأخرى أمر لا يمكن منازعة أهميته، سلامة الأكوان جميعها.

فما الفائدة من إبقاء حياة البشر إن لم يوجد عالم يحتويهم؟

ظلت (رعد) تائهة ما بين تلك الهواجس لوهلة، أمر قد شعر به (نوروي) في نفسه من قبل أن يضطر إلى رؤيته على معالمها، ورغم أن مشاعره كانت قد تختلف عن مشاعرها في السابق، إلا أن الأمر لم يعد كما كان بعد عقدهما.

فربط الدم ما بينهما كان يطغى على أفكاره الخاصة، وكل ما بين عقله وقلبه يخضع لرغبتها هي، يتفتت، يُعجن، ويتشكل كما ترى هي.

معتقداتها ومبادئها، كل ما تستشعر به بشكل شديد، يتشربه هو بشكل مباشر وبلا وعي منه.

ولم يكن بإمكانه فعل أي شيء لتغيير ذلك الأمر، فهي سيده، وهو موجود لخدمتها، وإن استعاد حقه الشرعي في التعالي للسموات، لا تزال هي رابطته الأول للأرض، سواء شاء أم أبى.

تعالى صوت طرق عالٍ من المدخل، طرق يتسم بالقليل من العجالة والاضطراب، يدوي من على الجدران بينما

تبادل الكل النظرات المتوجسة ما بين بعضهم وبعض، فلم يكن أحد يتوقع زيارة ما، وكان الاضطراب الطاغي على المكان بالفعل غير كافٍ.

لم يتظر المستشار واتجه للباب، تلميذه يقف على ظله، بينما ظل الجميع متأهبين في أماكنهم، وما أن دفع مقبض الباب حتى دُفع الباب على عجلة من الجهة المقابلة لتخطو امرأة ذات شعر أشقر مجدل ومعطف أبيض للدخل وتبيست مكانها، رفعت رأسها ببطء لتفحص وجوه الموجودين، وحينها وجدت من كانت تبحث عنه.

عقد المستشار حاجبيه عندما ميزها: (ليلي)؟!

ولكن (ليلي) لم تكن مهتمة لوجوده أو ما كان يتفوه به من الأصل، بل اندفعت منطلقة لتطوق (شهاب) في عناق حار بينما انهالت الدموع المصهودة من مدمعها، جسدها متهدج، صدرها يرتفع وينزل مع شهيقها الحاد.

وقف (شهاب) مكانه متصلبًا تمامًا، بأعين مفتوحة على مصارعها، ناظرًا إلى الأسفل حيث كان أعلى رأسها ملاصقًا لصدره.

أصدى صوت المؤرخ بهدوء: بنيتي، تسرني رؤيتك مجددًا ولكن ليس بهذا الحال.

فزعت (ليلي) عندما ألقت بنظرها على المؤرخ، الذي وقف مكانه عاقدًا ذراعيه وراء ظهره لتطلق نفسها من على

(شهاب) وتقف أمام العجوز برهبة تشرب إليها القليل من
اللهفة، وتنحني لتحية: سيدي، لم أدرك وجودك هنا.

هز المؤرخ رأسه متفهماً: لا بأس يا بني، ولكن هذا
الشاب لا يعلم عن سبب تصرفاتك هذه، اعتدلي وتنفسي
واشرحي حالك.

التفتت (ليلي) إلى (شهاب) لتمعن النظر فيه لوهلة، وعندما
كانت على وشك الحديث نادى صوت آخر غليظ من الخارج:
(ليلي)، لقد انتهت دقائقك مع الفتى، سوف أدخل الآن.

هذا آخر ما سمعوه قبل أن تعلو أصوات خطوات واثقة،
وقبل أن يظهر مصدر الصوت، ليدخل إلى المكان رجل
طويل القامة، ذو وجه وسيم، شعر داكن، ولحية خفيفة تزين
معالمه، ولكن أكثر ما كان يميزه كانت تلك الأعين الذهبية.

وقف الرجل مكانه ماسحاً محيطه بصمت قبل أن تلتقي
عيناه بأعين (شهاب)، حدق به لوهلة قبل أن يتفوه: مسرور
لرؤيتك مرة أخرى يا (شهاب الدين).

تدخل المستشار ليقف ما بينهما وكأنه يغطي (شهاب)
بعرض منكبيه: ما المقصد من هذا كله يا (صباح)؟

رفع (صباح) رأسه متعاليًا: (خافير)، يا لها من مصادفة.

رد (خافير) متهمًا: مصادفة؟ أنت تجرؤ على المشول
أمامي بعد ما فعلت بأرضي؟

تنهد (صباح): (خافير)، كان هذا قبل أن يتمكن الأول من الهرب وتهديد الوجود ككل، وعلاوة على ذلك فأنت قتلت اثنين من أفرادى، لنقل بأننا متعادلان.

خيم الصمت على المكان بينما دخل اثناهما فيما بدا كمسابقة تحديق شديدة اللهجة، وظلا على ذلك الوضع لعدة لحظات قبل أن يستفسر المستشار: وإذا؟ ما الذي تريده من تلميذي؟

ضيق (صباح) عينيه مشككا: تلميذك؟ أنت تقصد ابني.

توسعت حدقتا المستشار بينما ظل مكانه متيسرا لوهلة من الزمن، لم يستطع تصديق الكلام الذي خرج من فمه للتو: ابنك؟ (شهاب)؟

أمال (صباح) رأسه: اسمه (شهاب الدين)، هذا هو اسمه، ولا تتظاهر بأنه لا يبدو كنسخة كربونية مني.

بدا الاضطراب واضحا على معالم (خافير) الذي أخذ خطوة للوراء وبدأ ينظر تارة يمينا وتارة يسارا مقارنا ما بين وجه (شهاب) و(صباح)، وكأنه يحل مسألة رياضية شديدة التعقيد في رأسه، وفي الجهة المقابلة كان (شهاب) أيضا يقوم بتفحص معالم (صباح) عن بعد، ولم يكن يستطيع إنكار الأمر، كان يشابهه جدًا، كنسخة أكبر سنًا منه.

تدخل المؤرخ ليقاطع جيل أفكارهم جميعًا: إنه ابنهما أيها المستشار، لقد حضرت ولادته بنفسى.

التفت الجميع إليه بتعجب شديد، الجميع ما عدا (صباح) الذي حنى رأسه احتراماً له: سيدي، تسرني رؤيتك بصحة وعافية.

أوما المؤرخ برأسه: وأنت كذلك يا (صباح).

وقف المستشار مكانه: وما صلتك بهما أيها العجوز؟

تمسك المؤرخ بعكازه الخشبي: أنا ربيت ودربت (ليلي) في صغرها، حتى طلب (صباح) يدها مني وجاب بها الأكوان.

تنحنح (شهاب) ليجذب الأعين إليه: أنا أسف، لقد تخامرت الموضوعات علي، ما الذي يحصل بالضبط؟

كان الهواء أثقل من العادة جراء التوتر الذي عم المكان، ففي معيشة القصر التي اعتادت أوجه مرتاديها، كان وجهان جديدان. جلس (صباح) بوقار بجانب زوجته (ليلي) التي على عكسه، اتضح القلق على معالمها رغم محاولاتها تزييف الثبات، كتوجس والدته يتخامر مع الذنب المخادع الذي تمكن من التسلل لمضاجعها.

في الجهة المقابلة من الغرفة تراص جميع البقية، وكأنهم يخلون مساحة ما بينهم ليظهروا نفورهم.

أخلى (خافير) ما بحلقه ليجذب الأعين إليه: وأنتما هنا لتفعلا ماذا بالضبط؟

هز (صباح) كتفيه: قالت زوجتي بأنها قلقة على ابنتنا، وليت رغبته في الاطمئنان عليه فحسب.

هز (شهاب) رأسه نفيًا: كفا عن هذا الهراء، أنتما تقولان بأنكما والدائي وتظهرا الآن فقط بعد كل هذه السنين؟ أين كنتما من قبل؟

تنهدت (ليلي) بثقل: ... يا بني، الأمور أكثر تعقيدًا مما تظن.

قطب (شهاب) حاجبيه: اشرح لي، أنا كلي آذان مصغية.

تدخل (صباح): ما تحاول والدتك قوله، هو أنه عند وقت ولادتك كانت المؤسسة في أوج احتياجها لنا، كانت واجباتنا تنص على مراقبة الأكوان السبعة، واستقطاب عدد أكبر من المتحكمين، كنا على وشك الانقراض.

حذق (شهاب) تجاهه: ألسنت من ذريتكما؟ ألم تشملني واجباتكما؟

هزت (ليلي) رأسها نفيًا: كونك من سلالة من المتحكمين ليس ضمانًا لوراثة قدراتهم، فهذا أمر مقتصر عليك فحسب.

انفعل (شهاب) واستقام من مقعده: وما الذي يعنيه ذلك؟! أنا لا أحمل قيمة لكما إن لم أكن متحكمًا!؟

رمق (صباح) ابنه بنظرة مستاءة: حاذر، أنت تحدث زوجتي.

رد (شهاب) مستنكرًا: والظاهر أنني أحدث والدتي؟ ما دخلي أنا فيما تنص عليه واجباتكم الوجودية؟ أنتظهران بأنكما لم تجلباني لهذه الأكوان أم ماذا!؟

قرص (صباح) جسر أنفه: اجلس يا (شهاب الدين)، أنت غير مدرك كم تكبدنا من صعوبات حتى تتمكن أنت من العيش فحسب.

حاولت (ليلي) تهدئة الأوضاع: (شهابي)، نحن كنا دائماً على اطلاع على بأمورك، كنا سنلبي مطلبك ما إن كنت بحاجة.

توسعت حدقتا (شهاب) وكان على وشك أن يتفوه بشيء آخر لولا تدخل المؤرخ: أنا متيقن من أن والديك لم يشقا هذا الطريق الطويل من أجل هذا الأمر فحسب، ألا تتحدثان؟

ظهر الامتعاض على وجه (صباح): أنت محق، هناك شيء أعظم يتوارى خلف هذه الزيارة للأسف.
تذمر (خافير) ملوحاً بيده: تحدثا إذاً.

خيم الصمت على المكان لوهلة قبل أن توجه (ليلي) سؤالاً للمستشار: أنت تتذكر (باشق)، أليس كذلك؟

رد (خافير) بعدم اهتمام: ذاك الجاحظ القبيح؟

أجالت (ليلي) نظرها عنه وبدأت تحقق في كفي يديها: حاولنا التوصل... إلى اتفاقية سلام مع الأول، (باشق) كان رسولنا، ولكنه لم يعد بعد.

توسعت حدقتا (خافير) وتخشب مكانه، وكأنه فقد المقدرة على التنفس لوهلة، ظل يحدق بـ (ليلي) وكأنه يحاول استدراك حواسه التي بدأت بالتخدر من هول الخبر: (ليلي)... أنت لا تظنين...

ظهر (نوروي) أمامه فور ما تفوه بما قال: إيش قلت؟

عقدت (رعد) حاجبيها ونظرت إليه ببرود تام: قم بتريسة ابنك عوضاً عن حشر أنفك فيما لا يعنك.

وقبل أن يتمكن (صباح) من الرد أو فعل أي شيء، رفع (خافير) يده في وجهه مشيراً له بالصمت: هي تحت جناحي، إياك.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه (صباح): وما القيمة التي تحملها حمايتك يا خائن؟

- «هي تحت نطاقي أنا، إن كان ذلك يعني شيئاً لك يا متحكم».

تعالى صوت أنثوي جديد، وقور، ويفرض احترامه، ليلتفت الجميع إلى مصدره التي ظهرت في وسطهم فجأة لتقف في منتصف الغرفة، تلك الطفلة ذات الشعر الذهبي الطويل، والقرون الداكنة التي تطاولت فوق رأسها.

فزع المؤرخ ووضع يده على صدره: جلالتك، تشرفنا بزيارتك.

حيث (ليلي) الملكة وانحنت احتراماً لتتبع خطا معلمها، أما (صباح) فبدأ وكأنه يحاول بشتى الطرق الحفاظ على هدوئه، ورغم أنه كان يعرف أشد المعرفة بأن ما كان أمامه ليس إنساناً، فذلك الحضور المهيّب لا يمكن أن يكون أي شيء إلا روحاً مالكة، إلا أن كبرياءه كان مسعوراً وكأنه يفعل

أومات (ليلي) برأسها بضعف مما جعل (خافير) يحوط
رأسه بكفيه وكأنه أحس بحجم المصيبة التي حلت عليهم.

تدخل (نوروي) بتهيج واضح: أرسلتوا متحكم لأرضو؟
لعنة تلعنكم، قتلونا!!!

حذق (صباح) في (نوروي) وقال بجفاف: يا لسخرية
القدر بأنك أنت من يلومنا الآن، هل يجد ضميرك القليل من
الراحة عندما تلوم غيرك على أفعال الأول؟

بدت أعين (نوروي) أكثر شعاعًا عند تطاير تلك الشرارات
ما بينهما، وكأنه على وشك إضرار النار بالرجل أمامه.

قاطعت (رعد) بحدة: حاذر لسانك، فإن كان تصرف (نوروي)
ينبع من حسن ظن، فتصرفكم ينبع من غباثكم المستفحل، أم
من بعقله الواعي يقوم بإرسال وجبة شهية للأول؟

هربت تنهيدة متحسرة من (ليلي): كل ما أردته هو حل
لا يتضمن الحرب، أردت السلام!

عبست (رعد): سلامًا لكم، وحربًا علينا. ما زلت كما
أنتم، لا تكثر ثون إلا بنوعكم.

حذق (صباح) تجاه الفتاة وطقق بلسانه مبدئيًا استياءه
قبل أن يتحدث: (رعد) الحمراء، أو كما يدعونك ابنة السماء.
من حسن حظك أنك بطلة (كايلوما)، وإلا لكنت اقتلعت
لسانك الآن.

أي شيء للحفاظ على ماء وجهه، فتلفظ بنبرة تهكمية: ومن
تكونين أنت؟

جحظ الجميع بفزع، وكأنه حكم عليهم جميعهم بالإعدام،
وقبل أن يتمكن من إصلاح خطئه وجد حد خنجر يضغط على
رقبته، لم يتمكن من الحراك ولكنه تمكن من رؤية انعكاس
حامله، ليرى أعيناً خضراء ساخطة يحملها قنطور حاقد.

نطق (كاIRON) بثقل، وكأنه ينفث سماً: أميتاً تريدينه، جلالتك؟

لم ترد (مينرفا) بل حدقت بـ (صباح) بتركيز تام بوجه
خالٍ من التعابير، أعينها تفرض هيمنتها عليه، قبل أن ترفع
رأسها متعالية ببطء، وتبدأ نبرة صوتها بالانخفاض بشكل
مرعب: أرى أن الإنس بدأ بنسيان منبعه، أعلم مكانتك الدنيئة
يا صريح الدم، حتى الهجينون يعلمون بأن احترام العتقاء
قرض واجب.

كان الهواء ثقیلاً، لا يمكن تنفسه، كان الخوف يجري
مجري الدم لدى جميع الموجودين رغم عدم توجيه الكلام
لهم، لكن هذه الهالة السوداء التي حامت في المكان
كانت مهيبه، وتذكر (رعد) كثيراً بحضور (مورتم).

وبينما كانوا على ذلك الوضع ظهرت يد سمراء لتلمس رأس
(صباح) بخفة قبل أن يهزها صاحبها: هذه ٤٨ ساعة يا أماه.

خطا (أديسا) ليقف بجانب أمه التي قلت عنه قامة في هذه
النقطة من الزمن، أومأت (مينرفا) برأسها ليسحب (كاIRON)

خنجره من على (صباح) بعد أن أدمى عنقه قليلاً لتحدث مرة أخرى بنبرتها الهادئة المعتادة: ابنة السماء، لقد عُزلت عنه قدراته ليومين، ما أردت فعله به الآن هو أمرك، ولا اعتراض عليه.

توسعت حدقتا (صباح) متوجسًا، ينظر لكفي يديه ومن ثم للفتاة التي كان أمره معلقًا بكلمة من لسانها.

تفحصته (رعد) يبرود قبل أن تنهد: أمر الوالد لولده.

التفت الجميع إلى (شهاب) الذي وقف بجانب (رعد) مواجهًا لأبيه الذي ظل جالسًا على كرسيه منتظرًا حكمه، فتمتم (شهاب) من فكّ مشدود: اعتذر إليها، اعتذر لابنة السماء.

نظر الوالد لولده الذي كان طفلًا صغيرًا في آخر مرة رآه فيها، ظلّه يحوم فوق رأسه من طول قامته، منكباه عريضان، وسواعده مشدودة وحامية.

سأل (صباح) ساخرًا: أتأمر والدك يا فتى؟

لمعت عينا (شهاب) الذهبيتان اللتان تطابقان عيني أبيه، تطلقان شرارًا لم يره أحدٌ فيهما من قبل: أتعذر أم أدعك تحت رحمة اللعنة؟

انتقلت عينا (صباح) إلى (نوروي) الذي امتعض وجهه وكأنه ينتظر إشارة من سيده فقط.

ازدرد (صباح) لعبابه على عجلة: أنا أعتذر لابنة السماء، أعترف بأنني قد تجاوزت حدي.

نطقـت (رعد): سيد (صباح)، من الواضح أن سـنـيك
الطـوال الـتي قـضيتها مستأنسـا في برجك العاجي قد أثـرت
بـحـكمك، الـواقـع أشـد قـسوة علينا جميعـا ممـا تـظن، أتمنى أن
تـجـد الـسـلام المؤدية للحقيقة قريبـا.

لـم يـسـتـطـع (صباح) النـظر إلـيها، بـل ظـل نظـره متعلقـا
بـالأرض فقط.

انفـجـر (خافـير) ضاحكـا من هـول ما رآه، (صباح) رئيس
المؤسسة، ذلـك الشـديد القوي الـذي لا يقدر عليه أحد،
يـطـأ طـى رأسه ذليـلا لفتاة صغيرة، كان هـذا من أفضل المشاهد
التي مرت عليه في حياته، ولكن لـم يـكن ليـلومه على
الخنوع، فهو يـواجه شـخصـا تحت حماية كل أولاد الموت.

التفت الجميع إلى المستشار الـذي بدأ بمسح الدمع من
عينيه إثر نوبته الهستيرية لينطق الأخير: هذه ابنة (كايلوما)، لا
شك في ذلك.

التفت المؤرخ متجاهلا المستشار وموجهـا الحديث لـ
(ليلى): إذا؟ ما غايتكما هنا؟

تنفست (ليلى) بثقل: أردنا استعادة ولدنا لكوننا.

تخشب (شهاب) في مكانه: كونكم؟ ما الـذي يجعلك
تظنين أني سأتى معكما طوعا؟

رفع (خافير) يده متحدثاً: لا أعني المقاطعة، ولكن إن لم يكن لديكما شيء آخر لقوله فالباب من هناك، نحن نحاول إنقاذ العالم هنا والإصلاح الاجتماعي ليس من تخصصاتنا.

ردت (ليلي): إذا فنحن معكم.

جحظ الجميع لوهلة ليحدقوا بها قبل أن يلتفتوا إلى (صباح) الذي جلس مكانه بهدوء وأومأ برأسه: أمري كما أرادت لي زوجتي.

تحدثت (ليلي) بنفس متهدج: ألا تظن أن المؤسسة هي أكثر الأماكن أمناً لك؟ بالإضافة، أنت تنتمي إلينا، لقد أصبحت واحداً منا، أنا أشعر بذلك.

تدخل (خافير): عجيب، أيرمي بالأكوان كلها بحثاً عن بر الوالدين؟
نخرت (رعد) ضاحكة وغطت بسمتها بيدها.

بدأت (ليلي) تلعب بأناملها بتوتر: قد يكون مطلبي أنانياً، لكن إن تمكن منا الأول، فأنا أرغب بقضاء بضعة أيام مسالمة مع وليدي.

وقف (شهاب) يراقبها بصمت، توترها الذي طغى على جميع حواسها المنطقية فقط لأجل إشباع رغباتها الشخصية، كان يجده في قرارة نفسه محزناً ولكن جمود قلبه كان أمراً لا يمكن تغييره.

رد (شهاب) بجفاف: فقط لأنك أنجبتني لا يعني ذلك أنك أُمي، فأنا لم أعلم أمّاً طيلة حياتي لتمارسي علي واجباتك التربوية الآن.

كادت (رعد) تقسم إنها سمعت قلب (ليلي) يتهشم في داخل صدرها، نظراتها المكسورة التي لم تخلُ من زيارة الدمع المصهور، تعابيرها التي مزجت ما بين الذنب الذي أقض مضجعها، وإحساسها الداخلي بأنها جنت على نفسها.

هي كانت تعلم في قرارة نفسها بأن الأمر محال، ولكنها لا تزال متألّمة من وقع كلماته على مسمعيها.

ضوء

تعالى أصوات صهيل الخيول لتصدح من على الوديان
المثلجة، وكأنهم يتذمرون من البرد القارس الذي بدأ يتعب بدنه،
فربت إحدى الخيالة الثلاثة على عنق فرسها مهدئة إياها قبل أن
تأمر الاثنين معها: أعتقد أن علينا الراحة هنا لليوم.

أوما الفتيان المتدثران بالفرو برأسيهما ليرجلا عن خيولهما
ويهما بتلبية أمرها، فقام أحدهما بربط الجياد في جذع شجرة
قريب، وضح أنها كانت قبل وقت قصير تضجُ بالحياة، إلا أن
صقيع الأول تمكن منها، أما الآخر فقام بإشعال النار في منتصف
مخيمهم، وما أن انتهى ثلاثتهم مما كان بأيديهم، حتى تجمعوا
حول تلك النار لتبث بعض الدفء في أجسادهم المنهكة.

سأل أحد الفتيين وجهًا حديثه للفتاة ذات الملامح
الحادة: كم تبقى لنا حتى نصل؟

تناولت الفتاة ملفوفة ورقية من حقيبتها الجلدية التي
امتلات بالأعشاب والأغراض الطبية لتفرد لها وتتمتم: يومان
بالكثير حتى نصل للعاصمة.

هز الفتى الصعلوك رأسه مستنفرًا: ظننت أن البرد سيقبل
مع ترحالنا، ولكنه لا ينفك يزيد!

هزت الفتاة كتفيها مستسلمة: وما عسانا نفعل؟ فإن
إمبراطورية (هالكروس) مجاورة لمقر الأول الحالي.

تلفظت قبل أن تجري رعدة أسفل عمودها الفقري إثر البرد
الشديد، فتمسكت بطبقات الفرو التي كانت تعلوها بشدة أكبر.

لاحظ الفتى الآخر ذو الأعين المفزعة ذلك الأمر فاستقام
على رجليه سائلاً: أتودين معظفي يا (سيف)؟

ابتسمت (سيف) للفتى الذي قارب (إبراهيم) في العمر:
لا، شكرًا يا (فال)، أنت تحتاجه.

سأل الفتى ببراءة: هل أنت واثقة؟

أومأت برأسها موافقة بابتسامة متركزة على شفيتها، كانت
تأمل في الفتين أمامها بحنان تربوي غريب، كأنها أخت كبيرة
تشاهد أخويها الصغيرين، كان شعورًا مثيرًا للاهتمام كونها هي
أصغر شخص في قريتها كاملة، هل كان هذا شعور أختها الكبرى؟

ضيق (إبراهيم) عينيه محدقًا في الفتى بجانبه: لا أصدق،
لا أصدق أنك الأمير (فالديمير) نفسه!

حدق فيه (فالديمير) والاضطراب واضح على أساريره: لا أحب
هذا الـ (فالديمير) الذي تتحدثان عنه! أنا لا أذكر شيئًا من وقتي
كولي عهد بناتا، والحقيقة أعتقد أن ذلك الأمر أفضل لنا جميعًا.

رفع (إبراهيم) حاجبه مشككًا: هل هذا صحيح؟ أم هل
أنت تتظاهر بكونك ممسوح الذاكرة؟

وضع (فالديمير) يده على وجهه مغطياً عينيه: لا، أرجوك،
لا رغبة لي في الولاية.

رمت (سيف) قطعة قماشية على (فالديمير): عليك بتغطية
أعينك هذه إذاً، فهي ما سيقوم بفضحنا.

- «إذا شعبي يتضور جوعاً؟»

قال صوت امرأة صارم، يتعالى البخار من أنفاسها عندما
تحدثت إثر انخفاض درجة الحرارة.

- «ليس شعبنا فحسب، بل جميع من جاب هذا الكون.»

رد عليها رجل أصلع بلحية حمراء كثيفة، يقف أمامها
مرتدياً عباءة ثقيلة تناثرت على أكتافها نقاط من البرد.

همهمت الملكة (أبرستي) بينما تاهت أعينها تتأمل في
محيطها، في تلك الجدران الباردة، رغم أنهم كانوا يلقبونها
بالمملكة الجليدية إلا أن الجليد بدا مبتذلاً الآن، بعد استيقاظ
الأول وانقلاب حيواتهم إلى جحيم على الأرض.

من حسن حظها تمكنت من الهرب هي وحفنة من
مستشاريها وجندها بقيادة حارسها الشخصي (كنوت)، الذي
كان يحمل على عاتقه مهام الاستطلاع الخارجي حتى يزود
الملكة بما أمكن من أخبار.

زفرت بثقل بينما حمدت السماوات على الأنفاق السرية
التي صنعها أجدادها تحت سراديب قصرها، فلم تكن تعلم

عقد (فالديمير) حاجبيه: ولم أكذب عليكما؟! أنا لا أذكر شيئاً ممّا تقولانه، ولا أذكر شيئاً من حياتي السابقة، أول شيء أذكره هو تطيب (سيف) لجروحي. الباقي لا أستطيع الوصول إليه مهما حاولت، وكأنه موصود بقفل ما.

تدخلت (سيف): دعه يا (إبراهيم)، من الواضح أن صانع سلام ما تلاعب بذهنه.

سأل (إبراهيم) بانفعال: من الأكيد أنه ذاك الكلب الهالكروسي (فيدور رايكس)، لا غيره! كانت هذه كلها من ألاعيبه حتى يجعلنا نتخبط بعضنا في بعض.

التفت (فالديمير) إلى الفتى بجانبه: ومن يكون هذا؟ الكلب الهالكروسي؟

زفر (إبراهيم) بثقل: هذا شخص مختل، كان أقرب خدمك لك، والأغلب أنه هو من اختلق هذه القصة كلها، أعني اختطافك.

فرك (فالديمير) جبهته متحسراً: إن كانت هذه ولايتي فلا رغبة لي فيها.

قالت (سيف) بنبرة مطمئنة: لا تقلق يا (فال)، إن كان هناك شخص يستطيع إصلاح هذا كله فهو (نور). أنت لا تعرفه ولكنه صانع سلام حديث اليقظة، وله خبرة مع إمبراطورية (هالكروس). تنهد (فالديمير): آمل ذلك.

قاطع (إبراهيم): ولكن ماذا إن كان الإمبراطور لا يزال يبحث عن نجله؟ يجب علينا توخي الحذر.

كانت قد اتخذت إحدى المزارع المتواضعة مخبأً لها
ولأفرادها، تحاول جمع ما تبقى من قواتها أو تجنيد من
يصلح من شعبها، ولكن ما لاح في الأفق كان أملاً ضئيلاً
وخافتاً، لا يمكن شق الطريق إليه.

فما كانوا يتعاملون معه كان مخلوقاً قديماً، يقوى على
تدمير أكوامٍ بمفرده، جل ما أوقفه كان طبيعته المتأقلمة،
فعدم قدرته على التحكم بترحاله كان الشيء الوحيد الذي
يمكن من كبح بطشه.

زفرت بثقل وكأنها تخشى السؤال: وقوات الأول؟ ما هي أخبارهم؟
رد (كنوت) ولكنه ثقيلة: لا يزالون كما هم، يحوطون
العاصمة، ولكنني لاحظت شيئاً في الآونة الأخيرة.
الملكة (أبرستي) بفضول: تحدث إذا.

نفذ (كنوت) أمرها: وصلتني أخبار بأن القوات المرابطة
على الحدود بدأت تزداد عدداً.

رمت الملكة ظهرها للوراء في مقعدها مفكرة: أعتقد
أنهم ينوون التوسع؟

أوما (كنوت) رأسه: قد يكون هذا احتمالاً وارداً جداً جلالتك.

فركت الملكة ذقنها مشدوهة الذهن: في أي اتجاه؟

رد (كنوت): الجنوب.

بدت الملكة وكأنها تفكر بصوتٍ عالٍ: أرض الصفرة؟

ما عساها تفعل لو لم تتمكن من الولوج إليها، ولكنها كانت مشغولة البال دائماً، متجهمة الوجه، القلق يخيم على كيائها.

فهي تمكنت من الهرب، ولكن شعبها ظل مكانه، يعاني من عواقب فشلها في أداء واجباتها كوالية، وبالإضافة إلى ذلك، فإنها خسرت رئيس وزرائها وصانع سلامها، (أرثر ريد).

لم تعلم ما حل به ولكنها أملت بأنه تمكن من النجاة بطريقة أو بأخرى، ما تبقى من عبقه كان متعلقاً حول نحر المتأقلمة العنيفة التي خلفها وراءه، كانت (ذيليار) تقوم بكل ما استطاعت لخدمة الملكة، تحاول البقاء بجانبها دائماً، تسير على ما تبقى من ناسهم، تتقصى بعض المعلومات هنا وهناك برفقة (كنوت)، ولكن حيزاً كبيراً من بالها كان مشغولاً، بـ (أرثر ريد) أو ببقية أفراد فريقها من الرحالة الذين صعب عليها تعقبهم مع كل ما يسير من أحداث.

ولكن الملكة كانت مسرورة لبقاء المتأقلمة معها، فهي تذكرها كثيراً بنفسها، وكان وجود رحالة معهم أمراً مطمئناً بحد ذاته، إلا أن عدم ثبات أقدامها كان دائماً مسألة مرعبة لهم جميعاً، فلم يعلم أحدهم ما إن كانت ستستيقظ معهم أم في كون آخر.

سألت الملكة حارسها: هل من جديد في العاصمة؟

هز (كنوت) رأسه نقيّاً، فهممت الملكة بكلام غير مفهوم في حسرة من أمرها.

مقرها الحالي كان في مدينة (هتايز)، إحدى مدن مملكة (كيستون) الغربية، الأقرب لحد إمبراطورية (هالكروس)،

رد (كنوت): تبدو تلك الخطوة منطقية كون ولاية تلك الأرض جديدة وغير راسخة كبقية الدول.

طقطقت الملكة لسانها مبينة استياءها: ذلك الوغد يملك شخصًا متمكنًا سياسيًا، من يكون ذلك الخائن!؟

هز (كنوت) كتفيه مبيّنًا عدم معرفته: علمي بعلمك، جلالتك.

تعالى صوت صفير في الأرجاء بينما خطا (فيدور رايكس) بين ردهات القصر الذي اكتست أعمدته بالصقيع شاقًا طريقه إلى قاعة العرش التي استولى عليها الأول، وما أن وصل إلى الباب حتى استقبله حارسان ملثمان بالسواد وقاما بتحتيته قبل أن يقوم أحدهما بالإعلان عن قدومه ليخطو متبخرًا في طول الممر المؤدي للعرش.

- «تحياتي للأول».

انحنى (فيدور رايكس) احترامًا.

جلس الأول مكانه بدون أدنى حركة: صانع السلام...

أجاب (فيدور رايكس) بابتسامة صفراء: (فيدور رايكس)، جلالتك.

تجاهل الأول ذلك تمامًا وسأل: ما بغيت؟

استقام (فيدور رايكس) في وقفته: وددت أن أتحقق من جميع التجهيزات الخاصة بالقوات، وإن كنت سأحظى بشرف مدك بأي نوع من أنواع الدعم اللازمة لإتمام رؤيتك، جلالتك.

قال (أرثر رييد) ببغض: غيرك كان معدودًا على الأصابع وأذكى من أن يخون القضية الأعظم، أنسيت واجبك المنصوص عليك؟ أنت صانع سلام! كيف عساك تطيح بكل هذه الأعمدة من أجل مكاسبك الشخصية؟

حذق (فيدور رايكس) في الرجل أمامه: لم؟ حتى لا أكون أنا مكانك، مقيدًا بالأغلال بسبب تقديس القضية بينما لا يقوم غيري بالمثل؟!

رد (أرثر رييد) بجفاف: ضوضاء عقلك المريض أطاحت بمبادئك. رفع (فيدور رايكس) يديه للهواء: وماذا إن كانت هذه الضوضاء محقة؟ وماذا إن كنت أنا أحق من غيري؟ ليذهب سلامكم إلى الجحيم، أريد الجبروت والجاه اللذين أستحقهما!

نظر (أرثر رييد) إلى ذلك الرجل الذي ظن في قرارة نفسه أنه مختل عقليًا، فلا يوجد شخص واع يفعل ما افعله، فهز رأسه في خيبة ظن: يا للخزي، لقد لطّخت نوعنا لأول مرة بالتاريخ، أنت بمفردك تمكنت من تشويه مجهود كل صانع سلام مر على الأكوان، من يأتي من بعدنا سيصنع من صناع السلام ما يصنعونه الآن بالمتأقلمين.

رد (فيدور رايكس) ساخرًا: ما يأتي هو ما سأصنعه أنا.

بدا صوت الأول أقل عدوانية: لا داعي لذلك، جنودي في
أوج الاستعداد.

انحنى (فيدور رايكس): كما ترى، جلالتك.

استأذن (فيدور رايكس) بالرحيل فسمح له الأول بذلك، ودع
صانع سلام إمبراطورية (هالكروس) الأول بأدب واستدار على
كعبه ليخرج من قاعة العرش ويكمل تصفيرًا بأريحية بينما مشى
بين ممرات القصر مرة أخرى لينزل على أحد السلالم الطويلة
حتى وصل لمقصده، باب حديدي قاتم اللون، فدفعه وأكمل
مستمرلاً في ألحانه حتى وقف أمام إحدى الزنانات متشمّتًا.

- «(أرثر ريد)، يبدو أن المكان قد ناسبك؟»

قال (فيدور رايكس) ساخرًا.

حذق فيه (أرثر ريد) من وراء خصلات شعر فوضوية
بغير العادة، حدقاه الزرقاوان حانقتان كالسكاكين: يبدو أن
خطتك نجحت؟

قهقهه (فيدور رايكس) متسلّيًا: ما رأيك أنت؟

أمال (أرثر ريد) رأسه: أمل أن غايتك تستحق كل العناء
الذي تسببت به.

زفر (فيدور رايكس) هازأ رأسه نقيًا: أنا مجرد عجلة في
هذه الآلية كلها، فإن لم أكن أنا فسيكون غيري، ولم أترك
المجد لغيري؟

العودة

هزت (رعد) كتفي (أديسا) ممازحة قبل أن تجلس مرة أخرى ليكمل هو لعبه بالورق مع القنطور أمامه بينما افترشوا الحديقة أمام قصر السيد (فياض)، جلس (مالين) بجانبهم يلعب معهم ويستعين بـ (رعد) لكي تضع أوراقه له، يقابله (شهاب) الذي ظل ينظر متفكرًا الورقه، خلفه جلست (قمر) تنظر لورقه معه، تحاول فهم قوانين اللعبة بدون فائدة.

كانت هذه طريقتهم في تسلية أنفسهم ريثما يتناقش القادة استراتيجياتهم بالداخل لساعات طوال، فمنذ أن انضمت المؤسسة لهم بدأت قبضتهم تصبح أكثر إحكامًا على الأمر، ولكن كون طبيعة المؤسسة غريبة بحد ذاتها، لم يبدُ أن تدخل المتأقلين الحديثين مرحبًا به، فكانت النقاشات طويلة ومملة وتدور ما بين (خافير)، المؤرخ، (صباح)، و(ليلي)، وفي بعض الأحيان ينضم إليهم الملك (ماتع) والقائد العسكري (بيلور)، ولم يجر هذا كله دون زيارات الملكة (ميرفا) المفاجئة بالطبع، ليخبطوا رؤوسهم بعضها ببعض على مائدة العشاء التي أصبحت موطنًا لحفنة من المخطوطات الخاصة بالأكوان، بالإضافة لبعض الأدوات المنزلية العشوائية التي تم استعمالها لتمثيل كل طرف من

أطراف هذه الحرب، ولأجل سلامتهم النفسية، حاول بقية
الجند تجاهل هذه النقاشات حتى يتم استدعاؤهم، فـ
(شهاب) كان يثق ثقة عمياء بـ (خافير)، و(رعد) لم تمتلك
خيارًا إلا فعل المثل.

أما (مالين) فرغم تخطيطه ما بين ولاءه لمملكة (كيستون)
ومملكة (ديرينشيا) إلا أنه عزم الولاء لكليهما.

وبينما كانوا يسرحون ويمرحون بالخارج، أصدى صرير
الباب مناديًا أعينهم جميعًا لمصدر الصوت، حدق الجميع بـ
(خافير) الذي أشار بيده إليهم: أفرادى فقط!

ما أن سمعوا ذلك حتى استقام كلُّ من (رعد) و(شهاب)
على أرجلهم بعجلة واضحة، يكادان يجريان للداخل ككلاب
استدعاهم صاحبهم، أرجلهم تتسابق بعضهما مع بعض فوق
السلالم الصخرية لينضما إلى البقية على المائدة.

وقف (خافير) بأيديه على وركيه: حسنًا، لا يوجد غيركما
للعب دور هجومي على الأول، لكن لا داعي للقلق، أنا،
(صباح)، و(ليلي) سنكون بظهركما طوال الوقت، ولكننا
نحتاج ما يلهي ذلك المسخ.

رفع كلُّ من (شهاب) و(رعد) أيديهما بتحية عسكرية:
أمرك سيدي!

حك (خافير) مؤخرة رأسه: ولكن الجزء الأهم في هذه
العملية كلها هو تموضعكما عند شن الهجوم، فلا يمكننا أن

نرسلكما فجائية لتنفيذ الخطة، عليكم التسلل والتخفي في الكون السابع لوهلة حتى تدق الساعة المنتظرة.

أضاف المؤرخ: في هذا الوقت ستقومان بتقييم محيطكما، وإن استطعتما إيجاد رحالة آخرين فهذا سيكون عونًا كبيرًا لنا، جندا ما تستطيعان وأكملًا تخفيًا حتى ذلك اليوم.

رفعت (رعد) يدها لتسأل: ولكن ماذا إن فقدت التوازن ووجدت نفسي في كون آخر؟ فأنا لا أستطيع التحكم بأرجلي.

حمحم (صباح) قبل أن يطمئنهما: لا داعي للقلق، فإن فقدناك فستعلم الملكة (مينرفا) عن مكانك وسيتمكن أحد المتحكمين من الإتيان بك مجددًا.

حدقت (رعد) به ولكنها أومأت برأسها متفهمة، يبدو أن دورها في تأديبه قام بمفعوله.

وضعت الملكة (مينرفا) مرآة ألقتها (رعد) في كفي المتأقلمة وتحديث: هذه المرآة ستمكنني من معرفة موقعك على الدوام، كل ما عليك هو إبقاؤها معك، وإن احتجت لأي مساعدة فما عليك سوى النداء علي من خلالها.

سأل (شهاب): وماذا بعد؟

قال (خافير): إن وجدت بعض أفرادنا فلتلزم جانبهم، تكاتفوا معًا وإياك والضياح عنهم.

أوما (شهاب) برأسه قبل أن يكمل (خافير): أما بالنسبة لمواقعكما، فسنقوم بإرسال (رعد) إلى إمبراطورية (هالكروس)،

أما أنت يا (شهاب) فسوف تتجه إلى أرض الصفر، أما نحن
فسوف نقوم باتخاذ قاعدة في مملكة (ديرينشيا) مع الملك
(ماتع)، بهذه الطريقة سنكون قد أحطنا بالأول من جميع
الجهات تقريبًا.

أما لت (رعد) رأسها: وماذا ستفعلون في (ديرينشيا)؟

رد (خافير): نجهز قواتنا ونستعد لحركتنا القادمة، فنحن
بحاجة لقاعدة آمنة نوعًا ما، وذلك سيكون أمرًا سهلاً مع
الملك بجانبنا.

سأل (شهاب): وماذا بعد ذلك؟ ما الخطة؟

أشاح (خافير) بيده: اتركنا التخطيط لنا وقوما بتجهيز عدة السفر.

حل الظلام الدامس على مرمى النظر، البرد يغزو الأطراف
ويتسلق شاقًا طريقه لباقي البدن، يصعب على المرء الخلود
لنوم في هذا المقدار من عدم الراحة، ولكن (أرثر ريد)
كان يستلقي مكانه في زنزانه مغلقًا عينيه، يحاول أخذ
سويقات قليلة من النوم قبل أن تتعالى بعض الضوضاء التي
رغم خفتها ركلت النوم من على جفنيه بعنف.

انفض (أرثر ريد) من مكانه مستقيمًا على جذعه يراقب
ما كان آتيًا له ولكن الضجيج الخافت اختفى تمامًا للحظات
قبل أن يتردد صوت بعض الخطوات التي نزلت من على

لحظات بسبب تأثير الأول على المكان، كاد أن يتمكن من هدفه إلا أن الفتاة قفزت للأعلى فجائية وبسرعة غريبة متفادية هجومه، هبطت على رجليها لتضيق أعينها ناظرة إلى الاثنين أمامها، ولكن (أبجيت) لم يتوقف أو يعطها أي مجال للاستيعاب، فظل يقوم بقذف هجمات متعددة في الهواء كانت تتحول من ماء إلى جليد على الفور، فكانت تنفادى بعضها بسرعة خارقة للطبيعة وتتخطى بعضها الآخر، حاول (أبجيت) شن هجوم آخر إلا أنه قبل أن يعي ما كان يحصل وجد الفتاة تقف أمامه مباشرة لتوجه له لكمة قاسية لبطنه تبعثها لكمات أخرى متتالية لم تستطع العين استيعابها من سرعتها الضوئية، ظلت تحوم حوله تلكمه من جهة، وتركله من جهة في ثوانٍ معدودة، بينما تهاوى هو لركبته متنفسًا بثقل قبل أن يضع كف يده على الأرض ليرتفع من حوله حاجز مائي تجمد على الفور ليدفعها بعيدًا عنه.

وقفت بعيدة بعدة أمتار تراقب ما كان يوشك على فعله، ولكنها لم ترَ شيئًا، بل ظل كل شيء ساكنًا مكانه، فهرعت إلى ذلك الحاجز المجمد الذي كان يحجب رؤيتها لتفاجأ بعدم وجوده، التفتت تارة يمينًا وتارة يسارًا تبحث عن أي أثر لهما ولكنها لم تجد شيئًا من ذاك القبيل، وبينما كانت هي تبحث عن الهاريين بهيستيرية، كانا هما يركضان خلال الأنفاق التي امتدت تحت قصر مملكة (كيستون)، أرجلهما

السلام ليرى (أرثر ريد) صاحبها، كان متدثرًا ومتلثمًا بالسواد، لا يُرى منه إلا أعينه الزرقاء وبشرته الباهتة، يحمل فانوسًا يضيء المكان بخفة بإحدى يديه.

حذق (أرثر ريد) في الشخص الذي ميزه على الفور بينما بدأ الأخير باللعب خلال مفاتيحه على عجلة ليدفع أحدها خلال قفل الزنزانة الحديدية لتصر البوابة عند فتحها، ولم يضع أي وقتٍ فرمى عليه ثيابًا سوداء تماشي ثيابه وأمره: ارتدّها بسرعة!

بدأ (أرثر ريد) بتنفيذ أمره على مضض قبل أن يسأل: ما الذي غير رأيك؟

تخشب (أبجيت) مكانه: لا وقت الآن، أسرع!

التزم (أرثر ريد) الصمت وامثل لأمره على عجلة ليخرج اثناهما من تلك العتمة إلى دهاليز القصر المتجمدة، أخذ (أبجيت) خطوات حذرة متفقدًا محيطه كل حين، يتبعه صانع السلام بهدوء، ولكن (أبجيت) توقف فجأة عند إحدى الزوايا يشتم تحت أنفاسه، لم يعلم (أرثر ريد) عن السبب ولكن (أبجيت) كان قد رأى إحدى المتأقلمين المنضمين لقوات الأول، فتاة بشعر أسود قصير مخلوق، ترتدي ثيابًا تماشي ثيابه، تحوم في المكان. علم (أبجيت) بقوة محطمها مسبقًا، ولذا حاول ترجيح الكفة لمصلحته باستعمال عنصر المفاجأة، فاندفع ملوحًا بذراعه بمقربة من الأرض لتنطلق موجة من الماء في ذلك الممر لتتيسر بعد

تسابق الريح حتى وجدا بصيص الضوء في آخر تلك
الممرات يتسلل من شق يقع بين دفتي باب حديدي، وقف
كلاهما عند كل دفة يخطان بأكتافهما على السطح القاسي
بعنف حتى انفرجت آمالهما ليتهاوى كلُّ منهما على الثلج
الأيض الذي غطى جميع محيطاتهم أخيرًا، ليكملا جريًا
حتى وصلا لجذع شجرة ميتة ربط حولها لجاما حصانين
ضخمين ليمطياهما على عجالة هارين من سخط الأول.

ولكن الفضول لم يرحم (أرثر رييد) الذي ظل يتساءل
طول الوقت عن السبب وراء قرار (أبجيت) المتسرع، لا،
المدرّس بعناية.

فهو خطط للأمر، ولكن ما الدافع لترك الكفة الفائزة؟
ذلك ما لم يكن يعلمه.

هل كان يوجد أمر أكثر أهمية من الفوز، من النجاة؟

ما الذي دفعه لهذا الطريق الذي لم يسلكه قط؟

ولكن الشيء الذي ميزه (أرثر رييد) كان واضحًا في عينيه،
لمعة معينة، ونظرة من الجزع كانت تكتسح معالمة، متخوفة
من أهوال القدر الذي بدأ يتجلى أمامهما.

أراض وعرة



- «لا أصدق، هل أنت جاد!؟»

- «ولم سأكذب عليك!؟»

تعالى صوت لشاب وشابة يتبادلان أطراف الحديث
بحيوية، يرتديان ذلك الزي الأسود الذي ارتدته جميع قوات
الأول بينما كان الشاب يرمي الحطب في كومة في منتصف
مخيمهم الذي وقع وسط أرض مسطحة تكتلت بالثلوج.

أمسكت الفتاة بخصلات شعرها المجعد وبدأت تشد فيه:
(أبجيت)، ذلك الأحمق! لم عساه يفعل ذلك!؟

لوح الشاب لها مشيراً لها بأن تخفض صوتها: هذا ما أود
معرفته، وتوقفي عن شد شعرك يا حمقاء!

أفلتت الفتاة خصلاتها من بين أصابعها السمراء: ولكن...
ألن يعني ذلك أن علينا مواجهته؟ فهو أصبح خائناً الآن!
فرك الشاب شعر ذقنه متفكراً: وهل لدينا خيار آخر؟

اعترضت الفتاة بانفعال: لا تغضبني يا (شاهين)، أيطاوعك
قلبك على هذه القسوة؟ إنه (أبجيت)، (أبجيت)!

رفع (شاهين) ذراعيه للهواء: ارحمني يا (نياري)، وهل ندع ولاءنا للزعيم يشوش رؤيتنا؟ ألا تتذكرين ما علمنا إياه؟

تنهدت (نياري): ... بلى.

أمال (شاهين) رأسه: انطقي إذا.

هوى رأس (نياري) لتحديق برجليها: دعوا أنا نيتكم تقودكم لنجاتكم. أوماً (شاهين) برأسه: بالضبط، ورغم أنني لست معجباً بالوقوف ضد الزعيم، إلا أنه قد اتخذ قراره بنفسه، ولا داعي لأن ننخرط في خيانتة.

(نياري) بفضول: ولكن ألا تتساءل عن الأسباب؟ ما الذي دفعه حتى يترك الكفة الرابحة؟ ألسنت قلقاً؟

لوح (شاهين) ناهياً: أسئلتك كثيرة، لا أعلم ولن يغير علمي موقعي الحالي.

هزت (نياري) كتفي الشاب أمامها: ولكن يا (شاهين)! أنا لا أعتقد أن الزعيم قد يتخذ قراراً كذلك إن لم يكن الأمر بالغ الخطورة!

غطى (شاهين) فمها بصرامة: إن أكملت في صراخك هذا، فلن يتدحرج رأس الزعيم وحده.

حل الصمت على المكان، فأفلتها (شاهين) متأففاً وأكمل: لا تشغلي نفسك بشيء إلا غزوتنا على أرض الصقر، فإن لم تتمكن منها فستكون العواقب وخيمة.

عبست (نياري) ولكنها تفهمت وجهة نظره، فإن الخطر
المحدد بهما على هيئة سخط الأول كان أقسى من أي شيء
آخر، وإن صعب عليها تقبل الأمر. نجاتها كانت أكثر أهمية،
فحياتها هي الأولوية التي تتوج ما تبقى من الأمور، هذا ما
علمها إياه زعيمهم.

أطلقت (نياري) نفساً ثقیلاً لم تدرك أنها كانت تحبسه
معلنة استسلامها.

ما الذي يعنيه هذا كله على أي حال؟ وما هي كمية
الضرر الناتج عن إطلاق سراح الأول من الأساس؟

تمنت في قرارة نفسها أن تعود لعالمها، لعالم الصحوة،
فهي لم ترغب بقتال في حرب دموية كهذه من أجل تحقيق
رغبات غيرها، كائنًا من كان، لم يعنها ذلك كله.

لو استطاعت لكانت رمت بالقضية، والأول، والأكوان
برمتها وعادت أدراجها لعالمها الذي ألفتة، فهو لم يكن
مثاليًا، ولكن رغم ذلك كان أفضل بمراحل لا تعد ولا تحصى
مما كانت تواجهه هنا.

لم تكسب من كونها إحدى محاربي الكون أي شيء
إلا البؤس والتعاسة، ما الفائدة من القوة تحت ظل الأول؟
من لا يمكن هزيمته أبدًا؟

بدأت تسأم من ذلك المنظر رغم اعتيادها عليه، إلا أنه لا يزال مزعجاً، ذلك البياض المبهم بدأ يتفشى في رأسها بشكل موحج.

لا معالم واضحة، جميع التضاريس المحيطة التي كانت في يوم ما معلماً ما تتميز بها كل منطقة كانت مغطاة بأكوام لا تعد ولا تحصى من الثلوج، بدأت تشعر بأنها وقعت في مصحة مجانيين حديثة، ما ينقصها كان تلك السترة فقط.

تفحصت (رعد) محيطها بحذر بينما توارى وجهها خلف لثمة من القماش الذي أخفى هويتها، أعينها تصعد وتهبط من على مباني مدينة (كوردينيا)، عاصمة إمبراطورية (هالكروس).

لم تكن تعي (رعد) مقدار التغير الواقع على الكون السابع منذ أن تم تحرير الأول من أغلاله، رغم سماعها عن تلك الأحوال المزرية إلا أن رؤيتها بأمر عينها كانت أمراً مرعباً يحد ذاته، وكأن نهاية العالم كانت على المشارف.

تقدمت بخطاً مرهقة بين جموع غفيرة من الناس الذين تجمعوا في الساحة الرئيسة للسوق، ظهر على أساريرهم الإرهاق والإحباط، لم تعلم (رعد) علام كانوا يحتجون ولكن صيحاتهم العالية كانت موجهة لمجموعة من الجنود الذين حاولوا تهدئتهم بلا فائدة.

- «نحن لا نجد الطعام لتناوله!»

- «أين الإمبراطور (جراتيان)؟! ليأت لنا بالعون!»

صرخ الشعب بتمرد واضح على حالهم الصعب بينما
وقفت (رعد) وسطهم تنصت على الهمسات التي تبادلها
الحشد في محاولة لاستيعاب الوضع الحالي للإمبراطورية،
والظاهر أن الأرض وعرة وشاقة للجميع، فتأثير الأول طغى
على كل شيء آخر، المناخ لا يعتدل ولا يتغير، البرد القارس
يسرق حياة المحاصيل والأمراض تتفشى بين المواطنين.

تهدت بحسرة على سوء حالهم وبدأت بالسباحة بين
أجسادهم محاولة الخروج من ذلك التكدر، وبينما كانت
على ذلك الحال شعرت بقوة تقوم بسحبها للخارج، يذ
تمسكت بذراعها وكأنها تقودها للأمان، لم تتمكن من رؤية
صاحبها، فقط مؤخرة رأسه الذي كان مغطى بقلنسوته، وما أن
تمكن اثناهما من النجاة من ذلك التجمهر حتى حاولت
تمييزه ولكنها لم تستطع، ورغم كونهما سبق وأن تمكنا من
الوصول لبر الأمان، إلا أنه لم يفلت يدها.

حاولت سحب يدها ولكن قبضته اشتدت على ساعدها
قبل أن ينطق: اهبطي يا (رعد)، فقط اصبري لبضع دقائق.

عقدت (رعد) حاجبيها، ولكنها ميزت ذلك الصوت، كان
مألوفاً لسبب ما ولكنها لم تسمعه منذ زمن، فبدأت تنبش
في ذكرياتها حتى وصلا إلى أحد الأزقة البعيدة عن الناس
ليقف أمامها بهيكله الصغير، وقامته التي كانت أطول منها
بقليل، أدركت (رعد) هويته حينها، فطوقته بذراعيها في عناق
قوي تسبب بوقوع قلنسوته من على رأسه.

تذمر (إبراهيم): لقد اشتقت إليك أيضًا.

دفعت (رعد) نفسها من عليه وتشبثت بكتفيه: يا أيها الأحمق! أين كنت طوال هذا الوقت؟

حك (إبراهيم) مؤخرة رأسه: أستطيع قول الشيء نفسه لك؟
حدقت به (رعد) قبل أن تهز رأسها موافقة: معك حق،
يدو أن لدينا الكثير للحديث عنه.

التفت (إبراهيم) برأسه: ليس هنا، لنذهب للبقية.

(رعد): البقية؟

لم تبقَ (رعد) في حيرتها طويلاً، فقام (إبراهيم) بمرافقتها
حتى وصلا إلى ما بدا كمكتبة صغيرة وعتيقة على الشارع
نفسه، لها نافذتان زجاجيتان معتمتان، تتوارى من ورائهما
أطياف كتب ورفوف، ومدخلها باب خشبي قديم ولكن ظهر
عليه بواذر الاهتمام والعناية.

وقف (إبراهيم) أمامها ودفع بمقبض الباب للأسفل ليرن
جرس صغير تشبث بإطار الباب معلناً عن دخولهما، ومن ثم
عن إغلاق الباب.

وقف كلاهما متخشين للحظات قبل أن يظهر رأس ساحرة
النبوءة من بين بعض الرفوف وما أن ألقت نظرها على
ضيفتهم بالكاد استطاعت تمالك أعصابها، فتساقطت أرجلها
بعضها مع بعض لتحضن (رعد) في عناق عاصر قامت

الأخيرة برده، مرت عدة لحظات قبل أن تشعر (رعد) بشخص آخر ينضم إلى عناقهما لتلقي أعينها على (نور)، ثم قرر (إبراهيم) الانضمام للثلاثي ليشرح بالانتماء هو الآخر.

وما أن تفرقوا بعضهم عن بعض حتى أخذهم الحديث، عما كان يحدث في الكون السابع، وما كان البقية يفعلون في الكون الثالث من تدريب، حكمت (رعد) عن مهمتها الحالية ولم كانت في الإمبراطورية، وعن مرآة (مينرفا) التي كانت وسيلة تواصلهم الوحيدة، تجمعوا جميعاً على أرائك دارت حول طاولة صغيرة، وبينما كانوا على هذا الحال، علت أصوات الأكواب والمشاريب التي يتم صبها، عقدت (رعد) حاجبيها عندما استقرت تلك الضوضاء على مسامعها فالتفتت بسرعة لمصدر الصوت الذي كان يأتي من الأعلى، والسؤال الشاغل على بالها كان:

«إذا كانوا هم جميعهم هنا فمن كان هذا الشخص الزائد؟»

لمحت (رعد) شخصاً ينزل السلالم الخشبية حاملاً لوحاً خشبياً بكلتا يديه، ترتاح عليه عدة أكواب فخارية تهرب منها ألسنة البخار الحارة، ورغم إطالتها في النظر إلا أنها لم تستطع التعرف عليه، ضيقت (رعد) عينيها تحاول تمييز هذا الشخص الذي وقف أمامها الآن يضع الأكواب برفق على الطاولة أمامهم، وما أن رفع رأسه لتلقي أعينها حتى أجفلت من نظره المريبة.

حاول (نور) الشرح: (رعد)، هذا-

وضع الشاب يده على صدره وانحنى بأدب: (فالديمير هالكروس)، تشرفت بمعرفتك.

جحظت (رعد) بصمت قبل أن تستدير إلى البقية بانتظار شرح ما، فقالت: ما الذي أتى به هنا؟

فشرحت لها (سيف) أنه قد فقد ذاكرته، ولا يعلم شيئاً عن ماضيه، وكأنما تم مسح ذاكرته تمامًا، فسألت (رعد): ولم لا يصلحه (نور)؟ من الواضح أنه تم التلاعب بعقله من قبل صانع سلام آخر.

هز (فالديمير) رأسه نفيًا: لا نفع لي بتلك الذكريات الفاسدة، ولا أرغب بها، أنا راضٍ بحالي الآن وقد يكون هذا الحل الأنسب للجميع.

هز (نور) كتفيه مبيّنًا استسلامه: كما ترين، هو يرفض الأمر تمامًا.

اتكأت (رعد) بظهرها للوراء بينما حدقت به من رأسه إلى أخمص رجله: وكيف نعلم أنك لا تزيف الأمر برمته؟ هل تحققت يا (نور)؟

هز (فالديمير) رأسه نفيًا: أنا لا أحاول خداعكم بأي شكل من الأشكال، ولكنني كرهت المساس برأسي فلا أستطيع إثبات براءتي لك، أنا أسف.

رفعت (رعد) حاجبها بتشكيك واضح: ومن المفترض أن
نتق بك فحسب؟

وضع (فالديمير) يده على صدره مرة أخرى: أنا أرجو ذلك،
فلا أريد العودة لوطن كهذا، لست أهلاً للحكم، ولا نفع لي كولي.

هربت ضحكة ساخرة من شفتي (رعد): يسهل عليك
قول ذلك، أتعلم أنك تحاول اغتيالي منذ أن بدأت ترحالي؟

ارتسم الخجل على معالم (فالديمير): أعتذر منك بشدة،
تلك التصرفات لا تمثلني بتاتاً، أعلم بأن إقناعك لن يكون
أمرًا سهلاً ولكنني مستعد لبذل قصارى مجهودي في محاولة
تعويضك عما ارتكبت من جرائم.

هربت شخرة سائبة من بين ضحكات (رعد): ماذا إذا؟
أنت تعتقد أن إقناعي هو مجرد مسألة وقت؟

احمر وجه (فالديمير) محرّجاً، دمه يجري بسرعة بين
أجزاء رأسه، غير قادر على الرد.

حاول (نور) التدخل: اسمعيني يا (رعد)، لقد انضم (فال)
إلينا منذ مدة ليست بقصيرة، ولو أراد افتعال شيء ما لفعل
بالفعل، فنحن على تراب أرضه في نهاية الأمر، لا أجد سبباً
يمنعني من الوثوق به.

حدقت (رعد) بولي العهد بوجه مصمت من الملامح قبل
أن تنطق: لوراك (شهاب) فقط لقم بفصل رأسك التعييس
عن رقبتك قبل أن تتمكن من التلفظ بشيء.

كان (فالدмир) واجمًا، ممتقع الوجه ما بين حرج وذعر، ولكنه استجمع شتات نفسه على عجلة: وأي جريمة مريعة ارتكبت بحق هذا الـ (شهاب)؟

ردت (رعد) بجفاف: طالبت برأسي.

تيس (فالدмир) مكانه، غير قادرٍ على الرد بتأتًا.

حاولت (سيف) تهدئة الأوضاع: (رعد)، أنت محقة. أنت تملكين جميع الحق لعدم وثوقك به، وسواء فعلت أم لا فهذا أمر يخصك ولا يمكن لأحد إجبارك عليه، ولكن (فالدмир) رافقني أنا و(إبراهيم) في سفرنا الطويل هذا ولم نر منه ما يسيء لنا.

أوماً (فالدмир) برأسه مضيئًا: لقد أنقذت (سيف) حياتي، أنا مدين لها بذلك المقدار، وطالما حييت فهي لها لتفعل بها ما أرادت.

ضيق (رعد) عينها ناظرة إليه قبل أن تلتفت إلى (سيف) لتأمل حديثها في ذلك الأمر وما أن تحققت منها حتى أطلقت زفيرًا عاليًا: لتفعلوا ما أردتم، ولكن إن فكرت في خيانة تلك الثقة يومًا ما فنهايتك على يدي.

أوماً (فالدмир) برأسه خانعًا: لن أخيب ظنك.

لوح (رعد) له بأن يتعد من أمامها وكأنها تتخلص من ذبابة مزعجة وأكملت حديثها مخاطبة الثلاثة الذي تراصوا على الجهة المقابلة: إذا، أتوون الزحف معنا حين تدق الساعة؟

رد (نور) بجدية تامة: بالتأكيد، إن لم نقاتل نحن فمن يفعل؟

سألت (سيف) بعد تردد طويل: كيف هو حالك يا (رعد)؟

كانت نبرتها مدركة لحساسية سؤالها، ولكنها لم يسعها تركها بهذا الحال بدون أن تطمئن على الأقل.

انفلقت عينا (رعد) وكأن التعب هرب من أجفانها لتحقق بصديقته التي لبست تعبيراً مُحرجاً، ساد الصمت للحظات قبل أن تجيب: أنا بخير.

ظهر الأسى على أسارير (سيف): أنا لم أكن هناك ولكنني... سمعت بما حصل. خالص تعازي لك.

همهمت (رعد): جميعنا فقدنا، لست وحدي من فعل، هذه طبيعة الحرب.

قالت (سيف) بنبرة متوجسة: (رعد)، لقد فقدت أغلى الناس عليك، من الطبيعي أن تكوني مستاءة فالتظاهر بالقوة طوال الوقت سيزيد الطين بلة.

استقامت (رعد) بجذعها بانفعال: نعم، ولقد فقدت أخوين اثنين أيضاً، لقد فقدت الكثير كما فعل غيري من الجنود، وهل علي التأوه والنحيب لما تبقى من حياتي؟ انتهى الأمر بالفعل ومشاعري، بغض النظر عن طبيعتها، لن تقوم بتغيير أي شيء مما حصل للأسف.

تنهدت (سيف): ليس عليك الحداد لما تبقى من عمرك بالطبع، ولكن التفريغ عن النفس والبوح بما في صدرك كل فترة وأخرى لن يقتلك، الكتمان سيفعل.

صمتت (رعد) متفكرة قبل أن ترد: نعم، أنت محقة، ولكن
التذمر لا يجدي يا (سيف)، لا يجدي بتاتا، فهو لا يشبعني، فهذا
الكمَد يصدُّعني وأركانِي التي طالما كانت ثابتة انهدت فلم تبقَ
في رَكِيزَة، ولم أقو على القيام. هذه الحُرقة لا تنطفئ، والوجع
باقٍ لا يفنى، مقدرتي تكمن في النمو من حوله فحسب واستقباله
بصدرٍ رحب حتى تعتاد الروح على وطئه، هذا جل ما أملك من
مقدرة، فما استطعت إخراجه من جوفي فعلت، وما غير ذلك
فقد تبدد حول النطاق الضيق الذي قُيدت النفس به. لا أستطيع
تغيير الواقع يا (سيف)، مهما بذلت من مجهود، ما يجب علي
هو محاولة إنهاء هذه السلسلة فحسب.

(سيف): ولكن...

(رعد) بصرامة: لقد فقدناهم، لا يمكننا فعل أي شيء
حيال ذلك، ولكن يمكننا فعل شيء حيال ما يأتي. من
فقدناهم خدموا وطنهم وحاربوا من أجله طوعًا، هذا كان
اختيارهم وهم كانوا على أتم استعداد لاستقبال تبعات
ذلك الأمر، أما بقية الشعب الذي يعاني تحت ظل الأول،
أبناء آدم ذوو الدم الصافي الذين لا يمتون للرحالة بصلة،
فما ذنبهم في كل هذا؟ ما سبب توريطهم في حرب لا
تخصهم؟ سبب حسرتهم هو عدم كفاءتنا كرحالة لإنهاء
الأمر بسلاسة.

سألت (سيف) بانفعال: وأنت تلومين نفسك على كل ما
دار؟ ما خطبك يا (رعد)؟!

أومات (رعد) برأسها: ممتاز، حتى ذلك الوقت علينا التزام الحذر والبقاء بعيدًا عن الأنظار لأطول فترة ممكنة، وأنا أعني ذلك بكل جدية، إن تم كشفُ موقعنا فسنقع بكربٍ عظيم.

ابتسم (إبراهيم) بثقة: لا داعي للقلق فنحن نمكث هنا منذ مدة ولم تتوجه لنا الأصابع بعد، الأغلب بسبب مسح (نور) لذاكرتهم أو ما شابه، ولكن أنت تعلمين ما أعني.

(رعد) بنبرة رتيبة: نعم، طمأنتني أنكم غير قادرين على الاعتماد على أنفسكم.

هز (إبراهيم) كتفيه مستسلمًا قبل أن تلتفت (رعد) للخارج لترى أن الليل قد حل عليهم، فهضت من مكانها بعسر وتذمرت: أنا مرهقة.

لبت (سيف) ما طالبت به بشكل غير مباشر: لنذهب للعلية، يمكننا النوم بحجرتي.

نهضت (رعد) من مكانها متمسكة بحقيبة جلدية احتوت على أغراضها وتبعته (سيف) التي قادتها إلى أعلى السلالم التي أصدرت صريرًا بين كل خطوة وأخرى، ما أن دخلت (رعد) تلك الغرفة حتى وضعت أغراضها على الأرض بجانب الفراش ورمت بجسدها المتعب على تلك الملاءات متجاهلة كل شيء آخر، في الجانب الآخر من السرير جلست (سيف) بهدوء متأملة في معالم (رعد) المرهقة، قلبها متعب من رؤيتها بهذا الحال.

حدقت (رعد) تجاه الفتاة: أنا ألوم جميع الرحالة الواعين وليس نفسي فحسب، فإذا لم نتصرف نحن فمن يفعل؟ من عساه يملك المقدرة الكافية لإيقاف طاغية كالأول إن لم يكن نحن؟

(سيف) بنبرة متهدجة: (رعد)، أنت مسؤولة عن نفسك فحسب! لمَ تصرين على البقاء في هذا السجن المبجل من الأخلاقية الزائفة!؟

أطلقت (رعد) نفسًا: نحن لا نفكر بالطريقة نفسها، فأنت تخليت عن مسؤولياتك كساحرة النبوءة لتشبعي رغباتك في حريتك الفردية، وهذا من حقك كإنسان، ولكن عواقب أفعالك كانت النبذ، أما عواقبنا نحن فهي جرف جميع الخلق في دوامتنا، كون كامل بشعوب وحضارات وبلدان مختلفة، جميعهم يعانون بسبب فشلنا في السيطرة على أحد من نوعنا، أليست هذه مسؤولية أحدهم للاهتمام بها؟

خيم الصمت على المكان للحظات قاتلة من التوتر ما بين الفتاتين حتى نهضت (سيف) من السرير واستقامت على رجليها: لا تجعلني نفسك كبش فداء كما فعل (جلمود)، فلم يتفجع أحد من الانفراد بعبء المسؤولية التي تصنفونها أنتم كضحية أخلاقية.

رمشت (رعد) عدة مرات بلا حراك بينما شاهدت (سيف) تخطو خارج الحجرة لتتركها وحدها مع أفكارها.

تبدل السواد المعتاد إلى سقفٍ ما لم تعتدّه فانتفضت
على عجلة لترتفع بجذعها من على الفراش ولكن سرعان ما
هدأت ما أن رأت (سيف) تغط في النوم على الجانب الآخر
من السرير، تنفست الصعداء بينما تأملت محيطها لوهلة بينما
تفكرت في كلام صديققتها لها، وما إن كانت على حق فيما
قالت، لينطلق جبل أفكارها بعنف وفوضوية متشعبًا بشكل
مرهق، أدركت أن ما صابها أرق وجداله غير مجدٍ.

رمت بأرجلها بكسل من على طرف الفراش لتنهض
وتخرج من الغرفة وما أن فعلت حتى تسلمت لمسامعها أحرف
مبهمة آتية من الأسفل، فركت (رعد) النعاس من عينيها
وخطت نازلة السلالم لتوقف مكانها متخشبة ليتضح لها
الحديث بشكل أوضح رغم انعدام الرؤية.

- «... لا تعلم.»

همس صوت لآخر.

- «جيد، أكمل كما أنت لوهلة حتى تتمكن منها على غفلة.»

أصدى صوت آخر.

- «أمرك.»

رد الآخر قبل أن تنتهي المحادثة تمامًا ويحل الصمت.

أجفلت (رعد) من الموضوع الذي تم تبادله ولكنها ظلت
صامتة، تحاول التنصت لما تبقى من الحديث، وحينما مالت

يجذبها للأمام محاولة استراق السمع بشكل أفضل صر
صرير إحدى العتبات الخشبية معلناً عن وجودها.

«من هناك؟»

نادى الصوت مرة أخرى.

تزدردت (رعد) لعابها بتوتر، ولكنها تجلدت وارتفعت بثقة
تتزلزل السلالم، أخذ منها الأمرة عدة عتبات حتى نزلت
للمستوى نفسه لتلقي بنظرها على صاحب الصوت، ذي
الشعر الأسود المموج، والأنف المعقوف، تشابكت أعين
(نور) و(رعد) لوهلة بينما تراقصت شعل اللهب في المدفأة،
تلك المدفأة التي اشتعلت بلون أخضر مريب. ظلت (رعد)
تحقق بها بتعجب وكادت تقسم إن هناك أعيناً ما تراقبها من
بين تلك الألسنة، فسبقها لسانها وسألت:

من كنت تُحدث؟

نظر إليها (نور) بهدوء قبل أن يرفع يديه للهواء: لقد
كشفتني، لقد كنت أتحدث مع نفسي كما يفعل أي شخص
في اضطرابات نفسية وعقلية.

وقعت عيناً (رعد) على ما كان يحمله بيده بينما تحدث،
كان يلوح بمرآتها التي كانت وسيلة التواصل الوحيدة ما بينها
وبين الملكة (ميرفا).

عقدت (رعد) حاجبها بقلق: ما الذي تفعله بمرآتي يا (نور)؟

حديق بها (نور) للحظات قبل أن يتنهد بحسرة: حسناً، لا مفر، لكن لا مانع فأنا قادر على إصلاح الأمر.

ما أن انتهى من جملة حتى ألقى بالمرآة على الأرض ليدوس عليها بقسوة بأسفل حذائه حتى تهشمت لقطع، أجزاءها العاكسة متبعثرة من حولها.

صرخت (رعد): ما الذي تفعله؟ أجننت؟

هز (نور) رأسه نفياً: صدقيني يا (رعد)، هذا لمصلحتك! أنت لا تعلمين عما تقحمين نفسك به، أنا أحاول تأمين حياتك!

ردت (رعد) بانفعال: لقد قتلتني قتلتك السماء!

حاول (نور) شرح نفسه: أنصتي يا (رعد)، أعلم بأن الأمر لن يروق لك، ولكن عنادك هذا هو ما سيكلفك حياتك! أنت لا تريدين مواجهة الأول صدقيني، لن تنجي، فرصك توازي الأرض!

سألت (رعد) بصرامة: على أي ضفة تقاقل يا (نور)؟

وضع (نور) يده على صدره: الضفة الفائزة التي تضمن معاملتنا كأشخاص ذوي قيمة، وليس مجرد أسلحة حربية يتم استعمالها والتخلص منها. الأول و(إيكول) فقط هما من سيتمكن من بناء ذلك المستقبل الباهر من أجلنا، فاتخذي قرارك يا (رعد)، إما أن تنضمي إلى الجانب الذي سيحررك، أو اقضي بقية حياتك عبدة لأوامر مليكك وغيره من البشر الذين يرون الرحالة كمسوخ مجردة من الروح.

توسعت حدقتا (رعد) في رفض للتصديق، لم ترد الاعتراف بأن صديقها العزيز قد باع القضية منذ مدة، ولم يكن هناك أي مجال للشك في صحة ذلك الاتهام، لأن من يقف أمامها هو (نور) لا محالة.

تجهمت (رعد): ما الذي تقوله يا (نور)؟ أتعي معنى ما تنفوه به؟

هز (نور) كتفيه: السؤال الأهم هو: أتعين أنت العواقب الوخيمة التابعة لقراراتك المرتبطة بمشاعرك الجياشة؟ أنا أحدثك لأنني أريد الأفضل لك يا (رعد). فمثل غيرك من المتأقلمين، أسلوب حياتك كجندية، كيصدق بيد أحدهم تتظرين أمراً لتنفيذه، قد أثر سلباً بتفكيرك.

ألا ترغبين باتخاذ قرار واحد لمصلحتك الشخصية؟ هذا هو!

سألت (رعد) في محاولة لاستيعاب الأمر: منذ متى؟ منذ متى وأنت تعمل في الخفاء؟

خيم الصمت على المكان بينما حذر اثناهما بعضهما ببعض، بينما كان (نور) رافضاً للحديث، كانت هي سبق وأن ربطت النقاط: كان في مهمتنا لاستعادة محطم (أديسا) أليس كذلك؟ عندما غزا (إيكول) وابنته أحلامكما أنت و(أيهم)؟ لهذا لم تستطع النظر إلى وجهي لفترة طويلة من بعدها؟ وأنا تحت ظل حماقتي ظننت أن الأمر يعود لكلامي القاسي الذي وجهته إليك.

تفادى (نور) الحديث عن الأمر: كل ذلك لا يهم الآن،
أولويتي هي توضيح أن كل ما فعلته كان من أجلك، من أجل
مصلحتنا فكري بالأمر يا (رعد)، جميع ما تعلمينه يأتي من
مصدر واحد، التاريخ!

ضيق (رعد) عينها: إذا؟

توسعت حدقتا (نور) بتهيج: ومن يكتبه؟ أولئك الذين ظفروا!
ألم تظني للحظة ما أن ما يخبرك به أقرانك هو جانب واحد من
القصة؟ هناك العديد من الأمور التي لا تعلمينها!

ردت (رعد) بجفاف: حتى وإن كان ذلك صحيحًا، فهو لا يبرر
إبادة البشر!

نظر إليها (نور) بجدية تامة: ومن أخبرك بأن ذلك الأمر
يشمل البشر فحسب؟ هذه مجرد مرحلة واحدة من التصفية.

تجمدت (رعد) في مكانها: ... ما الذي ترمي إليه؟

رد (نور): إعادة كتابة الأكوان بأكملها، من السماء العالية،
حتى الهاوية، من أرواح مالكة حتى أدنى البشر، إعادة برمجة
العوالم كما نعرفها.

ارتسمت الرهبة على معالم (رعد)، خطة كتلك كانت قد فاقت
جميع ما ظنته عن أهداف الأول ومن معه، إبادة البشر كانت سيئة
وحدها، أما هذا؟ فهذا كان مستوى آخر من الدمار الشامل،
الفوضى العارمة التي لن ترحم أي مخلوق على قيد الحياة.

رودت (رعد) بانفعال واضح: أنت ستهوي بالعوالم برمتها
في دوامة لا تعلم بدايتها من نهايتها، التوازن الكوني الذي
ترتكز عليه الأكوان لا يحتمل عبثاً كذلك!

لوح (نور) بيديه في الهواء بتهيج: وما الذي يعنيه التوازن لنا يا
(رعد)؟! نحن رحالة كما تقولين، نصنع قوانيننا كما نشتهي، لسنا
مثل الإنس! أو أمتلكين نقطة ضعف لأمثال عشيقك المرحوم؟

لم تستطع (رعد) تمالك نفسها حينها، فقامت بتلويح ذراعها
بسرعة لينطلق وميض كهربائي بالكاد فوت (نور) عندما استدار
يكفه ليخلف بقعة سوداء متفحمة تشوه الحجر الذي كان يعلو
العدفة. نظر (نور) إلى ذلك المنظر ومن ثم إليها بفزع وكأنه في
حالة من عدم تصديق أنها قد تقوم بمهاجمته.

صاح (نور): أجننت؟! أنا (نور) يا (رعد)! أتحاولين قتلي؟!

وضح التهيج على معالمها: لعنة تلعنك يا خائن، أتبيع
بلادك وتتوقع مني اتباع خطاك؟!

عقد (نور) حاجبيه مشككاً: أنت لا تعلمين ما أنت بصدد
فعله، فكري بالأمر للحظة! رحالة متأقلمة مثلك، ستتوجين
ملكة تتمرغين في النعيم! أنا أريد الأفضل لك، وهذه آخر
فرصة أقدمها لك يا (رعد) لأنني أهتم لأمرك!

وقفت (رعد) مكانها بلا ترعزع وقالت بجفاف تام: تمرغ
بيولك يا جبان.

لم يستطع (نور) استيعاب ما تفوهت به، وقبل أن يتمكن من ذلك رفعت يدها في الهواء وأنزلتها بخفة لترشقه بسوط كهربائي موجه لرجليه إلا أنه تفاداه بالكاد متدحرجاً بعنف على الأرض لطرف آخر من الغرفة.

صرخ (نور) فيها: مختلة عقلياً أنت! هذا جزائي لسعيي وراء حريتك؟!!

رفع (نور) كفه فوق رأسه موجهًا إياها لـ (رعد) ليختفي فجأة من مجال رؤيتها، بدأت تلتفت يمينًا ويسارًا بقلق غير مدركة لموقعه، شتمت تحت أنفاسها ولعنت قوى صانعي السلام الدنيئة هذه، وبينما كانت هي واقفة مكانها على هذا الحال، غير مدركة لمحيطها بتأنا، توجه (نور) للمدفأة وأمسك بمحرك النار الحديدي المدبب ليجره بثقل على الألواح الخشبية شاقًا طريقه إلى (رعد) التي ظلت تقف مكانها متأهة لحركته القادمة ليهم هو برفع ذلك القضيب الحديدي للهواء، ارتسمت تلك النية الشنيعة على وجهه بشكل فاضح، لم يكن هناك قطرة من الرحمة حتى لتسبح في أعينه، كان سيقبض على روحها محل ما وقف.

ضيق قبضته على المحرك وهم ليهوي به على رأسها بحركة سريعة، وعندما كان على وشك المساس بها توقف كل شيء فجأة.

تخشب (نور) غير مدرك لما يحصل من حوله عندما أدرك أنه فقد القدرة على الحراك، سرت القشعريرة لأسفل ظهره عندما التقت أعينه بزوجين من الأعين الزرقاء المشعة.

وفي غمضة ثانية، اضطرم جسده باللسنة نار زرقاء انتشرت على أطرافه بصهد لتستعر بسرعة فائقة متأججة لتشعل الجلد الذي كساه بلا رحمة، سقط (نور) للأرض لتعالى صيحاته المتحشجة لتجلجل في المكان، وما أن فقد هو السيطرة حتى عادت (رعد) لوعيتها لتراه يتمسك بنفسه يلقي بجسده يمينا ويسارا مختلجا كحيوان هائج.

«(رعد)! اجعليه يتوقف! أرجوك!»

صاح (نور) مستنجدا، كلماته تنبض بحرقه من حنجرتة.

أجفلت (رعد) ملتفتة لـ (نوروي) الذي وقف بجانبها، لا يحيل بنظره عن الفريسة أمامه.

«ما الذي يحصل؟!»

صاح صوت (سيف) التي وقفت على السلالم بينما برزت رؤوس الفتيين الآخرين من ورائها يشاهدان الأحداث المروعة التي كشفت عن نفسها بذعر تام، وما أن وعى (إبراهيم) هوية الضحية أمامهم حتى تسابقت أرجله من تحته لينزل لمستواهم ليلتقط مفرشا كان على إحدى الأرائك ليجري تجاه (نور) محاولا إسعافه وإطفاء النيران التي اعتلته، ولكن (رعد) وقفت ما بينهما ورفعت ذراعها محذرة: تراجع يا (إبراهيم)! أنت لا تعلم ما الذي يجري!

وضح التفاجؤ على أساريره وصرخ فيها: ما الذي أصابك يا (رعد)! هذا (نور)!

ردت (رعد) بانفعال: (نور) خائن! لقد باع القضية وباعكم جميعاً من أجل مصلحته!

تمسكت (سيف) بمسند السلالم الخشبي لتميل برأسها من فوقه وكأنها تكاد أن تقفز من مكانها: (رعد) ما الذي تقولينه؟! اجعليه يتوقف فوراً!!!

تعالص صيحات (نور) المتأوهة لتصيح من على الجدران ولم يحتمل أيُّ من (إبراهيم) أو (سيف) ذلك المنظر الوحشي وغير الإنساني بتاتاً، فهم (إبراهيم) محاولاً الحراك مرة أخرى ولكن (رعد) استوقفته لتجلجل بصوتها: (إبراهيم) إياك! وإلا والسموات السبع لأقتصن منكم جميعاً وأنزلن عليكم من الجزاء ما يضاهاى جزاءه!

تجمد الدم في عروق (إبراهيم) إثر ذلك التهديد وكأن جسده بأكمله تيبس غير قادرٍ على الحراك، لم تستطع (سيف) استيعاب ما يحصل فظلت مشدوهة تحديق بوجه (رعد) بذهول، وكأنها تنتظرها لتلين ولكن (رعد) كانت جامدة تماماً، لم تتزحزح البتة، وعوضاً عن إضاعة المزيد من الوقت في النقاش العقيم وجهت حديثها لخادمها وأمرت: أنه الأمر يا (نوروي).

ما أن تفوهت بذلك حتى استعرت النيران لتعلو ألسنتها وتلوح فوق جسده ليتعالى صياحه ومحاولات استجارته برفاقه، ولكن لم يجرؤ أحدٌ على الحراك، إلا (سيف)، التي قذفت بجسدها من على السلالم لتركض تجاههم ولكن هذه

المرّة وقف (نوروي) ما بينها وبين سيدته يحدّق بها باستنفار
تحلّى على معالمة.

صرخت به ليتنحى عن طريقها ولكنه لم يكن ليتركها
تعبث بأوامر سيدته وسلامتها، وقفت (سيف) مكانها تحاول
الوصول إلى عشيقها الذي كان يبدو ككومة غير قابلة للتعرف
عليها من اللحم، فجلده قد ذاب عن وجنتيه في هذه النقطة
من الزمن، وبينما كان (نوروي) يحول ما بين الفتاتين تفاجأ بـ
(إبراهيم) الذي تدرع جسده من رقبتة إلى أخمص رجليه
بصفائح سوداء نازلاً عليه بقبضة حديدية صارمة صدها
(نوروي) بكف يده العارية وسط تفاجؤ (إبراهيم)، وقبل أن
يتمكن الأخير من اللجوء لاستراتيجية أخرى أطاح به
(نوروي) للأرض بحركة من رسغه، وعندما عاد واستقام
على رجليه لم يعد يرى أي أثر لصديقه، لم يتبقّ منه
إلا الرماد الذي تبثر بفوضوية على الأرض.

خمدت النيران إثر انتهاء مهمتها لتهوي (سيف) لركبتها
تحدّق فيما تبقى من (نور) في حالة من الصدمة، ارتمت
يهاها للأرض وبدأت بالزحف بصعوبة، جسدها يرتجف بينما
تقلعت تجاه رفاته يئأس.

تنحّت (رعد) مبتعدة عن طريقها وسمحت لها بالوصول
إلى مبتغاها لتحسس (سيف) تلك الحبيبات الخشنة بأنامل
مرتجفة تأبى الاعتراف برجليه، فوضعت كفيها المشعّتين على
الرماد في محاولة شفاء باءت بالفشل المحتوم، فظلت

تحاول مرة وراء الأخرى بينما جرى الدمع الصاهد على وجنتيها بلا كلل حتى اختلط بتلك البقايا.

ظلت (رعد) تشاهدها ممتعة الوجه قابضة على قلبها بصعوبة، ولكن لم يكن هناك ما يمكن فعله، فتحت تلك الأيديولوجية التي تمسكت بها (سيف) من طرق التمتع بحياة مستمرة رغم المصاعب التي تكدست في طريقها بتفادي المسؤوليات التي كُتبت لها، كانت الحقيقة التي تفادتها، تنتظرها بصمت حتى تلدغها في الوقت المناسب، فما هو الشيء الذي سينبثق من عناق تلك المعاناة؟

كانت (رعد) متخوفة ولكن الآن كان قد حل دورها لتعبر عن أحر تعازيها، رغم غزو الملح مدمعها هي الأخرى.

«سيف...»

حاولت (رعد) الحديث، ولكن كل ما قابلها كان صياحا عاليًا وثاقبًا للأذان، حالة مرت بها هي من قبل.

التفت لـ (إبراهيم) الذي وقف مكانه مستنكرًا ما قامت به، ممتقع الوجه وشاذًا على قبضتيه، وعلى السلالم هوى (فالديمير) للأرض بذعر تام، يصعب عليه تفهم الأحداث التي كشفت عن نفسها أمامه.

حاولت (رعد) مرة أخرى: عليكم فهمي، لقد كان يخدعكم طوال الوقت. هو لم يردّ تحرير الأكوان من بطش الرجال الأول، بل الانضمام لمخططاته، لقد باع القضية وباعنا جميعًا معها!

بدا (إبراهيم) وكأنه يبصق كلماته: كيف تتهمينه بهذه
الطريقة؟ من المستحيل أن يفعل (نور) شيئًا كذاك!

ظهر الألم على معالم (رعد): يجب عليكم أن تصدقوني،
فما الذي سيدفعني للكذب عليكم؟ لقد كان صديقي
أنا أيضًا!

رد (إبراهيم) بجفاف غير معتاد: وما الدليل الذي تملكينه
على ذلك؟

التفت (رعد) لخدامها الذي وقف سامقًا بجانبها:
(نوروي) كان هناك! والأمر الوحيد الذي أمرته به هو التخلص
من أي شخص يحاول قتلي أو التلاعب بعقلي بطريقة ما، لن
يتمكن من التصرف لو لم يكن الأمر تهديدًا لحياتي!

وقع الصمت الثقيل على المكان، قاطعًا كفأس على كومة
من الخشب عندما توقفت (سيف) عن النحيب ووقفت
مكانها بهدوء لتوجه كلامها إلى (رعد) بدون أن تلتفت لها:
ارحلي يا (رعد).

أجفلت (رعد) من أمر صديقتها لها وكررت محاولاتها
في الشرح: ولكن يا (سيف)، لقد كان خائنًا، جبانًا، مخططاته
لا تضر الخير لكم أو لأي شخص آخر!

صرخت (سيف) ليجلجل صوتها في الأرجاء: ارحلي يا
(رعد)! ارحلي عن (هالكروس)! وجودك يشعرني بالغثيان.

حدقت (رعد) في ظهر صديقتها التي لم تقوَ على
الالتفات لها حتى، ازدردت لعبها وطأطأت رأسها مستسلمة:
كما تريدن.

خطت (رعد) مبتعدة عنهم جميعاً بينما رن الجرس
المتعلق بالباب معلناً رحليها لتضع رجليها على ذلك الطريق
الحجري مرة أخرى لتغزو برودة الأرض قدميها الحافيتين.

شتمت تحت أنفاسها قبل أن تأمر خادمتها بإحضار ما تبقى
من أغراضها من الأعلى بدون أن يراه أحد.

ماذا الآن؟

تعالّت الضحكات لتملأ المكان ببهجة غير معتادة، أطراف الحديث تصدح من على جدران ذلك الكوخ العتيق بينما اجتمع سكانه حول طاولة خشبية.

- «وجودنا هنا معاً يعيدني للماضي!»

ضرب (أليكساندر) كفه على سطح الطاولة مماًزحاً، هازاً كل ما عليها من أوراق ومخطوطات.

- «نواجه نقصاً في أعدادنا ولكن أنت محق.»

رد (شهاب) بابتسامة ونبرة متحذقة.

تعالّت ضحكات (أليكساندر): ما زلت أذكر كيف أتيت برفقة (رعد) لأول مرة، كانت تائهة آنذاك.

أضاف (شهاب): جميعنا تهنا الآن.

أكمل (أليكساندر) في القهقهة وكأن تلك الملاحظة المشؤومة كانت أكثر طرفة مضحكة سمعها من قبل، وسط تنهد جميع الباقيين حول الطاولة.

تدخلت (ريكا): نحن محظوظون بوجودك هنا، أشعر بأن الأمور ستتحسن بشكل جذري الآن!

ماذا الآن؟

تعالّت الضحكات لتملأ المكان ببهجة غير معتادة، أطراف الحديث تصدح من على جدران ذلك الكوخ العتيق بينما جتمع سكانه حول طاولة خشبية.

- «وجودنا هنا معاً يعيدني للماضي!»

ضرب (أليكساندر) كفه على سطح الطاولة مماًزحاً، هازئاً لـ ما عليها من أوراق ومخطوطات.

- «تواجه نقصاً في أعدادنا ولكن أنت محق.»

رد (شهاب) بابتسامة ونبرة متحذقة.

تعالّت ضحكات (أليكساندر): ما زلت أذكر كيف أتيت رقعة (رعد) لأول مرة، كانت تائهة آنذاك.

أضاف (شهاب): جميعنا تهنا الآن.

أكمل (أليكساندر) في القهقهة وكأن تلك الملاحظة لمشؤومة كانت أكثر طرفة مضحكة سمعها من قبل، وسط نهج جميع الباقيين حول الطاولة.

تدخلت (ريكا): نحن محظوظون بوجودك هنا، أشعر بأن الأمور ستتحسن بشكل جذري الآن!

ومهارات السيف، كانت سيماهم مختلفة ومتنوعة وكانهم
يتمون لعدة أماكن مختلفة ولكنهم اجتمعوا هنا بضيافة
سلطنة (الماسي).

تحدث (رشيد): نحن نقوم بجمع الناجين وتجنيد من
يصلح لذلك، يؤسفني أننا لم نتمكن من إيجاد العديد من
الرحالة بعد، فمما سمعته أن أغلبهم تم تجنيدهم من
قبل الأول.

هز (شهاب) رأسه بأسى ظاهر على أساريه، ولكنه هز
تلك الأفكار من عليه عندما أكمل (رشيد): ولكننا وجدنا
متأقلمًا وصانع سلام.

عقد (شهاب) حاجبيه متفكرًا قبل أن يحييه أحدهم ليلتفت
إلى صانع سلام مملكة (كيستون)، (أرثر ريد)، برفقته شاب
أبيض ذو خرس يتميز بحبة من اللؤلؤ.

هزت (ريبكا) كتفيها: رغم أنه حاول النيل منا من قبل، ولكنه
أعاد لنا صانع سلام مملكة (كيستون) كبادرة حسن نية.

ابتسم (أبجيت) بسخرية: من الأكيد أنني لن آتي إليكم
خاوي اليدين بعد ما فعلت.

لوح (رشيد) بيده: أنت محق، لو لم تفعل لكنت أبدتك
في محلك.

نظر (شهاب) إلى (رشيد) بتوجس ثم إلى (أبجيت) الذي
ظل يلبس تلك الابتسامة نفسها، ولكنه قرر تجاهل ذلك الأمر

التفت (أليكساندر) إليها: ولم تشعرني بذلك في وجودي؟
تنهدت (ريبكا): ليس وقتك الآن.

حذق ولي عهد سلطنة ألماسي، وصانع السلام، (رشيد)
تجاههما قبل أن يتحدث هو: وبقية قواتكم، أين مواقعهم؟

(شهاب): يتوزعون حول مملكة (كيستون)، (رعد) في
إمبراطورية (هالكروس)، (خافير) والبقية في مملكة (ديرينشيا).

أخلى السلطان (زين) ما بحلقه بحممة ليجذب انتباه
الموجودين: والملك (ماتع)؟ هل عاد لأرضه بسلام؟

أوما (شهاب): آمل ذلك، ولكن طالما يقف (خافير)
بظهره فهو سيكون بخير.

تنفس السلطان الصعداء مطمئناً على رفيقه، ولكن (شهاب)
سأل: وماذا عنكم؟ ما هي هذه التجهيزات التي تتحدثون عنها؟

نهض ولي العهد (رشيد) من مكانه وأشار لـ (شهاب)
باتباعه للخارج، فامثل لذلك هو والبقية، ليخطوا جميعهم
متجهين للمخرج الخلفي لذلك الكوخ، وما أن فُتح الباب
الخشبي على مصراعيه حتى أدرك (شهاب) ما وقع أمامه.

امتدت الخيم على مرمى النظر، عدة نيران تتوسط الأرض
يجتمع حولها العديد من الناس، بينما توزع بقيتهم في
الأرجاء، بعضهم ظهر عليهم الشدة فاستتج (شهاب) أنهم
جنود وشاهدتهم يدرّبون بعض القرويين على فنون القتال

برمته ومصافحة (أرثر رييد) بحرارة قائلاً: مسرور بكونك معنا اليوم، الحق يقال لقد ظننت أنك لقيت حتفك.

ابتسم (أرثر رييد): ليس قبل أن أتخلص من ذلك الأفعى (فيدور رايكس).

رفع (شهاب) حاجبه: ليس الأول؟

حذق (أرثر رييد) فيه بملامح مصمتة: كليهما.

أوماً (شهاب) برأسه موافقاً: الحق يقال، أنا أبغض ذلك الوغد أيضاً، إن رأيته على أرض الحرب فسأذهب له متعتياً.

ضحك (أرثر رييد): وما أخبار من تبقى منكم؟

همهم (شهاب): بخير، ينتظرون فرصة للانقضاض وإنهاء هذا الأمر برمته.

تدخل (أبجيت) في محادثتهما: وماذا الآن؟

التفت كلاهما إلى الفتى الأبهق ولكن (شهاب) أجاب عليه بكل هدوء: الآن ننتظر.

توج الثلج الناصع جميع المحيطات حتى باتت جميع الدول متشابهة المنظر، حتى جبال مملكة (ديرينشيا) العاتية لم تسلم من ذلك التطفل. فغطى اليباض تلك القمم الصخرية التي وقفت يوماً شامخة بشدة صخرها الذي تضاربت ألوانه ما بين درجات اللون البني.

ذلك حتى ظهر بصيص الأمل في الأفق، لم يكذ يصدق
أحد ما يراه عندما تفرقت دفئا الباب ليظهر الملك (ماتع)
من بينهما، يسير ما بين المؤرخ والمستشار.

احتفلت المملكة بعودة حاكمها سليماً معافى، وبدأ الملك
(ماتع) باتخاذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ الخطة التي رسمها له
صانع سلام مملكته.

كانت الأمور تجري بسلاسة حتى وصل لمسامعه ما
أضاق قلبه، بأنهم فقدوا الاتصال بجنديته.

فقدانهم (رعد) كان أمراً مربكاً، حيث إنها كانت أحد
الأركان الرئيسة واللازمة لنجاح خطتهم، شعر الملك
بتقلب في صدره، كان يشعر بأن (رعد) ابتته التي لم
ينجيهما، لم يستطع الكف عن التفكير بما إن كانت حية
ترزق أم لا، ظل يحاول إقناع المستشار بإيجادها ولكن
أعدادهم كانت قليلة ولا تسمح بأمر كذاك، لم يملك خياراً
إلا الاستمرار في سعيه، كان عليه إنقاذ وطنه والالتزام
بجزئه من الخطة رغم الظروف، وبحكم معرفته بجنديته
كان يأمل بأنها على ما يرام.

قام الملك (ماتع) بتجهيز أفراده وجنوده وجعل المستشار
يشرف على أمرهم، بينما ظل هو والمؤرخ يحيى كان المكاييد
في غرفة الاجتماعات حتى ذاك الوقت.

لم تستطع الملكة تحمل الأمر، أخذت نفساً عميقاً في محاولة لتهدئة أنفاسها، ولكن الدمع سبقها وأجهشت بالبكاء حتى حوطتها ابتتها الأميرة (إيريز) بذراعيها لتتحبب في حضنها بينما حاولت حبس مدمعها هي الأخرى.

بدا عند ذلك الرمح أن كل آمالهم قد تفتت وتهشمت، حتى بدت آفاقهم مظلمة وعسيرة، لا يجدها الضوء بتاتاً.

فما أكبر الفراغ الذي خلفته في صدور الشعب يا من حال ما بين الأرض ودمارها، وطنك يستجذبك ولا يجذك، نحيب أبناء مملكتك يصدح في الطرقات ولا يصل إليك، الدمع الصاهد يجري على الوجنات بلا توقف ولا تتشربه إلا الأرض التي تظل تتحب، ترثي رحيلك.

فقدان الجنرال (أيهم) كان كعلامة لانتهاء عصر من العظمة، فقدان فظيع أثر على معنويات جميع مواطني مملكة (ديرينشيا) بلا استثناء، أما اختفاء ملكهم فكان ظلاً مشؤوماً يخيم عليهم ولا يتزحزح.

فما المملكة دون واليها؟

استمرت الملكة (نشروان) تدير أمور الدولة رغم تحطم آمالهم مراراً وتكراراً، مرت الأشهر عصيبة وصعبة الهضم، الوقت يمضي كأسنان تنهش في العظم، دامية ومتوحشة تحت تهديد الرجال الأول المستمر، وما أن علموا أن قواته كانت تنتشر وتشق طريقها لأرض الصفر حتى بدأ التوتر يضح في الأبدان.

وكما توج البرد تلك المعالم، توج العبس ملامح الشعب
الذي شاهد العالم يتداعى من حوله بلا أي وسيلة لإيقافه.

ما أبقي المملكة على رجليها كانت زوجة الملك (ماتع)،
الملكة (نثروان)، التي قادت ناسها بلا كلل ولا ملل وبذلت
نصارى جهدها في تدارك الأوضاع رغم قساوتها، ابتتها
الأميرة (إيريز) كانت تساندها وعلى يمينها على الدوام،
ويعساعة بقية وزراء البلاط، تمكنوا من تحقيق نوع من
الاستقرار، إلا أن فقدانهم لملكهم في وسط الحرب كان أمراً
خطيراً بقتل آمالهم، ولكن رغم ذلك كله كانت الملكة
(نثروان) تنتظر عودة زوجها بلا شك في نجاته، فهم لم
يحلوا أين اختفى، ولم يجدوا جثته وسط الأكوام التي خلفها
الأول عند استيقاظه، فظنت في قرارة نفسها أنه من الأكيد أنه
قد تمكن من النجاة، فهي قد أوصت (أيهم) بحمايته.

جلست الملكة (نثروان) على طاولة صخرية كبيرة
تحرص جسر أنفها متفكرة بأسى ظاهر على معالمها، رفعت
يدها عن وجهها لتأمل الرمح الذي استلقى على سطح
الطاولة بشاؤم.

ذلك الرمح الذي انتمى لصهرها المستقبلي، قائد جيش
مملكة (ديرينشيا)، الجنرال (أيهم) الذي تعهد بحماية مليكه،
متصبغاً باللون القرمزي المتخثر.

أصدرت الرياح حفيفًا خفيفًا حين جرت تياراتها إلى
داخل القصر وخلال ردهاته، تلاعب خصلات شعر ناصعة
البياض بينما ظل صاحبها ساكنًا مكانه.

- «تم التلاعب بك يا أيها الأول؟»

ضحك (إيكول) بينما وقف أمام عرش الرجال الأول.

لم يجب الأول بل اكتفى بالتحديق بوجه مبهم التعابير، لم يستطع
أن يميز (إيكول) ما إن كان ما ظهر على أساريره سخطًا صامتًا أم عدم
اكتراث بحثًا، ولكنه أكمل حديثه بالنبرة الساخرة نفسها: على أي
حال، كنت سأكون أفضل حالًا لو كان (أبجيت) فارقًا وحده، ولكن
جره لصانع السلام (أرثر رييد) معه كان أمرًا مبالغًا فيه.

صمت (إيكول) منتظرًا أي رد من الطرف الآخر، ولكن
الصمت خيم على المكان لوهلة قبل أن يتحدث الأول أخيرًا:
الرحالة أحرار فيما يفعلون.

رمش (إيكول) عدة مرات في عدم استيعاب: عفواً؟

هز الأول رأسه نفيًا: الرحالة ليسوا بعبيد، وإن أرادوا ترك
رايتي فلهم ذلك، لن يخدمني أحدهم قسرًا.

ابتسم (إيكول) مستنكرًا: أيها الأول، لا يحكم حاكم بشكل
ودي، إن أردت المُلْك فعليك فرض نفسك على شعبك.

ضيق الأول عينيه مينيًا استياءه: أبناء دمي يستحقون عالمًا
يحتويهم، لا ينبذهم أو ينفهم، عالمًا مسالمًا ومنظمًا

يستطيعون فيه الترحل كما أرادوا، ممارسة حيواتهم كما أرادوا، والاستغناء عن عبودية القروء البشرية لهم، أنا لم أحررهم من قفص لأضعهم في قفص آخر.

تييس (إيكول) مكانه غير قادر على استيعاب ما تفوه به الأول، ولتفادي تخطيط آرائهما قرر أن يسلك مسارًا مختلفًا تمامًا: على أي حال، ابنة السماء قد عادت إلى العالم السابع وتمكنت من القضاء على جاسوسي.

رفع الأول نظره من على الأرض إلى (إيكول): قتلت صانع السلام؟

أوما (إيكول) برأسه: بالأصح كانت اللعنة هي من أبادته عن بكرة أبيه.

كاد (إيكول) يجزم بأنه سمع زمجرة ما من تحت أنفاس الأول، فظل يسحب على ذلك الوتر: ولكن، يمكننا إرسال من يتخلص منها.

رد الأول بفتور: ابنة (كايلوما) لن تفنى بسهولة.

هز (إيكول) كتفيه: ما الذي سنخسره من المحاولة؟

صمت الأول لوهلة ثم أوما برأسه موافقًا معطيًا (إيكول) الإذن للتصرف كما يحلو له.

لم يرغب (إيكول) في تبادل أطراف الحديث لأكثر من ذلك لأنه حصل على ما أتى من أجله، إلا أن الفضول كان

قد تمكن منه فسأل: إذا أنت لن تحاول اغتيال من خانك
تحت راية الحرية التي جعلتها حقاً من حقوق جميع
الرحالة، ولكنك ستحاول قتل ابنة السماء؟

رد الأول بيروده المعتاد: الحرية من حق الرحالة،
يستطيعون خدمتي، ويستطيعون الفرار وراء أهدافهم الخاصة،
فهم غير مقيدين، ولكن من يعاديني فيضرب على الصدر،
ومن يلوذ بالفرار فلن أرميه بالظهر.

كش ملك

ترافقت نغمات صفير مبتهج على الأروقة الصخرية التي اكتست بالأعلام القرمزية التي تنتمي للإمبراطورية بينما خطا صانع السلام (فيدور رايكس) طريقه نحو مضجع الإمبراطور (جراتيان) متبخرًا، تعلو وجنتيه ابتسامة غير معتادة.

وقف (فيدور رايكس) أمام الباب الخشبي وطرق عليه مستأذنًا للدخول ولكنه لم يسمع ردًا من الجهة الأخرى، فطرق مرة ثانية بلا جواب، زم (فيدور) شففيه وقرر الدخول على أي حال، وما أن فعل حتى التقت أعينه بمؤخرة رأس الإمبراطور (جراتيان) الذي كان يتمتع على كرسيه يحدق بالنافذة بهدوء.

نادى (فيدور رايكس): جلالتك...

رد الإمبراطور (جراتيان) بجفاف: أنا لم أسمع لك بالدخول.

ارتسمت ابتسامة صفراء على معالم (فيدور رايكس): اعتذر من جلالتك، ولكنني أحمل لك ما يسر أذنك.

سأل الإمبراطور ببرود: وماذا يكون ذلك؟

أجاب (فيدور رايكس) ببهجة غير معتادة في صوته: لقد وجدنا الأمير.

ابتسم (فيدور رايكس) بخبث: لا تقلق، فهو سيجتمع بك قريباً.

كان آخر ما قاله له قبل أن يوجه عدة طعنات أخرى لبطنه، حتى لفظ الإمبراطور أنفاسه الأخيرة، ما أن فعل، قام (فيدور رايكس) بوضع الخنجر بين أنامل الإمبراطور ومن ثم قام بالنداء على الحرس حتى اقتحم أحدهم الغرفة على عجلة ليخشب مكانه فور ما أن رأى ذلك المنظر أمامه.

لم يتظر (فيدور رايكس) وقام بوضع كف يده على رأس الحارس ليدخل في حالة من الهلوسة، فبدأ صانع السلام يصرخ الأفكار المفبركة برأسه حتى تخيل له أنه هو من دخل على الإمبراطور ووجده وحده بهذه الحالة، وأن (فيدور رايكس) كان قد دخل عليهما للتو.

رفع (فيدور رايكس) يده عنه وقام بإكمال المسرحية التي صنعها هو في رأس الحارس، فصرخ بشرة هستيرية: ما الذي يحصل هنا؟! ما الذي حل بوالينا؟!

توتر الحارس بشكل واضح وبدأ يتلعثم: هـ - هو لا - لا أعلم! لقد دخلت ووجدته هكذا!

وضع (فيدور رايكس) كفيه على وجهه في صدمة عارمة وهوى إلى ركبتيه: لا، لا! أيها الإمبراطور! أيها الإمبراطور استيقظ!

قفز الإمبراطور من مكانه فور سماعه لذلك والتفت بعدم تصديق: هل أنت متيقن يا (فيدور)؟

أوماً (فيدور رايكس) برأسه: نعم، جلالتك.

خطا الإمبراطور إلى صانع سلامه حتى وقف أمامه: أين؟ أين هو ابني؟

عبث (فيدور رايكس) بجيب بنطاله: إنه هنا في أرضه جلالتك، وقد تمكنت من الحصول على ما يدلنا على موقعه بالضبط.

سأل الإمبراطور (جراتيان) باندفاع: إذا؟ هيا أخبرني!

قام (فيدور رايكس) بسحب خنجر كان قد أخفاه ليدفعه في بطن الإمبراطور (جراتيان) بعنف: سأقتله بعدك ليلتم شملكما في الهاوية.

توسعت حدقتا الإمبراطور (جراتيان) في عدم تصديق بينما أخذ يضع خطوات للوراء محدقاً في الخنجر الذي اخترق بطنه، ومن ثم في صانع سلامه الذي خان ثقته فقال بصوت متهدج: ل- لماذا يا (فيدور)؟

اقترب (فيدور رايكس) منه مجدداً ليحكم قبضته على الخنجر ويخرجه من مكانه: ليحكم الرجل الأعظم، أنا.

سقط الإمبراطور (جراتيان) لركبتيه إثر نزيفه الحاد وظل يحدق في معالم (فيدور رايكس) بعدم تصديق فتمتم بين أنفاسه: إياك أن تمس ابني يا (فيدور).

تخشب الحارس والتفت يمينًا ويسارًا حتى جذب انتباهه
لمعان الخنجر في يده: سيدي، يبدو أن الإمبراطور قد قام
بأخذ حياته بنفسه...

التفت (فيدور رايكس) إلى الحارس بسخط ظاهر على
معالمه: أخذ حياته بنفسه؟! كيف تجرؤ على قول ذلك عن
إمبراطورنا؟! استحالة أن يفعل أمرًا كهذا!

هز الحارس رأسه نفيًا بسرعة: لا أقصد إهانتك سيدي!
ولكن الخنجر بيده، ولقد كان وحده عندما وجدته!

التفت (فيدور رايكس) إلى مكتب الإمبراطور واستقام
على رجليه مجددًا ليوجه الاهتمام إلى الكؤوس المترامية
على تلك الطاولة، بالإضافة إلى القناني الزجاجية التي اعتلتها
وقال بنبرة قلقة: هل... هل كان يشرب بهذا القدر؟

تنهد الحارس بثقل: سيدي، لا شك بأن الإمبراطور لم
يكن بأفضل حالاته، فمنذ أن فقد وريثه الوحيد فإن حالته
العقلية بدأت بالتدهور، حتى أنه أهمل أمور الدولة برمتها!

وجه (فيدور رايكس) إصبعه إلى الحارس بغضب: إياك!
إياك أن تشك في حكم الإمبراطور!

اعتدل الحارس في وقفته: أعتذر سيدي!

صرخ (فيدور رايكس) في الحارس: اذهب واجلب لنا
من تبقى من رجال البلاط هيا!

رد الحارس: حاضر سيدي!

جري الحارس للخارج على عجلة تاركًا (فيدور رايكس) وحده مع جثة الإمبراطور، فتدنى منه وهمس في أذنه: كثر ملك.

ثم استقام على رجليه مجددًا ليجري بأصابعه خلال خصلات شعره التي تضاربت ما بين الأسود والأبيض، ثم أخلى ما بحلقه بحممة وقام بتعديل هندامه منتظرًا مجيء البقية.



«هل تتجمد الرمال؟»

لم تظن (رعد) أن ذلك السؤال قد يخطر على بالها يوماً ما، ولكنها وجدت نفسها بتلك الحيرة عندما جابت أرض سلطنة (الماسي)، والجواب على سؤالها كان: نعم، الرمل يتجمد.

وعلاوة على ذلك فإنه يصبح قاسياً كالإسمنت، فصارت تلك الكثبان الرملية التي تشع باللون الذهبي تحت ضياء الشمس أراضي وعرة وقاسية وغير سهلة العبور بتاتاً.

كان الطريق موحشاً وموجعاً، ولكن (رعد) أرادت الابتعاد عن إمبراطورية (هالكروس) احتراماً لرغبات صديقتها، لم يكن يجب عليها مغادرة الإمبراطورية ولكنها لم تطق البقاء، كانت تشعر بالذنب لعدم التزامها بالخطة في بداية الأمر لكنها وبينما كانت تشق طريقها إلى السلطنة وصلت لأذانها همسات عن رحيل الإمبراطور (جراتيان) مما جعلها تتيقن من صحة قرارها، فإذا كانت الإمبراطورية في هذه الحالة من عدم الاستقرار تحت واليها فكيف سيكون الحال من دونه؟

ظلت طوال ذلك الطريق العصيب تتفكر في حديث (نور) وقناعاته، وما إن كان كلامه يحمل القليل من الصحة، فهل اتخذت القرار الصحيح في تخلصها منه؟ أخبرت نفسها بأنه

كان يعاني من اضطراب نفسي، لم يكن إنسانًا سويًا، ولكن هل كان ذلك صحيحًا أم كانت تلك محاولاتها لتهوين الأمر على نفسها حتى لا يبدأ الذنب بغرز أنيابه بها؟

- «إيش بك؟»

سأل (نوروي) بقلق بينما طفا في الهواء على مقربة منها.

تنهدت (رعد) بثقل، لم تعلم كيف تجيب: لقد قتلت صديقًا عزيزًا لي للتو، لا أستطيع تدارك نفسي بعد.

اقترب (نوروي) من وجهها: بس كان يستاهل.

عقدت (رعد) حاجبيها: نعم، ولكن هل هذه الحقيقة أم كذبة تخبرني بها حتى لا يُقَض مضجعي؟

قال (نوروي) منفعلاً: (رعد)، كان حيقتلك! إيش تبي أكثر من كذا؟

هزت (رعد) كتفيها: كنا نحاول قتل بعضنا بعضًا، وأنا من بدأت!

مسح (نوروي) وجهه بيديه متذمرًا: (رعد) لا يمكن أنك تكوني بدا الغباء! مو على أساس أنني اللي مدركة الدنيا؟

قالت (رعد) بينما أكملت تسليق الكثبان الرملية المتجلدة بصعوبة: ولكن ماذا إن كان يملك وجهة نظر؟ ماذا إن كان يعلم شيئًا لا نعلمه نحن؟ ماذا إن كان محقًا؟

توقف (نوروي) مكانه للحظة: ليش تقولي كذا؟

التفتت (رعد) إلى (نوروي): هل كان (نور) سيفعل شيئًا كهذا لو لم يملك أسبابًا منطقية؟

رد (نوروي) بحزم غير معتاد عليه: اسمعي يا (رعد)، كنت في نفس موقفك في يوم، وندمت أنني ما قتلت الشخص اللي اعتقدت أنو صاحبي، شوفي الفوضى اللي سواها كلها عشان أنا ما قدرت أوقفه وقتها.

تيست (رعد)، لم تقصد الخطو على أوتار حساسة ولكنها فعلت دون أن تشعر.

ظنت في قرارة نفسها أن التاريخ أكثر النكت سخرية، فطالما كان يُعاد دون أن يشعر أحد، فكما قررت هي تكرار الأخطاء فإن الأمر سيتكرر مرارًا وتكرارًا حتى تتعلم درسها، ولم تكن هي من احتاج التبرير للأخذ بالأسباب، كانت تحب اختصار ذلك الطريق الطويل إذا استطاعت.

أومأت (رعد) برأسها: أنت محق، لم أقصد إثارة ذكريات موجهة.

كان (نوروي) بصدد طمأننتها قبل أن يدوي صوت انفجار عظيم على آذانهما عندما هبط وراءهما جسم ما قام بتحطيم الكباشان المتجمدة مخلفًا سحبًا من الغبار الذي قام بالسباحة في الأرجاء، سعلت (رعد) بقوة بعينين مغلقتين محاولة استجماع شتات نفسها بينما وقف (نوروي) ما بينها وبين التهديد الذي فرض نفسه عليهما.

فتحت (رعد) عينها في محاولة لإلقاء نظرة على مصدر
الضوضاء بلا فائدة، فكل ما رآته من بين حبيبات الرمل كان
وميض عينيْن اثنتين، ظهر لثانية واختفى مباشرة.

التفت يمينًا ويسارًا تتفحص محيطها باحثة عن وجهته
ولكنها تفاجأت بصراخ مكتوم من (نوروي) لتلفت إليه
بذعر لترى أنيابًا حادة مغروزة في ذراع خادمها تنمى لذئب
بني اللون، عظيم الحجم كان يرفض إطلاق سراح ما كان
بين فكيه.

قامت (رعد) بفرقة إصبعيها فورًا لينطلق من بينهما تيار
كهربيائي أرسل ذلك الوحش محلقة للوراء بعدة أمتار
ليصطدم بالأرض ولكنه نهض مباشرة وهز جسده لينفض
الغبار عن نفسه قبل أن يبدأ جسده بالتمدد والطققة، ليثق
عنق الذئب وتنبثق خوذة حديدية سوداء من بين فرائه حتى
خلع الجلد عنه تمامًا ليعاود الالتحام بجسده كما لم يكن
ويبقى ذلك الجسد شبه الإنساني الذي تدرع بالسواد.

حذق كل من (نوروي) و(رعد) بهلع لما رأياه، بدت تلك
الدروع مألوفة أكثر من اللازم.

سألت (رعد): إنه مثل ...

أكمل (نوروي): (إبراهيم)، مسخ من التجارب.

لم يمهلها ذلك الوحش المزيد من الوقت بل تبدد
جسده وتمدد وفرقع حتى تحول لأفعى ضخمة انقضت

عليهما إلا أن (نوروي) حمل (رعد) بين ذراعيه واختفى من مكانه ليظهر في بقعة أخرى وقعت خلف الثعبان الذي سرعان ما التفت لينقض عليهما مجدداً بقوة مهولة ولكنه فوتهما بمسافة يسيرة وغرز نفسه في الأرض تحته ليختفي جسده تحت الكثبان بالكامل.

صرخت (رعد): من أين أتى هذا الشيء!؟

وضع (نوروي) يده على فمها محاولاً إسكاتها ولكن لم تجد كفه شفاهاً بالوقت المناسب، فلم تكن إلا ثوانٍ حتى انفجرت الأرض من تحتها لينشق فك من بين الركam ليتلع (رعد) فوراً.

توسعت حدقتا (نوروي) في صدمة عارمة، ولكنه تحسس جسده فوراً، إن كان هو حياً فلا بد أن (رعد) تظل حية هي الأخرى، ما عليه الآن هو إيجاد طريقة لإخراجها من بطن ذلك المخلوق دون إيذائها، شتم (نوروي) تحت لسانه من هذه المعضلة، ولكن لم يدم ذلك التذمر حين رأى ضوءاً يسطع من بين تلك الحراشف لتنفجر وتتناثر أشلاؤها في الهواء لتمطر عليه قطرات دماءٍ بنفسجية.

وقف (نوروي) مكانه متيسباً عندما رأى سيده تظهر من بين تلك البقايا من الحراشف والدماء، ممتعضة الوجه ومغطاة باللون البنفسجي، ولكن الأفعى لم تقف عن الحراك بل اهتزت مكانها بضعف بينما شاهدتها (رعد)

تعيد ترميم جسدها الذي دمرته، وتذكرت فورًا النسايس
الذين واجهتهم من قبل، فلم تمهل ذلك المخلوق أي
لحظة إضافية بل خطت بهدوء إلى رأس الأفعى الذي ظل
يتلوى يمينًا ويسارًا، وأمسكت بسيفها الدمشقي بكلتا يديها
لتغرز في إحدى أعينها مما أرسل الأفعى في نوبة أخرى
من الصراع بينما ظلت رعد تطعن رأسها وما بين
حراشفها في أرجاء مختلفة لتخلق إصابات عديدة تعيق
شفاءها، لم تكن تنوي إعادة الأحداث السابقة وكانت
تعلم شيئًا واحدًا، كائنًا ما كان، وحشًا أو إنسانًا، جميعهم
يملكون نقطة ضعف، وإن لم تجدها فستقوم بتدمير كل
جزء منها حتى تجدها.

كانت مسألة عناد وضعينة شخصية في هذه النقطة من
الزمن، فتسلقت (رعد) رأس الأفعى وتمسكت بنصلها بكلتا
يديها موجهة إياه للأسفل قبل أن يغزو سمعها همس ما
جعلها تتوقف مكانها، في بداية الأمر لم تستطع إدراك
الأحرف المغممة، ولكنها بدت أكثر وضوحًا كلما تكررت.

«حرريني.»

بدا الهمس مبهمًا ولكن يائسًا مستنجدًا، لم تنتظر (رعد)
وأكملت ما كانت بصدد فعله ليخترق سيفها ما بين تلك
الحراشف بحزم وبينما كانت بصدد إخراجه شعرت بحده
يصطدم بشيء ما بين الجلد ولزوجة الدم، فشرعت في
تقطيع تلك المنطقة حتى باتت وكأنها تحفر في تلك الجثة

الهامة لتلقي نظرها على كرة زجاجية مشعة بوميض هال
جعلها تضع كفي يديها أمام عينيها لتحجبه.

لم تعلم ما كانت تنظر إليه، ولكنها كانت تبدو كتلك
التميمة التي زينت سلاحها في يوم ما، همت (رعد) بلمسها
ولكن تحذير (نوروي) أوقفها مكانها.

«لا تلمسها!»

صرخ بهلع لم تعتد (رعد) على رؤيته، فقامت بسحب
يدها لجانبها فورًا لتقف على رجليها ناظرة لخادمها الذي
ظهر بجانبها بفزع مرتسم على أساريره.

نادى (نوروي): هادا أنت يا (كيرنونس)؟

صدى صوت يلزم توهج تلك الكرة الزجاجية: واخزياء!
ابن (مورتم)؟

تنفس (نوروي) الصعداء لكونه لا يزال واعيًا: إيش صار؟
ليش نزلت من السماء العالية؟

تجلى الحنق في صوت ملك الوحوش: إنه ذاك الوغد
الذي حبسني في هذا الوعاء الطيني، كله بسببه!

سأل (نوروي) بانفعال: (إيكول)؟ هو اللي سوى فيك كدا؟

بدا (كيرنونس) وكأنه يبصق سُمًا: هو ذلك الخسيس
بذاته، لقد قام بإجبارنا على أجساد رغم إرادتنا!

هرب الكلام من بين شفتي (رعد): إرادتنا؟

أرتفع صوت ملك الوحوش (كيرنونس) بسخط: لست
وحددي من اتخذ بدنًا قسرًا، يوجد غيري العديد من سلالة
المملوك بمثل هذا الحال.

لم يستطع (نوروي) تصديق ما كان يسمعه: أنتا بتقولي في
تجارب غيرك؟

ومضت الكرة الزجاجية: الكثير يا ابن (مورتم)، الكثير،
وجميعهم تحت إرادة الرحال الأول.

سقط الرعب في قلب (نوروي)، عدد من المسوخ
والتجارب الناجحة كانت تشكل خطرًا يلوح في الأفق، فمع
قدراتهم الشفائية، قواهم الناتجة عن التحامهم مع الأرواح
المالكة، اضمحلال رغباتهم وأرواحهم الإنسانية، لا بد أن
أرض المعركة ستكون ملحمية دامية.

قاطعت (رعد) جبل أفكاره السوداءي: (نوروي)، ماذا
تفعل حياله؟

أشارت (رعد) إلى الكرة الزجاجية التي احتوت الروح
المالكة، حلق (نوروي) في ملك الوحوش المغلوب على أمره،
وبدأ عقله يضح الأفكار المتسارعة في رأسه، ففور ما توصل إلى
أكثرها منطقية استقام على رجليه وبدأ يتفحص المحيط من حوله
حتى هبطت عيناه على حركة بعيدة فاخفت من مكانه فجائية
وعندما ظهر مرة أخرى كان يحمل أرتبًا مرعوبًا اختلج في مكانه
محاولًا تحرير نفسه من قبضة اللعنة ولكنه فشل.

عقدت (رعد) حاجيها بينما شاهدت خادمها يقوم ليشد على عباؤها ليشق طرفها وسط اعتراضاتها، ثم قام بتناول تلك الكرة المتوهجة بحذر مستعملاً القطعة القماشية ليقوم بحشرها في فم الأرنب الذي ظل يحاول المقاومة دون جدوى حتى ابتلعها كاملة، ما أن فعل حتى توهجت أعينه للحظات ثم هداً تماماً فقام اللعنة بإفلاته.

تحدث الأرنب بصوت أجش لا يليق به بتأثراً: أعتقد أن هذا الجسد نافع للوقت الحالي.

وضعت (رعد) يديها على فاهها وكأنها شهدت على فاجعة ما: لقد تحدث!

هز (نوروي) كتفيه: هاداً أحسن حل، على الأقل مع وعاء حيواني ما سيكون في مقاومة عالية لروح (كيرنونس) وحيكون عندو إرادتو الخاصة.

أوماً الأرنب بامتنان: كل الشكر لكما، أنا مدين لكما بحياتي.

لوح (نوروي) بيده صارفاً إياه: لا شكر على واجب، روح شوف حياتك عاد.

تحدث الأرنب مجدداً: أرجو أن تسمح لي بالانضمام لرحلتكما أنت وابنة السماء، لا بد أن أعود إلى (إيكول) وأقتص منه.

ضيق (نوروي) عيناه: لا أرجوك، محنا ناقصين.

تدخلت (رعد): لم لا يا (نوروي)؟ كيف يسمح لك قلبك
برفض طلبه؟ انظر إليه، إنه لطيف للغاية!

نهّد (نوروي) بثقل واضعاً يديه على وجهه: مو من جدك.

ولكن (رعد) لم تكن تمازحه، تأمل (نوروي) في الإصرار
الذي ظهر على معالمها وخضع فوراً: سوي اللي تبيه.

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهها بينما شكرها ملك
الوحوش: شاكر لك، أعدك بأن أكون مفيداً لكما.

أمالت (رعد) رأسها بفضول: وكيف يكون ذلك؟

ما أن قالت ذلك حتى بدأت عظام الأرنب الطريف
بالفرقة والتمدد لتعيد التشكل إلى حصان ضخّم بني اللون،
بت قوائمه وجناحين قوين يلائمان جسده.

لم تستطع (رعد) تمالك نفسها وهربت من بين شفاهها
صيحة من الحماس العارم، فلم تكن إلا ثوانٍ حتى وجدها
(نوروي) تقفز على ظهر الجواد بأرجل متأرجحة للأمام
والخلف وابتسامة عريضة لا تفارق وجنتيها، تلوح له بأن
ينضم إليها، ورغم تردده، إلا أن قلبه لم يطاوعه على رفض
طلبها، فانضم إليها على مضض ليُخلق بهما (كيرنونس)
للسماء التي لوحت برياح باردة.

بيادق، مرة أخرى

تعالى الصراخ من الخارج ليستقيم جذع فتى صغير من مكانه بهلع، كان حليق الرأس وذابشرة داكنة، كل ما أحاطه كان جدراناً طينية بدائية المنظر. تخبط قلبه بقوة شديدة في صدره وكأنه على وشك الخروج منه، ولكنه استجمع شتات نفسه ودفع ذلك اللوح الخشبي الذي كان بمثابة باب ليخطو للخارج ويتصلب مكانه مباشرة إثر ما رآه من فوضى، فكانت نساء قريته يجرين بذعر في الأنحاء، يتم مطاردتهن من قبل رجال لا يظهر منهم إلا أعينهم، الأطفال متناثرون يكون مستنجدين بينما اندلعت الحرائق على قمم بيوتهم القشية، إلا أن صوتاً مألوفاً انتزع من الصدمة التي كان يمر بها، التفت لمصدر الصوت ليرى والدته التي كانت تطارد من قبل أحد الرجال العديمي الأوجه، لم يستطع تحمل الأمر وانطلقت رجلاه للريح ليقفز على ظهر الرجل متشبثاً به برجليه وذراعيه مبعداً إياه عن والدته، اختل توازن الرجل المقنع وبدأ يحاول دفع الفتى عنه حتى تمكن من جذب ذراعه وإطاحته على الأرض بعنف جعله يتلوى مكانه متألماً.

ذعرت الأم وحاولت إنقاذ وليدها لينقض عليها الرجل ملوحاً بحبال في إحدى يديه ليربط يديها مقيداً حركتها بينما

استغاثت هي واستجارت، بالسما، برجال القرية الذين رحلوا
للحرب منذ مدة، ومن ثم بوليدها الذي حاول الهجوم على
الرجل مرة أخرى لكن أحد أفرادهم المقنعين ظهر من ورائه
وضربه على رأسه بقوة جعلته يهوي للأرض فاقدًا وعيه.

آخر ما تذكره كان وجه أمه الممتقع بينما ذرفت دمعا
صاعداً، ومن ثم سواد تام.

تفرق جفناه بعضهما عن بعض، فقام يفركهما يظن أنه
استيقظ من ذلك الكابوس، لم يدرك الفتى ما كان يحصل حتى
وجد نفسه مرمياً في فقص مع فتیان صغار آخرين من قريته
ومن قرى مجاورة أخرى، استقام على رجليه ليرى رجالاً
يقفون ويعاينونه، يتشاورون ما بين بعضهم وبعض ويشيرون
بأصابعهم، تحدثوا بلغة لم يفهمها ولكنه لم يهتم، جل ما كان
يهمه هو إيجاد والدته، فبدأ بالنداء مرة وراء الأخرى بلا فائدة،
ويتما كان على ذلك الحال تمسك به رجل ملثم وألقى به
للمخارج، وتحديداً تحت رجلي رجل غريب المظهر قام
بالإيماء برأسه بالموافقة وكانت هذه نهاية حياته كما عرفها.

بقية سنيه مرت كأسلاك من الشوك على الجلد، ثقيلة
وعصية، كان يقضيها تحت الشمس الحارقة يؤدي مهام
متنوعة، من حرث الأرض، قطع الأشجار، العناية بالماشية،
وغيرها من الأشغال الشاقة. كان يوجد غيره العديد من الناس
الذين تم سلب حريتهم، ومن اعترض منهم لقي حتفه، ومن
لم يفعل مات من الجهد المبذول على أرض ليست له.

أصبح شاباً قوي البنية، ولكنه لم يجروا على التمرد في يوم، كل ما كان يفعله هو الالتزام والانصياع للأوامر حتى يبقى على قيد الحياة، حتى يجد أمه مرة أخرى، ولكن كل هذه الآمال بدت كمسعى بعيد لا يمت للواقع بصلة.

وظل على ذلك الحال لسنين طوال، حتى أتى ذلك اليوم.

كان يجلس في سقيفة تؤوي بعض المواشي التي كان مُكلفاً بالعناية بها حتى كانت بصحة كافية لذبحها وأكلها، وفي ذلك اليوم بالتحديد كان سيده يقيم وليمة على ما يبدو، فأمره بذبح عدة خرفان حتى يتمكنوا من طبخها، فأنصاع الشاب للأمر وشرع فيه بينما انهال زوار سيده على أبواب المنزل، هم ومن كان معهم من الخدم.

لم يهتم لتلك الضوضاء وظل يصب تركيزه على إنهاء ما بدأه، فأمسك بسكين حاد وذبح الخروف الأول، ومن ثم الثاني والثالث، وبينما كان بصدد ذبح الرابع تعالت ضوضاء ما على مسامعه وبدأ وكأن عقله توقف عن العمل للحظات، فتجمد فجائية في مكانه غير قادر على الحراك عندما سمع صوتاً لم يظن أنه سيسمعه مرة أخرى، كانت الأصوات تدوي من الخارج من الحديث، الصراخ، وضحكات ما.

استقام الشاب من مكانه واستدار، خطا خطوة، ثم الأخرى، يبطء وحذر شديد، وكأنه خشي رؤية ما رآه في طفولته، ولكنه أصر على الخروج وتفقد ما كان يحدث،

وعندما خطا خارج تلك السقيفة تسلطت أشعة الشمس من فوقه بشدة، فضيق عينيه لينظر إلى ما كان يتسبب بكل تلك النصوصاء، وحينها رآها مرة أخرى لأول مرة منذ أن فقدها.

كانت والدته تحتضن جسدها على الأرض بينما أحاطها ثلاثة من الرجال تارة يضحكون وتارة يركلونها.

وقف مكانه يحدق بعدم تصديق، تسارع الدم لرأسه بسرعة حتى ظن أنه يتوهم ما يراه، صدره يعلو ويهبط بشكل ملحوظ بينما ظل واقفاً مكانه حتى لاحظته سيده، نظر إليه ومن ثم إلى السكين الدامي الذي كان بين أنامله.

- «أهذا أنت يا (بريموس)؟ هل انتهيت ممّا أمرتك به؟»

سأل الرجل بنبرة متغترسة ما بين ضحكات وهمسات من صديقه.

ازدرد (بريموس) لعبابه بصعوبة وأوماً برأسه موافقاً.

- «جيد، الآن قم بسلخها لأجلنا، سنحظى نحن ببعض المرح وأتوقع أننا سنكون بحاجة ماسة لوليمة كبيرة من بعده.»

تعالّت ضحكات الرجل بينما قهقه صديقه معه.

ظل (بريموس) يقف مكانه محدقاً بينما تجاهلوا وجوده تماماً والتفتوا لوالدته التي كانت تذرف الدمع مكانها على الأرض، تسارعت دقات قلبه بشكل مخيف، تدفق الدم لأطرافه حتى بدأ يفقد الإحساس بها، وقبل أن يدرك ما كان

يفعله وجد نفسه ممسكًا بذلك النصل الحاد ليدفعه خلال قلب سيده بسرعة ودقة، وكأن قتله لم يختلف عن الخرفان التي ذبحها للتو.

توسعت حدقتا الرجل بصدمة عارمة مرتسمة على وجهه بينما ظل (بريموس) يحدق به بهدوء تام، وجهه غير متغير بل مبهم وجامد المعالم بينما قام بلي السكين في صدر سيده قبل أن يقتلعه ويطلق سراحه لينهار جسده للأرض لتكون من تحته بركة من اللون القرمزي. أجفل الرجلان الآخران ولكنهما لم يتقبلا تلك الإهانة بتاتا، فحاول أحدهما الهجوم على (بريموس) ولكن الأخير تمسك بذراعه ولواها بقسوة حتى فرقع صوت كسرها في الهواء مرافقا لعويل الرجل الذي توقف عن التنفس عندما اخترقت سكينه (بريموس) رقبة ليهوي للأرض صريعا هو الآخر. وقع الرجل الثالث لركبته وبدأ بالتوسل، الاستنجاد، الاستجارة، كما فعلت أمه في يوم ما، ولكن وجه (بريموس) ظل جامدا غير متغير، أعينه لا تحمل ذرة من الرحمة وبحركة واحدة قام بشق رقبة ليخر ميتا هو الآخر.

اقتحم الظلام مجال رؤيته فجائية وظل صوت ما ينادي عليه، مرة وراء الأخرى بأحرف مبهمه لم يستطع فهمها حتى بدأ سمعه يدرك الأمر مرة وراء الأخرى.

«.....ول»

«أيها الأول!»

تفرق جفناه بعضهما عن بعض لينظر الأول إلى وجه
(إيكول) الذي ارتسم بتلك الابتسامة الخبيثة التي لم تفارقه.

سأل (إيكول) مما زحاً: أين ذهبت؟ ظللت أنادي عليك لوهلة.

هز الرجال الأول الذكريات من رأسه ورد بقسوة: ماذا بغيت؟

رد (إيكول): لقد فقدت الاتصال بملك الوحوش، يبدو أن
لينة السماء تمكنت منه.

أوماً الأول برأسه: أخبرتك، لن تموت بسهولة.



مثل سيدهم

اتكأ المستشار بيديه على الطاولة التي حملت تلك المخطوطات التي كان سبق وأن حفظها عن ظهر قلب، مخطوطات دونت عليها أسهم وملاحظات فوضوية، وبدأ يستذكر الملاحظات التي رفض تدوينها واحتفظ بها في طيات عقله، وبينما كان على هذه الحال صر صرير الباب عند دخول (صباح) لقاعة الاجتماعات الذي تسمر مكانه ما أن رأى المستشار وأطلق تنهيدة عميقة تحمل الحسرة في تردداتها.

رفع المستشار أحد حاجبيه: لست معجبًا بما توصلنا إليه؟

خطأ (صباح) تجاهه بينما ظلت أعينه ملتصقة بمحتويات الطاولة: هل أنت واثق من هذه الخطة؟

رد المستشار بتهكم: أرجو ألا تبخل علي بأفكارك.

أمال (صباح) رأسه متفكرًا: أنا فقط أفكر بالصغار، هل تعتقد أن عدم إخبارهم عن التفاصيل كان خطوة موفقة؟

شخر المستشار ضاحكًا: يبدو أن حسك الأبوي استيقظ للتو.

حذق (صباح) فيه مقطب الحاجبين: أنا جاد يا (خافير)، قد تتخبط أمورهم طالما ظلوا في هذا الجهل الذي وضعتهم فيه.

هز المستشار رأسه نفيًا: لا داعي لذلك، قد يتمكن أي صانع سلام من الولوج إلى رؤوسهم واختلاس النظر إلى مخططاتنا، وإن حصل ذلك فلا أمل لدينا البتة.

وضع (صباح) يده على ذقنه متفكرًا: ولكن صناع السلام قد يتمكنون من أي أحد، فزوجتي تمكنت منك وأنت متحكم.

تهدد المستشار: (ليلي) احتفظت بقدراتها كصانعة سلام ولكنها متحكمة أيضًا، قد يجعلها ذلك أكثرهم تمكّنًا وقد كسبناها في صفنا بالفعل، فلا أعتقد أن صانع سلام آخر سيتمكن مني.

همهم (صباح) متفهمًا: أنت محق، فهي استثنائية من جميع النواحي.

صمت المستشار وحدث في الرجل الآخر الذي نظر إليه بوجه مبهم الملامح قبل أن يعلق: هل التباهي بزوجتك سمك الشخصية الوحيدة؟

هز (صباح) كتفيه ورد ممازحًا: ذلك وكوني أبًا سيئًا.

كان المكان هادئًا للحظة قبل أن انفجر كلاهما من الضحك، ظلا على ذلك الحال للحظات قبل أن تهدأ أنفاسهما.

تشبث (صباح) بكتف المستشار: شكرًا على اعتنائك به طوال هذه السنين، في الحقيقة قد يكون ذلك الأمر أفضل له من البقاء في كنفي، فبات الآن رجلاً ذا صوت ومبادئ تخصه، لم أكن لأتمكن من تربيته بهذه الطريقة إن حاولت.

رد المستشار بسخرية: يبدو أنك أسأت الفهم، فهو قام
بترييتي أنا وليس العكس.

فهمه (صباح) على ذلك الرد، كان قد تناسى مدى
انسجامه مع (خافير)، فرغم قضائهما سنين طوَالاً بجانب
بعضهما بعضاً، ينيان ويخططان لمستقبل الرحالة المتحكمين،
قرر (خافير) الهرب من المؤسسة والاختفاء على الأنظار
تماماً بدون أن يخبره بأي شيء، كان كأنه قد تبخر تماماً.

لم يستطع (صباح) إدراك الأسباب القابعة وراء تصرف
كذلك، فكان مغتاضاً، حانقاً، فلم عساه يترك صديقه طواعية
وبهذه الطريقة المفاجئة؟

تخلي عنه بهدوء وسهولة ودون أدنى ذرة من الندم، كما
فعل هو مع ابنه الذي كان من لحمه ودمه.

كان يحاول إقناع نفسه بأن هذه الأمور جميعها لم تكن
غلطته، فهو كان يجب عليه التخلي عن مسؤولياته كوالد
للمحافظة على المؤسسة التي بناها، والحفاظ على المتحكمين
من الانقراض والاختفاء تماماً، ورحيل (خافير) كان مجرد
قرار عشوائي وطائش ينبع من عدم رغبته بالانصياع لدستور
معين، فهو دائماً ما كان يرغب بالطيران حراً طليقاً، يملك
الحرية لفعل ما يشاء، أليس كذلك؟

لم تكن هذه نتائج كون (صباح) قد غرق وغلبت سكرته
للقوة على حواسه الأخرى، أليس كذلك؟

كان يقضي أيامه في إنكار تام لعواقب أفعاله، ولكنها كانت تتسلل إليه ببطء ولكن بشكل مستمر، حتى أدرك أن الوحيدة التي صبرت على تقلباته المزاجية وسعيه وراء الجبروت كانت زوجته، زوجته التي كانت تعلم مصلحته أفضل منه، زوجته التي أمرها بقتل أعز أصدقائه ولكنها اكتفت بمسح ذاكرته لأنها تعلم عن سوء ذلك القرار.

صر صرير الباب مرة أخرى عندما خطا المؤرخ داخل قاعة الاجتماعات بوجهه الخالي من الملامح: الجنود جاهزون.

أوماً المستشار برأسه: ممتاز، سنقوم بمباغطة ذلك الوغد قبي عقر داره.

وینما كانوا على ذلك الحال تطايرت الأوراق من على الطاولة عندما ظهر (شهاب) فجاءة من العدم وهبط عليها برجليه، وضع الإحراج على ملامحه ولبس ابتسامة اعتذارية: المعذرة، لم أعتد على التنقل هكذا بعد.

سأله المستشار بضجر: لا يهم، هل قواتكم جاهزة؟

أوماً (شهاب) برأسه موافقاً: لدينا صانعا سلام وثلاثة من المتأقلمين، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الجنيد البشري، لكن انتظر لحظة، لم تصلك أي أخبار عن (رعد) بعد؟

هز المستشار رأسه نفياً: ليس بعد، ولكن لا تقلق فهي مع لعنتها، ستكون بخير.

سأل (إيكول) بنبرة جافة: أي رأسٍ أقطف؟

ازدرد الكاهن لعبابه بصعوبة: أعتذر منك، لم أعنِ الإساءة،
ولكن إن خرجوا عن السيطرة فلن يكون الأمر ساراً.

هرز (إيكول) كتفيه وعاد يكمل طريقه: لا يهم، سأقتلهم إن
حصل ذلك.

سأل الكاهن بتوجس بينما اتبعه: ولكن لم الآن؟

رد (إيكول) حينما وقف أمام الزنانات التي ألفها: لأن
الأول يرغب بإنهاء ما بدأه.

تعالّت أصوات الزمجرة والصراخ غير الإنساني في تلك
الأروقة التي تلوّث بياضها برشات من الدم المتخثر هنا
وهناك، وما أن سمع (إيكول) تلك الصيحات حتى ارتسمت
على معالمه ابتسامة رضا.

علا صوت صفير الهواء البارد على الأذان، صفير جعل
الجنديّة تمسك بأذنيها في محاولة لحمايتهما من البرد
ولكنها لم تفلح، فاقتربت أكثر من نيران المخيم ولكن البرد
كان قارصاً ولا يحتمل البتة، وكأن درجة الحرارة كانت تتناقص
أكثر وأكثر حتى بدأت تفرك يديها ببعضهما ببعض.

التفتت إلى الجندي الآخر الذي تدثر بالسواد مثلها:
(شاهين)، ألا تظن أن الجو يزداد برودة؟

كان (شاهين) يطوق وجهه بيديه يحاول وقاية نفسه من
فسوة الجو: لا تكوني سخيفة، فهي تثلج كل يوم.

سألت (نياري) بقلق يتوغل في عينيها: أتظن أن شيئاً ما
قد حصل؟

أغمض (شاهين) عينيه: أتظن أن شيئاً قد يحصل ولا أعلم
عنه أنا؟ أنا أملك أقوى آذان في الأكوان.

صمتت (نياري) للحظات متفحصة محيطها: ... اسمع،
ألا تظن أن المكان هادئ أكثر من اللازم؟ أكاد لا أسمع أحداً
غيرنا، أين بقية الجنود؟

افترق رمشا (شاهين) بعضهما عن بعض بفزع عندما أدرك
صحة كلامها، فقام يلمس محطمه الذي اكتسح مساحة أذنه
بشكل كامل وكأنها غمرت بالفضة بينما برز لمعان جوهرة
من مدخل أذنه، بدأ القلق يغزو معالمة قبل أن يتمكن سماعه
من التقاط تحركات صادرة من الأرض من تحتها فالتفت
بنظرة بسرعة للأسفل محدقاً برجليه.

مد (شاهين) يده باتجاه الفتاة: (نياري)! اركضي!

ما أن تلفظ بتلك الكلمات قام شيء ما بسحبه لداخل
الأرض التي وقف عليها بعنف ليختفي تماماً على الأنظار
وسط ذهول (نياري) التي حدقت بأعين جاحظة ولم تدرك
تحذيره في الوقت المناسب، وقبل أن تتمكن من الحراك
أحست بيد انبثقت من بين الثلوج لتطوق كاحلها هي

الأخرى وتسحبها للأسفل لتقع في حفرة ما ويرتطم رأسها
بالأرض بقسوة جعلت بقاءها مستيقظة أمرًا صعبًا.

ولكن آخر ما رآته كان فتاة ذات أعين بنفسجية وخصلات
سوداء قائمة قامت بالتحديق فيها بتمعن قبل أن تغيب
عن الوعي.

وقفت (ديليار) مكانها والتفتت لتأمر أحد الجنود الذين
وقفوا بمقربة منها بفحص الرحالة المستلقية على الأرض،
فقام الجندي بشد القفازات التي لبسها في يديه وشرع بتليية
أمرها، فأمسك برأسها ولفه يمينًا ثم يسارًا ثم بدأ يتفحص
يديها بحرص، وأكمل حتى فحصها كلها ولكنه لم يجد ما
كانوا يبحثون عنه، فأمرته (ديليار) بتفحص جيوبها، ففعل.

وعندها لامست أنامله شيئًا ما، فأخرجه ليري (ديليار)
ذلك الناي الذهبي الذي زين بزخارف عديدة ومن ثم
جوهرة مشعة على طرفه، تأملت (ديليار) في محطم العوالم
بالقليل من الاستغراب، فما عساها تفعل بناي؟

ولكنها لم تطل التفكير وأشارت بيدها للجندي بأن يأخذه
بعيدًا، فقام من مكانه وخطا لصندوق خشبي فاتحًا إياه ليشع
نور قوي من بين دفتيه ليلقي بالناي بجانب محطم العوالم
الذي أخذ شكل الأذن، ومن ثم أغلقه بإحكام ليختفي ذلك
الضوء الساطع من الأنفاق.

وبينما كان هو يهمل بعمله كانت (ديليار) تقوم بعقد الحبال على ذراعي الرحالة الفاقدة للوعي وما أن انتهت حتى شع محطمتها لتتحول الحبال إلى فولاذ صلب بشوان معدودة، ثم حملتها من قميصها لتلقيها بقسوة بجانب (شاهين) الذي عانى المصير نفسه.

على الجانب الآخر من ذلك النفق كانت مجموعة الجنود الذين توزعوا في أنحاء المخيم، مكبلين ومقيدين بأذرعهم وراء ظهورهم.

وقفت الملكة (أبرستي) تتأمل في ذلك المنظر من مسافة يسيرة وقهقهت: يبدوون مثل سيدهم.



أوماً (شهاب) برأسه بصمت محاولاً الامتثال لما أمره به
قائده ولكن البؤس الذي اكتسح معالمه كان فاضحاً.

- «مهلاً، إنهم غير جاهزين بعد!»

أصدى صوت رجل كبير بالسن من على تلك الجدران
البيضاء التي طالما كانت تجلب البؤس لمن رآها.

- «لقد أعطيتك من الوقت ما استطعت، أما الآن؟ فقد حان
وقت الإيفاء بالوعد أيها الكاهن.»

رد عليه (إيكول) بنبرة متهمكة وابتسامة مأكرة بينما تجاهل
محاولاته وأكمل شق طريقه للقبو حيث كانت غنايمه.

ظهر الجزع على معالم الكاهن بينما تبع خطا (إيكول)
وحاول إقناعه مرة أخرى: لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم، لم
تتمعد الأرواح في أوعيتها بعد!

وقف (إيكول) مكانه فجائية مما تسبب بتوقف الكاهن من
ورائه بينما صب العرق من جبينه إثر التوتر الذي طغى عليه.

حل الصمت لثوانٍ بينما سقطت الابتسامة عن شفاه
(إيكول) ليلتفت للوراء تجاه الكاهن برأسه فحسب: هم أم
أنت يا كاهن؟

ارتجفت أطراف الكاهن المتغضن بينما حاول الحديث
بصوت متهدج: ... ما عساك تعني؟

موت بلا طبول

بدا الهواء ثقیلاً وصعب التنفس، وكأنه يصبح أكثر قسوة كلما زادت نظرات الأول الحانقة تجاه (إيكول) الذي وقف أمام عرشه محاولاً تحمل السخط الذي كان يواجهه. وراءه وقفت صفوف من الجنود المدرعين باللون الأسود، أعينهم تشع من تحت ظلال خوذاتهم، والبخار الصادر من أنفاسهم الحارة والموحشة ظاهر للعين المجردة إثر البرد الشديد، وكأنهم يذلون قصارى جهدهم للوقوف مكانهم فحسب.

حذق الأول في (إيكول) بحنق متكتم: لمَ فقدنا الاتصال مع مخيمنا الواقع على الحدود؟

حاول (إيكول) الشرح: لا أدري جلالتك، لقد وصلت للتو من المهمة التي أرسلتني بها.

أشاح الأول بنظره إلى الجند من ورائه: هم أسوء ممَّن أتى من قبلهم.

هز (إيكول) كتفيه: هم يفتقرون الأدب قليلاً ولكنهم جنود متمكنون وهذا المهم.

اعتدل الأول في جلسته بينما اشتبكت أعينه مع أعين (إيكول) بحدة: أريد من تبقى من جندي، أين هم؟

تنهد (إيكول) متحسراً: جلالتك، مما يبدو لي أنهم
اختفوا تماماً، مخيمنا يبدو مهجوراً، ومما أعتقد أنهم قرروا
الرحيل قبل اندلاع الحرب حتى يفروا بحياتهم.

ترجل الأول من على عرشه: سنرى بذلك الشأن.

حاول (إيكول) الاستفسار عما كان يعنيه ولكن الأول
اختفى من مكانه قبل أن يتمكن هو من الاعتراض، وعلى
بعد آلاف الكيلومترات ظهر مرة أخرى ليتجسد على الحدود
التي تقع ما بين مملكة (كيستون) وأرض الصفر، لتهبط
رجلاه العاريتان على أكوام الثلج الناعم.

وقف الأول مكانه بهدوء متفحصاً محيطه وأدرك مدى
صحة كلام (إيكول)، كان مخيمهم يبدو كمدينة أشباح،
لا يوجد أي أثر للحياة بتاتاً. بدأ الأول يخطو بخفة متجولاً
في أرجاء المخيم ولكنه لم يجد أيًا من جنده مهما بحث،
حتى انتهى به الحال عند أحد أكوام الحطب التي فارقت
الحياة وانطفأت منذ وهلة.

ظل الأول واقفاً مكانه متفكراً، فهل هرب جنده فعلاً من
الحرب؟ الحرب التي ستحررهم جميعهم؟ لم عساهم
يفعلون شيئاً كذلك؟ ظن في قرارة نفسه أنه حتى إن كانت
الحرية في متناول الجميع، سترى بعض البشر يكبل يديه
بنفسه. فهم يفتقرون الحس الذي اعتراه، تلك النظرة البعيدة،
ذلك الحلم وتلك الرؤية التي تلوح في الأفق، تلك أشياء

لم يصروها حتى إن كانت ملكهم، لذلك السبب كان هو
أنسب شخص لصنع هذا العالم، فلا بد أن يفعلها أحدهم.

وبينما وقف مكانه غارقاً في أفكاره أحس بتذبذبات
صادرة من الأرض من تحته، فهوى برأسه محدقاً بقدميه
بهذوء لبضع ثوانٍ قبل أن ينبثق رأس رمح رفيع من بين تلك
الثلوج بسرعة مهولة متجهًا لجبينه، فقام بوضع وزنه على
يمينه محاولاً تفادي ذلك الهجوم المفاجئ ولكن الوقت لم
يسعه وقام الرمح بالتحليق بلمح البصر ليخترق قدمه اليسرى
ويخرج من الجهة الأخرى مكملًا تحليقه حتى اختفى على
الأنظار. تفحص الأول دمائه البنفسجية التي انتشرت في
الأرجاء بوجه جامد الملامح، لقد مضى وقت طويل منذ أن
رأى ذلك المنظر، منذ آخر مرة تسبب أحدهم بنزيفه.

تأمل قدمه التي كانت منزلًا لثقب يدر الدماء على نقاء
ثلوجه، ذلك الألم النابض، كاد يظن أنه اشتاق للذة الألم، إذ
إن كل هذه السنين التي قضاها مكبلًا في سجنه لم يكن يشعر
بأي شيء، فقط فراغ عارم قاده للجنون.

أحس بلمعان النصول من تحت أطلال الثلج فقام بالقفز
للأعلى متعاليًا للسماء ليشاهد العديد من الأسلحة تتخبط
بعضها ببعض حيث كان يقف قبل ثوانٍ، وما أن انتهت حتى
هبط للأرض على إحدى ركبتيه ليغرر ذراعه في البرد حتى
لامست يده الأرض من تحتها، وبغمضة عين بدا وكأن أحدهم
قام بقص الأرض بشكل دائري لتختفي عن الوجود تمامًا

وتظهر مرة أخرى واقعة بقسوة بجانبه لتنزل الثلوج لتلك
الحفرة التي كشفت عن نفسها أمامه، تلك الحفرة التي
كشفت عن جندي مملكة (كيستون) المتخبي، ومتأقلمة ذات
شعر حالك السواد.

«ماذا تعني أنه ليس هنا؟»

تردد صوت المستشار من على الجدران المتجمدة، أحرفه
تتطاير في الأرجاء.

- «تحلّ بالصبر.»

قال المؤرخ معاتبًا بينما عدل رداءه في محاولة فاشلة
لتدفئة جسده.

هز المستشار (خافير) رأسه مستنكرًا: لا تمازحني، قواتنا
جميعها تنتظر خارج جدران هذا القصر، وأنت تخبرني بأن
الأول ليس في مقره حتى؟

وقف المستشار مكانه وأشار بذراعه إلى عرش الأول
الخواوي، فلم يكن هناك أي مخلوق حي في هذه الجدران،
ولا حتى خدم وحشم، لا أحد، وكان الهدوء العارم الذي غزا
الأذان مثيرًا للشك.

وقف (صباح) واضعًا يده على ذقنه بتفكير: أين عساه
يكون؟ ولم غادر من الأساس؟

وقف المستشار في مكانه وفجأة لطم يده على فمه
عندما أدرك: أرض الصفراء علينا الذهاب الآن!

حاول (صباح) تهدئة المستشار مشيحاً بيده: انتظر لحظة،
ولم عساه يتجه إلى هناك؟

رد المستشار: وأين سيكون إذا لم يكن هناك؟ لا يوجد
حياة داخل هذه الجدران، مما يعني أنه حرك قواته كاملة
لمكان آخر على عجلة، ولن يحصل ذلك إلا إذا كان الأمر
ضرورة قصوى، وما أكثر ضرورة من قتال قوات ورحالة
آخرين؟ وحكمًا بمعرفتنا، فلا يوجد إلا مخيم واحد في أرض
الصفراء يسكن فيه (شهاب) والبقية.

أضاف المؤرخ: هناك معسكر آخر...

التفت كلٌّ من المستشار و(صباح) بعضهما إلى بعض بفزع
عند تذكرهما للمخيم الأول الذي وقع ما بين حدود مملكة
(كيستون) وأرض الصفراء، ففي وسط تخطيطهما كان ذلك
الاحتمال يبدو ضئيلاً، ولكن في ظل الظروف الحالية،
لا يوجد أي شك.

وفي لحظتها اختفى كلٌّ منهما من غرفة العرش الخالية،
ليظهرا مرة أخرى في أرض تعصف بالثلوج، الهواء عنيف
وكانه يقوم بصفع أوجه الموجودين ببرود.

وضع المستشار ذراعيه أمام وجهه ليحمي نفسه ويتفحص
محيطه، ولكن الهواء كان مليئاً بصليل السيوف وتخطيط

المعادن، فطرقت الضوضاء على المسامع، حاول إمعان النظر
فبدأت عيناه تلتقطان بعض الملامح المبهمة هنا وهناك، من
بين الضباب الأبيض كانت ظلال الجنود المتشابهين في
صراع تحوم من حوله، ومن ثم هبت بعض الرياح التي
قامت بتحريك الضباب لينكشف أمامه منظرٌ شنيعٌ.

لم يدرك الأمر في البداية، ولكن سرعان ما استطاع تمييز
ما رآه، ذلك الشعر الأسود المنسدل يتهدر في الهواء، مفرودة
الذراعين، رأسها مطأطئ للأسفل بهزيمة نكراء، بجروح دامية
تغطي جسدها، كان الجليد يغزو جسدها مقيداً حركتها، إلا أن
رأسها والقليل من ذراعيها كانت ما نجا من ذلك السجن
البارد، كانت متيبسة وغير قادرة على الحركة بتاتاً، مصلوبة
وكانها عظة وعبرة لمن حاول التمرد على الأول.

توسعت حدقتا المستشار برهبة، ثم لاحظ ذلك الظهر
الأسمر العريض، خصلاته البيضاء تتراقص مع الهواء بينما
وقف أمامها وكأنه معجب بأعماله الفنية، حتى بدأ رأسه
بالالتفات للوراء ببطء لتشتبك أعينه الصارعة مع أعين
المستشار الذي تخشب في مكانه، بدا وكأن الدم الذي جرى
في عروقه قد تجمد حيث وقف، كأن قلبه توقف عن ضخ
الدم، لم يعلم إن كان الأول يمتلك قدرة على تجميد الوقت
ولكنه بدأ يؤمن بتلك النظرية.

لم يعد يعلم المستشار كيفية التصرف، لاحظ (صباح)
الحالة التي كان عليها صديقه فقطب حاجبيه محبطاً ولم

ينتظر أكثر من ذلك ليقوم بالتصرف، فرفع يده للهواء لتظهر
هضبة صخرية في الهواء فوق رأس الأول، وما أن فعلت حتى
بدأت بالتسارع نازلة للأسفل لهدفها، ولكن الأول لاحظ ذلك
الأمر واختفى من مكانه فجائية.

ظهر الفزع التام على معالم (صباح) وكأن أعينه كادت
تسقط من جيوبها، لم يعلم لمَ كان في إنكار تام للأمر،
أم يأمل أن رسوله كان سجيناً في مكان ما، وحتى إن كان
لقي حنقه بطريقة طبيعية، فجميعها كان أكثر رحمة عليهم
من الواقع.

أدرك حينها أن الأول قد تمكن من السيطرة على ترحاله،
كان قد أصبح متحكماً بقدرات متأقلم.

وهو من كان يظن أن ابنه أول متأقلم يتعالى للتحكم، يبدو
أن أحدهم سبقه إلى ذلك اللقب.

بالكاد استيقظ المستشار من الحالة التي كان بها عندما
أدرك مسار الهجوم الذي أطلقه (صباح) وانشغل باله
بالتأقلمة التي لم تقدر على الحراك من مكانها، فاختفى من
مكانه فوراً وظهر على ذلك الصخر وتثبت به يديه ليومض
نوراً ويختفي بطريقة عين ليرتطم ذلك الجسم الضخم ساقطاً
على بقعة تبعد عنهم بمسافة يسيرة، اصطدام عنيف أرسل
أكواماً من الثلج لتطاير وتطفو في الهواء وكأن السماء تثلج
من جديد.

وقف المستشار أمام (ديليار) بقلق شديد واضعًا إصبعيه على جانب رقبتها ليستشعر نبضًا خفيًا فتنفس الصعداء، ظل محدقًا في الجليد القاسي الذي غلفها، غير واثق من طريقة تحريرها منها، وبينما كان في ذلك الحال أحس بدفء صادر منها حتى بدأت قطرات الماء تتراقص على ذلك السجن البارد.

عقد المستشار حاجبيه في عدم فهم عندما لاحظ خصلات شعر حمراء تلوح في الهواء من وراء المتأقلمة المجمدة.

رفعت (ريبكا) يدها لجبينها بتحية عسكرية لتحيا قائدها الذي ارتسمت الابتسامة على معالمه ولكنها لم تمهله الوقت: اذهب، أستطيع الاهتمام بأمورها.

التفت المستشار فورًا ليرى الأول يقف على مسافة يسيرة منهم، يشاهد بهدوء، وكأنه ينتظرهم لينتهوا، ذلك أو أنهم لم يشكلوا تهديدًا له بتأنا فلم يكن مهتمًا بما كانوا يفعلون من الأصل.

حاول المستشار استيعاب سبب تصرفه بهذه الطريقة ولكنه لم يستطع التوصل لتفسير منطقي، حتى ظهر أحد الجنود البشريين من بين الضباب الكثيف ليهم بالتلويح بسيفه باتجاه الأول فوجد حدًا جليديًا يخترق قلبه مباشرة ليخر صريعًا عن الأرض دون أن يلتفت إليه الأول حتى، ولا بارتعاش من عينه، لا شيء.

ضربت المطرقة المسمار المرتخي الذي ارتكز في مؤخرة
دماغ المستشار، بدت تلك الفكرة ثابتة أكثر من أي وقت
مضى الآن، فالأول لا يرغب بقتل الرحالة من الأصل، فهو
على العكس يود جمعهم وحمايتهم من شرور البشر
البدايين، أولئك الذين لم يكونوا قادرين على الوصول
للعوي الجديد.

«(خافير)!»

نادى (صباح) ليو قظ المستشار من ضوضاء أفكاره، وما أن
اشبكت أعينهما بعضهما ببعض حتى أدرك المستشار ما كان
يرمي إليه، فاختفى المستشار من مكانه مباشرة وظهر أمام
الأول شاذًا قبضته ليحاول إنزال سخطه عليه، ولكن الأول
اختفى من مكانه وظهر في بقعة أخرى، ليظهر المستشار
خلفه مباشرة، ومن ثم اختفى الأول مجددًا ليظهر في مكان
آخر، ويتبعه المستشار على ظله، واستمر على ذلك الحال
لوهلة، يحاول الأول الابتعاد ولا يفارقه المستشار، يظهران
ويختفيان بغمضة عين في الأرجاء حتى يكاد المرء لا يستطيع
اتباع تحركاتهما بالنظر حتى، وفي كل مرة يكونان على مقربة
بعضهما من بعض كان المستشار يحاول التسبب ببعض
الضرر ولكن الوقت لا يسعه فيختفي الأول قبل أن يتمكن
المستشار من الهبوط بضربة على بدنه، وكأن المستشار يطارد
الأول حتى بدأت تحركات الأول تصبح أكثر بطئًا من
المستشار، مرة وراء الأخرى، حتى ظهر الأول يطفو في الهواء

يحاول التقاط أنفاسه، ولكن هذه المرة لم يظهر المستشار وراءه، عوضاً عن ذلك وجد الأول نفسه محوَّطاً من جميع الجهات بأربع صخور ضخمة وبحركة من أيدي (صباح) الذي وقف على الأرض من تحته، تسارعت جميع الصخور إلى المنتصف لتصطدم بعضها ببعض في محاولة لسحق جسد الأول، إلا أن الصخور ظلت تطفو مكانها لشوان معدودة قبل أن ينتشر الجليد عليها لتحطم وتتساقط أجزاؤها للأرض كنيازك جامحة لتتهشم كلياً وتترك الأول يطفو مكانه بهدوء.

ظل كلُّ من المستشار و(صباح) ينظران للأعلى فاغرين فاهيهما في عدم تصديق، فحتى هجوم كذا لم يستطع خدشه حتى، كان غير قابل للمس بتاتاً!

ولم يبدُ وكأنه يود حتى الانقراض عليهما بالمقابل، بل كان يطفو في الهواء يحدق بهما بدونية وكأنهما قطرات تقف في مجرى السيل، وكأنهما لا يملكان القدرة على الوقوف في طريقه من الأساس.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على معالم (خافير)، يا لها من إهانة.

وبينما كانوا على ذلك الحال رفع الأول إصبعيه للأعلى لتبدأ ذرات الجليد تلبى أمر سيدها وتومض وتشكل بجانب جسده تتأهب للدفاع عنه، وقبل أن يتمكن من الانتهاء حتى يبدأ بشن هجومه حلقت الهضبة الصخرية الكبيرة التي حاولت اغتياله من قبل باتجاهه وكأنها ثور هائج، تسارعت

وكان لا وزن لها حتى اصطدمت بالأول وأكملت في طريقها
لنحمله معها مبتعدة عن المتحكمين وسط تفاجئهما حتى
رفعت أعينهما على (شهاب) الذي انكشف مخبؤه عندما
اختفت الهضبة من أمامه.

جری (شهاب) باتجاههما: هل أنتما بخير؟

ارتسمت ابتسامة عريضة على معالم المستشار: (شهاب)
أيها اللعين! لقد أنقذتنا!

هز (شهاب) رأسه نفيًا: ليس بعد، ما الخطة الآن؟

التفت المستشار يمينًا ويسارًا باحثًا عن المؤرخ: أين ذلك
العجوز عندما نحتاجه؟

أجاب (شهاب): إنه يقوم بجلب أفرادنا من مملكة (كيستون).

طقق المستشار بلسانه: حسنًا، يبدو أن علينا المراوغة
حتى تتمكن (مينرفا) من التدخل!

تدخل (صباح) وسأل بتهكم: وكيف ستقوم بتوقيت ذلك التدخل؟

أشاح المستشار بيده: هي تعلم كل شيء، دع الأمر لها.

بدأ صليل الصوارم يصدي ويتعالى، يبدو أن القوات بدأت
بالتجمع والاشتباك مع قوات العدو، وبينما كانوا على هذا
الحال دبّت خطوات ثقيلة في المكان جعلت الثلاثة يلتفتون
لمصدرها ولكن الضباب الكثيف كان يحجب الرؤية لوهلة
جعلتهم يتظنون برهة قبل أن يظهر ظلٌّ ما بدا وكأنه يتمي

لشخص عظيم البنية، ومن ثم خطأ للأمام لتجلى معالم الدرع
الأسود تنازع لتسحب نفسها خارج ذلك الضباب، أعينه تختبئ
تحت ظل خوذته ولا يظهر منها إلا وميض دموي اللون.

ظهر التقزز على وجه المستشار: ماذا يكون ذلك الشيء
بحق السماء؟

ضم (صباح) مرفقه لوجهه مغطياً أنفه: يفوح برائحة الموت...

أجاب (شهاب) مقطب الحاجبين: إنه إحدى التجارب،
مثل (إبراهيم)!

ما أن قال ذلك حتى فرد الجندي المدرع بالسواد أطرافه
رافعاً رأسه للسماء ليصرخ صراخاً مدوياً وكأنه وحش بري
لا يستطيع التحكم بنفسه بينما حلق به الثلاثي بتأهب لحركته
القادمة، لكن عوضاً عن مهاجمتهم بدأ الجندي المدرع
بضرب نفسه بشكل هستيري، فتارة يقوم بضرب كف يده
على صدره بقسوة شديدة وتارة يقوم بشد خوذته السوداء
بعنف شديد مصدراً أصواتاً غريبة وهائجة، حتى تدنى على
أطرافه الأربعة وبدأ بضرب رأسه بصخرة على الأرض.

سأل (شهاب) بفزع: ما باله هذا؟ أجن جنونه؟

حلق المستشار في الجندي المدرع بتمعن حينما بدأ
الأخير ببصق الدم من فمه إثر تخبطه وإيذائه لنفسه وما أن
لاحظ المستشار لمعان أعينه المفزعة حتى حذر تلميذه:
لا تسترخ بعد.

لم يتمكن (شهاب) من الرد عندما التقطت أعينه شرائح
دموية متجمدة تطير تجاهه فتحرك لجانبه بالكاد متفادياً إياها،
نظر (شهاب) إلى محل وقوع ذلك الهجوم ليرى الدماء
متفككة وتعود للتشكل على شكل مسامير هذه المرة لتحلق
بسرعة مستهدفة إياه مرة أخرى فقفز للأعلى معاكساً للجاذبية
ظناً منه أنه سيتمكن من تفاديها، إلا أن المسامير القرمزية
ظلت تحلق وراءه وما أن أدرك ذلك حتى بدأ بالتحليق في
الأرجاء محاولاً تفاديها ولكنه لم يفلح.

نظر (صباح) إلى ذلك المنظر من فوقه وارتسم الحنق
على معالمه ليرفع يده للهواء: أتستهدف ابني يا مسخ؟

وقبل أن يتمكن (صباح) من شن هجومه رفع المستشار
فراعه أمامه مانعاً إياه: إن تمكنت من إيذائه فسينزف أكثر
وميشكل خطراً أكبر علينا.

سأل (صباح) منفعلاً: وماذا نفعل إذا يا (خافير)؟! هذا
ابني الذي نتحدث عنه!

عقد المستشار حاجبيه بينما شاهد محاولات (شهاب)
البائسة في تجنب تلك الدماء المتخثرة: لا يمكننا مساعدة
(شهاب)، عليه أن يتصرف وحده ويستعمل قدراته، فإن
هجمنا على ذلك المسخ زادت فرص هلاكنا!

صرخ (صباح) بينما أخذ خطوة تجاه الجندي المدرع: جبان!

حدج المستشار: (صباح)، إن تمكن منك ولو مرة واحدة،
فهذه المزيد من الفرص التي ستجعله في الكفة الراححة، نحن
لا نعلم إن كان هو يتحكم بدمائه فقط أم دماء من حوله أيضًا.

تخشب (صباح) في مكانه وكأنه لم يرغب بتصديق ذلك
الأمر، ولكنه كان يعلم بأنه محق، فداس على كرامته وسأل
بقلق: ماذا عسانا نفعل إذا؟

ظل المستشار مكانه يتأمل تلميذه: تنتظر.

وبينما كان اثناهما على ذلك الحال كان (شهاب) يعاني
في الهواء البارد، فكلما حلق لجهة تبعته المسامير الحمراء
وبسرعة مهولة أيضًا، فهو من كان ضد قوانين الفيزياء لم
يتمكن من الهروب منها، فظل يشتم تحت نفسه مستعملًا
جميع خلايا عقله للتفكير بينما حلق بعيدًا مرة تلو الأخرى،
لم يرغب بشن هجوم على الجندي لأنه توصل للاستنتاج
نفسه الذي توصل إليه قائده، فهجومه وإن نجح قد يزيد من
قوة هجوم العدو، ثم خطرت في باله فكرة فومض في
مكانه واختفى على مرمى النظر فجائية فتوقفت المسامير
مكانها قبل أن يظهر مجددًا خلف الجندي المدرع ليضع كف
يده أمام الأخرى مشكلًا حقلًا طاقيًا يطوق الجندي الذي
بدأ يصرخ مرة أخرى بشكل هائج، وكلما اقتربت يدا
(شهاب) بعضهما من بعض تقلص الحقل مساحة ضاغطًا
على الجندي، إلا أن المسامير الدموية لاحظت وجوده مجددًا
وعادت لتخلق باتجاهه بسرعة فائقة، لاحظ (صباح) ذلك

كتلة اللحم والمعدن تلك، وما أن فعل حتى سالت الدماء
وعادت لطبيعتها ملطخة بياض الثلج.

سقط (صباح) لركبتيه مباشرة ليلتقطه (شهاب) ويمدده على
الأرض بذعر: لم فعلت ذلك؟! لم فعلت ذلك يا أحمر؟!؟

تنفس (صباح) بصعوبة: لأنك ابني...

بدأت نبرة (شهاب) بالتهديج: لم يكن عليك إنقاذي! أنت
لا تعرفني!

ارتسمت على (صباح) ابتسامة خافتة: كن ابنًا بارًا وأخبر
أمك بأنني أحبها.

كاد (شهاب) أن يعترض عندما شعر بيد تلامس كتفه
ليلتفت ليرى المستشار هازًا رأسه بالنفي، وكأنه يخبره بـألا
يجعل الأمر أكثر صعوبة على والده.

اغرورقت أعين (شهاب) بالدمع: هذا أغبى شيء فعلته!
أنت أغبى أب رأيته في حياتي!

ضحك (صباح) بصعوبة: أنت محق، ولكنني أظل أباك.

كتم (شهاب) أنفاسه: أنت غبي يا أبي...

ارتسمت ابتسامة عريضة على معالم (صباح): أخيرًا... ناديتني.

كان آخر ما قاله بينما تبخرت الحياة من عينيه تمامًا
ليستلقي مكانه كجثة هامدة.

الناظرين، ضوء من سطوعه أجبر الموجودين على وضع
أكفهم أمام أعينهم لعدم مقدرتهم على تحمله.

أخل ذلك بتوازن الأول الذي استيقظ من حالة هذيانه
ليميل برأسه للأمام لتلتقي أعينه بأعين ابنة السماء التي أشعت
بينما امتطت ظهر ذلك الحصان لتلوح بنصلها الدمشقي
تجاهه لتطلق منه تيارات كهربائية تمتد لأميال تشع بقسوة
كسيف باتريكاد يقسم الأول لنصفين، ولكنه كان لها بالمرصاد
فجمد جسده ليشكل حاجزاً ضد هجومها ولكنها أثقلت
قبضتها بشدة ليتعالى صراخها مميلة سيفها للأسفل لتقذفه
بعنف مجبرة إياه على التساقط متسارعاً ومتيسراً محاولاً وقاية
نفسه وما أن اصطدم ظهره بالأرض حتى أحس بيد خفيفة
تلامس كتفه بسرعة وما أن أمال رأسه للوراء حتى التقت
أعينه بفتى داكن البشرة، وجل ما تفوه به كان: ٥ دقائق.

أحس الأول بقواه تخور من جسده بينما تبخر الجليد
الذي أحاط نفسه به ما أن تحرك حتى تداعى من عليه، رأى
المستشار و(شهاب) ما حصل وسارعا لاستغلال الفرصة قبل
أن تنتهي تلك الدقائق المعدودة، ولكن الأول شد قبضته على
تلايب لباس (أديسا) ليجذبه تجاهه ليضطدم رأسه برأسه
بشدة جعلت الفتى يشعر بالدوار ثم استقام على رجليه
لينهال عليه باللكمات بدون أن يضيع ثانية.

انتقل المستشار من مكانه ليظهر خلف الأول ليقوم بلف
ذراع حول رقبته لتشبك مع ذراعه الأخرى بجانب رأسه

الأمر فقام بفرز يده في الأرض لتختفي قطعة صخرية كانت تحته وتظهر مجددًا لتحمي (شهاب) من جانبه لتصدم بها المسامير وتتلاشى بينما أطبق (شهاب) على الجندي حتى لامست كفا يديه بعضهما بعضًا وأطبق الحقل الطاقى على الجندي المدرع الذي سحق كحشرة ليهوي جسده الذي اختلط بالمعدن الأسود على أكوام الثلج الأبيض لتبدأ الدماء بتشرب ذلك اللون الأبيض بشراهة.

- «هذا ابني!»

صرخ (صباح) مبتهجًا.

ولكن المستشار ظل صامتًا يحدق وكأنه لا يزال مشككًا في موت المسخ، وعندها انتبه (صباح) لتحرك الجثة الهامدة مرة أخرى، حاول المستشار تحذير تلميذه ولكن كتل الدم العملية كانت أسرع من موجاته الصوتية، وقبل أن يدرك أي منهم ما كان يحصل وجد (شهاب) والده يظهر أمامه دافعًا إياه للخلف ليخترق حد قرمزي صدره بقسوة.

وقف (شهاب) مكانه متييسًا ناظرًا للملامح والده التي كانت تشابهه بشكل كبير بينما ارتسمت على معالمة صدمة تامة، ولم يلاحظ أن تلك الكتلة الدموية ظلت مندفعة تجاهه ولم تتوقف.

التقطت أعين المستشار لمعانًا ما في جثة الجندي الدامية فانتقل من مكانه ليظهر على مقربة منها ويركلها بعيدًا عن

جلس (شهاب) مكانه لعدة ثوانٍ في عدم استيعاب، إلا أن
المستشار ربت على كتفه بمزيج من الحنان والصرامة: لترحمنا
السموات، لا تزال أمامنا حرب لنخوضها يا (شهاب).

ظل (شهاب) متخشبًا: ولكن...

أمر المستشار بجدية: انهض يا (شهاب الدين) لا نزال في
أرض النزاع! أما أبوك فإن أنجتنا الظروف دفناه، وإن لم ننج
أندفننا بجانبه.

ظل (شهاب) مكانه لعدة ثوانٍ قبل أن يعيد التوازن لرجليه
ليأخذ نفسًا عميقًا وينفض الثلج عن ثيابه قبل أن تومض
السماء في بقاع مختلفة بشتى الألوان لينفجر ضوء ساطع
وكأنه منارة سامقة يحيط بالأول ويخترق السحب بينما طفا
هو في الهواء، فاردًا ذراعيه بينما أمال رأسه للأعلى وكأنه
في حالة من الهذيان. بدأ الهواء يهب بقسوة، رياح عاتية
كادت تطير بكل من وقف على الأرض، بينما ظلت السماء
تسطع كل مرة أقوى من تلك التي قبلها.

وبينما وقفت جميع المخلوقات مشدوهة تحديق في تلك
السماء التي أعلنت عن نهاية كل ما كانوا يعلمونه، كانت
التشققات تظهر، تشققات مضيئة ظهرت في بطن السماء
ترداد توسعًا ببطء ولكن باستمرار، جروح ظاهرة في العوالم.

حينها ظهر جسم غريب يحلق في السماوات، شيء لم
يستطع أحدهم تمييزه، ما بدا كحصان مجنح عظيم، ليسقط
على رأس الأول سوط كهربائي عظيم أشع بيريق يكاد يعمي

قاطعاً عنه الأكسجين ومطيحاً إياه للوراء ليفلت (أديسا)
ليظهر (شهاب) من العدم ليتفقد حاله، كان لا يزال على قيد
الحياة ولكنه سبق وأن فقد الوعي، التفت (شهاب) تجاه
المستشار بفزع يقيد معالمه وعلم عندها المستشار بأن
موتهم محتوم.

انطلق عمود من الضوء محيطاً بالأول مرة أخرى ليفلته
المستشار متخوفاً ليعود الأول طاقياً للأعلى بهدوء.

هبطت (رعد) بجواردها بجانبهم على عجل: ما الذي
حصل؟! لقد كان خائر القوى!

رد (شهاب): (رعد)! إنه (أديسا)، قد فقد الوعي!

توسعت حدقتا (رعد) متخوفة:.. ماذا عسانا نفعل الآن؟

نظر المستشار للأعلى: نبقى على قيد الحياة...

اتجهت أنظارهم للأعلى بينما تشققت السماء في أماكن عدة،
كل شق يحمل بين طياته ملامح أحد العوالم، بعضها سبق وأن
رأوها وبعضها لم يستطيعوا تمييزه، لتبتد وتتمدد وتومض نوراً.

- «بالله ما روقتي لما جينا هنا؟»

سألت فتاة مبتهجة صديقتها بينماناولتها كوباً من القهوة
قبل أن تقوم بتعديل عباءتها التي تطايرت مع الهواء الجاري.

- «الصراحة أيوه، احتجت أغير جو شوية.»

بالكاد توازنت (رعد) على أرجلها بعد ما سقطت من تلك
النافذة التي سُقت في بطن السماء على ما ظنت في بادئ الأمر
أنه أرض صخرية صلبة قبل أن تلاحظ تضاريسها الغريبة، رفعت
رأسها يبطء متأملة في معالم المكان الذي ظنت أنه مألوف
بشكل أكثر من اللازم، ذلك البرج الطويل الذي وقع على مقربة
من السور الحديدي، ذلك الممشى الطويل الذي زين بأشجار
النخيل، ورغم أن الثلج صعب عليها الرؤية، إلا أن أعينها التقطت
مجسماً يتخذ أحرف «جدة» كانت الآن تغطيه طبقة من البرد.

لم يكن هناك شك في الأمر، لقد عادت لوطنها.

وسعت حدقتيها في فزع تام والتفتت من حولها تبحث
عن تشتكي له الحال لتقع أعينها على (شهاب) الذي كان
يتعمك بجانب رأسه إثر الصداع الناتج عن اصطدامه بقسوة.

بدأت (رعد) تشير للمدينة برعب: (شهاب)! (شهاب) هذا
موطني! لقد عدنا لعالم الصحوة!

حذق فيها (شهاب) بغير تصديق وبدأ يتفحص محيطه هو
الآخر حتى غزا الفزع معالمه: لا... لا يمكن.

بدا وهما يتحدثان وكأن الفجوة التي جلبتهما إلى هنا
صارت بمثابة الثقب الأسود الذي كان يبتلع كل شيء من
الكون السابع ليقذفه في عالم الصحوة، كفجوة لا يمكن
رأيها، فبدأت صرخات الجنود تعلو بينما تساقطوا للأرض،
صهيل خيول اندفعت بين بعضها وبعض، تخبط الحديد

تناولت صديقتها ذلك الكوب بينما تأملت في تضارب
موجات البحر من أمامها متكئة على الحاجز الحديدي.

كانت الشمس تغرب بشكل أخاذ من وراء تضاريس
وتلاطمات زرقاء لماعة، الهواء عليل ولطيف يبرد على
النفس، لم تستطع الفتاتان الكف عن الابتسام برضا تام.

رغم أن الحياة كانت عصيبة في الفترة الأخيرة، إلا أن
التأمل في خلق الله كان يعيد التوازن للبشر، فكانت إحداهما
مقتنعة بأن الجلوس في الكورنيش وحده كان كفيلاً بتغيير
مزاج صديقتها، وكانت محقة.

وبينما ظلتا في ذلك الوضع تتجاذبان أطراف الحديث
وتضحكان من حين وآخر، هبت ريح باردة فاجأتهما.

- «ما كأنه الجو فجأة صار بارد؟»

احتضنت إحدى الفتاتين نفسها في محاولة لتدفئة جسدها.

- «إلا صادقة، مرة غريب ما تحسي؟»

ردت الأخرى بينما فركت يديها بعضهما ببعض.

رفعت الأولى رأسها للأفق أمامها لترى ذلك التبدد المريب
في سماء الغروب، ما أن أشارت له بإصبعها حتى غزت رياح
قارسة الأنحاء جميعها لتسيطر على المكان برمته وتترك
الفتاتين متيستين ومثلجتين مكانهما، وليس ذلك فحسب، بل
حتى المياه التي تلالأت قبل دقائق غدت مجسّمات جليدية،
وكان عاصفة عاتية وغير أبهة اقتحمت المدينة.

بالحديد من سيوف أو دروع، وعملية القذف تلك لم تستثن
الأول الذي ظل يطفو في برج من الضوء الساطع الذي لا
يمكن رؤية نهايته، ولكن جروح السماوات لم تختف، بل
ظلت تتكاثر وتتوسع من حولهم ببطء.

عقدت (رعد) حاجبيها بغضب عارم، كيف يجرو؟ أول أم
ثان أم أخير، لا يهم ترتيبه في التاريخ ولا في تسلسل الرحالة،
كيف يجرو على الاستيلاء على مدينتها، موطنها؟

التفت (شهاب) يبحث بين الحشود المتشابكة عن
المستشار ولكنه لم يستطع رؤيته، كل ما رآه كان أجسادًا
مدرعة تصرخ وتضرب بعضها في بعض وتختفي في
الضباب، لم يستطع حتى رؤية أقرانهم من الرحالة، ولكن
(رعد) رفضت إضاعة الوقت في الانتظار، وكيف تقف
مكتوفة اليدين بينما كان هو يغزو موطنها؟

نادت (رعد) بأعلى صوت على ملك الوحوش: (كيرنونس)!

لبى (كيرنونس) نداءها ليخلق الجواد المجنح باتجاهها متبعًا
صوتها حتى هبط أمامها راكعًا على إحدى ركبتيه لتمطيته هي
ويعيد التوازن لرجليه.

سأل (شهاب) بقلق: ما عساك تفعلين؟! أنت ضد الأول
أتفهمين ما تواجهين؟

تمسكت (رعد) بخصلات الحصان: لا خيار لدي يا
شهاب، لا أستطيع مشاهدته يفسد مدينتي!

حاول (شهاب) ردها: تمهلي قليلاً، لنجد المستشار!

حدقت (رعد) به بجدية تامة بينما أصبحت ملامحها أكثر جموداً إثر ظلال الغيوم التي لبدت السماء: (شهاب)، هذه هي النهاية، أتقف معي أم أقف أنا وحدي؟

صمت (شهاب) لوهلة متأملاً في معالمها واستجمع شتات نفسه على الفور وأوماً برأسه موافقاً متجلداً، وما أن فعل حتى انطلق الجواد في السماء محلقاً متجهًا للضوء، على إثره طفا (شهاب) ليقتربوا من حيث كان الأول حتى وصلوا ليجدوه يطفو في حالة من الهذيان، غير مدرك لمحيطه، يعوم في ذلك الضياء بينما تراقصت خصلاته الناصعة من حوله.

ما أن تشبثت أعين (رعد) بهدفها حتى بدأت السماء تولد الشحنات في الأنحاء فانطلقت نحوه ملوحة بنصلها لتضرب عدة صواعق من زوايا مختلفة البقعة نفسها التي طفا فيها في آن واحد، وما أن شعر بذلك حتى تفرقت أجفانه بحقد يتفحص من عكر صفوه ليرى ابنة السماء مرة أخرى.

رفع يده محاولاً تسديد ضربة لها إلا أن (شهاب) كان له بالمرصاد وأطبق على جسده بحقل طاقي كبل أطرافه ثم أعاد إليه الجاذبية الأرضية بأضعاف مضاعفة أرسلته متسارعاً للقاء.

«بئال له لم لا يموت؟»

شتم (مالين) تحت أنفاسه بينما اختبأ وراء أحد المجسمات
الجليدية يختلس النظر إلى جندي مدرع باللون الأسود كان
يهاجم جميع الجند الآخرين بضراوة ووحشية حيوانية، ومهما
تمكن الجنود من ضربه في شتى الأماكن التي قد تطيح بأي
بشري إلا أنه لم يجفل بتأثا، بل كان يكمل هجومه، حتى
تمكن أحد الجنود من غرز نصله في فجوة تفصل خوذته
عن الدرع الواقع تحته وما أن أخرج نصله حتى انسكبت
الدماء البنفسجية في المكان، ابتسم الجندي منتصرا قبل أن
يشتم رائحة حمضية يتبعها بخار غريب ليعيد نظره إلى سيفه
ليراه قد ذاب في مكانه متفاعلا مع تلك الدماء الفاسدة، ما أن
أدرك ما كان يحصل حتى رفع رأسه للجندي المسخ الذي
بصق على وجهه ليبدأ لعبه يتفاعل مع وجه الجندي الآخر
ليحرقه ويذيبه عن جمجمته وسط صراخ عنيف من الأخير.

توسعت حدقتا (مالين) بينما شاهد بفزع تام، صيحات
الجندي المستجيرة لا تزال تصدي في الأرجاء، ثم أحس بيد
تقيد كتفه ليلتفت مرعوبا ولكن ما أن رأى القائد العسكري
(بيلور) حتى تنفس الصعداء، كان القائد يضع أصبعه أمام
شفتيه مشيرا له بالتزام الصمت والمشاهدة، التفت (مالين)
مرة أخرى مستغربا من طلبه ولكنه شاهد الجندي المسخ
يقوم بشم الدماء المسكوبة على الأرض المثلجة ككلب

مسعور، ولثانية خاطفة، ظن (مالين) أنه يسمع صوت صغير خفيف يخترق الهواء، ليسقط وابل من الأسهم المشتعلة على ذلك المسخ الذي ظل يصدر أصواتًا حيوانية غريبة وفي ثوانٍ ارتسمت من حوله حلقة من النيران التي تعالت ألسنتها لتقيد حركته قبل أن تنقض عليه لتعتليه بينما كان يقفز في مكانه متأوِّهاً من الألم، صارخاً بلا جدوى، حتى بدأت دروعه تنصهر على جسده المتغضن ليزوب تمامًا، لم يبقَ منه إلا ما بدا ككرة زجاجية ما جلست وسط بقاياها.

التفت (مالين) إلى الأعلى لمكان انطلاق السهام ليلقي نظره على (ريبكا) التي وقفت بجانب كتيبة من الرماة على أعلى الموجات العالية المتجمدة، ومن ثم بدأ صوت خفيف يغزو سمعه ببطء من الجهة المعاكسة، فالتفت مجددًا لما تبقى من ذلك الجندي المسخ ليرى كتلاً منه تتحرك بعضها تجاه بعض مرة أخرى وسط تفاجؤ الجميع.

- «(ريبكا)، أشعليه!»

نادى المستشار الذي ظهر من العدم على تلميذته التي لم تشكك في أمره وفرقت أصابعها لتستعر النيران وتراقص من فوق جثته مرة أخرى حتى توقف عن الحركة مرة أخرى وبدأت الشعلات بالانطفاء ليظهر المستشار على مقربة منه ليقوم بكل تلك الكرة الزجاجية بعيدًا عن بقاياها ليتوقف عن الحركة للمرة الأخيرة.

اختفى المستشار من مكانه ليظهر مرة أخرى على أعلى
الموجة المجمدة بجانب (ريكا) وكتيبة الرماة: هؤلاء المسوخ
يملكون جوهراً يجب أن يتم فصله عن جسدكم وإلا فسيعودون
للحياة في كل مرة يتم قتلهم فيها، إنهم نسخ مطورة من
النسانيس الذين واجهناهم من قبل.

عقدت (ريكا) حاجبيها: نس - ماذا؟

أشاح المستشار بيده: لا عليك، أين (ديليار)؟ هل هي بخير؟
طمأنته (ريكا): هي بأمان مع الملكة (أبرستي)، وساحرتكم
المداوية.

عقد المستشار حاجبيه: (سيف) هنا؟

أومأت (ريكا) برأسها موافقة: أنت برفقة (إبراهيم).

وبينما كانوا على ذلك الحال بدأت ترددات نغمات
موسيقية مربية تتراقص على مسامعهم، مرغمة كلاً منهم على
التيس في مكانه على الفور.

توسعت حدقتا (ريكا) بفزع: (خافير) أنا لا أستطيع الحراك!

وضح الارتباك على معالم المستشار الذي لم يستطع الحراك
هو الآخر، لم يستطع فعل شيء إلا الاستماع لتلك النغمات
بينما أصبحت أكثر وضوحاً مع مرور الوقت، حتى رأى فتاة
داكنة البشرة، متدثرة بالسواد تخطو تجاههما، بينما عزفت على
ناي بين شفثيها.

سُتِم (خافير) تحت أنفاسه، إنها متأقلمة بمحطم عوالم
من قوات الأول.

لم يطل الأمر حتى ظهر أمامهم شاب بملامح عربية
برندي ما يشابهها من الثياب، بمحطم عوالم بارز يغطي
إحدى أذنيه بشكل كامل.

اللعة، هناك اثنان منهم!

ويبدو أن كل من يستمع لنغماتها يفقد القدرة على الحراك،
بينما كان هو سالماً من الأمر بحكم محطمه.

مشى الشاب بهدوء حتى وقف أمام المستشار ليمعن النظر
به من أعلى رأسه حتى أخمص رجليه، ارتسمت ابتسامة
متعجرفة على شفطي الشاب: إذا أنت المستشار؟ (خافير) قائد
الثورة الجبار؟ لقد سمعت عنك الكثير.

تمركزت ابتسامة ساخرة على معالم المستشار: أستطيع
التوقيع على جبهتك إن أردت.

بدأ (شاهين) بالضحك: لديك حس كوميدي على الأقل.

سأل المستشار بجدية تامة وكأن قناع المزاح وقع عن
وجهه: والآن؟ ماذا تريد؟

رفع (شاهين) كتفيه: سوف نسلّمكما للأول، سيعلم هو ما
يصنع بكما.

همهم المستشار: نعم، نعم، تفعل كل ذلك في سبيل حرية
حتى ينتهي بك الحال عبدًا للأول. كان يمكنك الانضمام إلي
ولثورتني لتحقيق ذلك الهدف بدون تدمير البشرية ألا تظن؟

قهقهه (شاهين): وأصبح عبدًا لك؟

نفى المستشار: لا رغبة لي بالعبيد، فقط سيدك من يستعبد
أمثالك من الحمقى من الأساس.

ظهرت الإهانة على معالم (شاهين) فركل رجلي المستشار
من تحته ليقع على الأرض ولم يتوقف هناك، بل استمر بشتمه
وركله في بطنه على وقع الموسيقى بينما كان هو غير قادرٍ
على الدفاع عن نفسه، ركل مرة وراء الأخرى، بحنق ممّا تفوه
به، حتى توقفت الأنغام فجائية ليخيم الصمت على المكان.

التفت (شاهين) بقلق إلى صديقه التي كانت مكبلة اليدين
من قبل القائد (يلور) الذي أمسك بيديها وراء ظهرها،
وبجانبه كان يقف (مالين) ممسكًا بالناي خاصتها بيده، مميلًا
رأسه محاولاً إخراج الثلج الذي دفعه في أذنيه قبل مجيئه
ليحمي نفسه من نغماتها المقيدة للحركة.

حاول (شاهين) الجري لإنقاذها لكنه وجد ركبة المستشار
على ظهره دافعة إياه للأسفل ليصطدم وجهه بالثلج البارد من
تحتة بينما أمسك بذراعيه من كل جانب مقيدًا حركته تمامًا.

«يا شباب! علينا مساعدة (رعد) و(شهاب)!»

تعالى صوت شاب أبهق كان يجري تجاههم ليقف متيبساً
مكانه ما أن رأى ما كان يجري.

استنجدت (نياري) بقائدها: (أبجيت) ! ساعدنا!

صرخ (شاهين) بانفعال: إياك يا (نياري) ! لقد اتخذ قراره!

وقف (أبجيت) مكانه محدقاً، يحاول استيعاب ما كان
يجري، ولكن المستشار باغته بسؤال ساخر: هذان من
أتباعك السابقين؟ هما ظريفان حقاً، يتسمان بحنانك ورقتك.

حدق (أبجيت) تجاه المستشار ولكنه لم يوجه إليه
الحديث، بل إلى الاثنین المقيدین: لا أستطيع مساعدتكما
الآن، عليكم اختيار الهدف الذي تخدمانه بحكمة، سبق وأن
اتخذت قراري، لا يمكنك الاستنجاد بي بعد الآن، أنا أسف.

صاحت (نياري): لا تكن سخيّاً أيها القائد! نحن معاً منذ
أن أتذكر!

طأطأ (أبجيت) رأسه، أعينه ملتصقة بتواءات الثلج من
نحته: لا أستطيع فعل ذلك بعد الآن يا (نياري)، لا أستطيع
حمايتكما للأبد، عليكم اتخاذ قراركما، فإما أن تنضمّا إلينا
للإطاحة بالأول، أو تلقيا حتفكما.

صاحت (رييكا) معترضة: وما الذي يجعلك تظن أننا
سقبلهما بين صفوفنا؟! لقد حاولا قتلنا للتو!

سأل (أبجيت) بتعجب: ألا تشكلون ثورة من الرحالة للرحالة؟

أوما المستشار برأسه متبسماً: هذا صحيح، لكن هذا لم يمنعني
من قتل رحالة من قبل.

ارتسم القلق على معالم (أبجيت) حتى بدأ العرق يتصبب
منه رغم البرد الشديد فوجه حديثه إلى الشائبي، هذه المرة
بصرامة: اعقلا يا أحمقان! أنا أحاول إنقاذ حيواتكما وأنتما
لا تجعلان الأمر سهلاً علي!

ساد الصمت للحظة قبل أن يضحك المستشار بصوت
عالٍ: أنت لا تزال قائدهما، حتى إن اختلفت جهاتكم. إذا ما
رأيكما أيها الصغيران؟ أتساعداننا أم أكسر ظهر هذا الشاب
لأمنعه من الحركة طيلة حياته كما فعلتما بنا؟

تيسر الجميع من ذلك التهديد الشديد فصرخ الاثنان
بصوت موحد يركبه الفزع: نحن معكم!

تبسم المستشار بابتسامته المعتادة، تلك التي رغم وجودها إلا
أنها تخبيء وراءها الكثير من السخط وأفلت الشاب من بين يديه:
لا تتس أن رحالتي أكثر عددًا وتمرسًا منكما بمراحل لا تعد ولا
تحصى، وإن ظننتما أنني لن أتمكن منكما إن حاولتما الارتداد،
فأحد رحالتي سيتمكن منكما ولن يكون أكثر رحمة مني.

تفوه بتلك الكلمات بهدوء شديد تقبع وراءه شراسة
مكتومة، لم يستطع الاثنان فعل أي شيء إلا الإيماء برؤوسهما
بالموافقة والتفهم.

علت أصوات تخبط المعدن بالأرض المتثلجة بينما جرى
جنود إمبراطورية (هالكروس) في الأرجاء، يختفون وراء
الضباب الأبيض ليشتبكوا مع الجنود المعادين.

كانت ساحة المعركة ممتلئة بالجثث المترامية في الأنحاء،
بينما أصدى صليل السيوف والصيحات، رائحة الدم تملأ
المكان وتغزو الأنوف بقسوة.

رفع (فيدور رايكس) معطفه إلى وجهه مغطياً أنفه في تقزز
واضح مما رآه، فلم يكن معتاداً على فوضى الحرب التي بدأها
هو، وفي الحقيقة هو فقط أراد الوجود هنا من أجل قطف
الثمار التي زرعتها، فكان يشاهد ما حوله ويعزز قوات الأول،
ولكن هدفه الرئيس كان مشاهدة الأكوان تنتهي كما علمها
البشر، أراد مشاهدة ولادة العالم الجديد من بين براثن الفوضى.

ظل يقف مكانه متأملاً قبل أن يلتفت إلى صوت خطوات
أحدهم يتعالى بثبات، عقد حاجبيه بينما تفكر بمن قد يكون،
بات تعطشه للمعرفة أكثر جاذبية من حاسة النجاة، فرفضت
رجلاه الحراك من حيث وقف، ومن بين الضباب الأبيض
ظهر وجه مألوف له، وجه حمل الحقد عنواناً على معالمة.

وقف صانع السلام (أرثر ريد) على مسافة يسيرة منه:
نلتقي مجدداً يا أفعى.

أمال (فيدور رايكس) رأسه وأطلق تنهيدة متحسرة: هذا
انت؟ وها أنا ذا كنت أتوقع ضيفاً أكثر... تشويقاً.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على معالم (أرثر ريد): وهل
وجدته بعد؟

رد (فيدور رايكس) بهدوئه المعتاد: سأبحث عنه بعد أن
أنتهي من إزعاجك.

أوماً (أرثر ريد) برأسه: لا أعتقد أنك ستطيل الانتظار.

عقد (فيدور رايكس) حاجبيه وقبل أن يدرك فحوى تهديد
(أرثر ريد) المبطن، وجد أذرعاً حديدية تقيّد بدنه من
الوراء، فبدأ يشتم ويركل برجليه محاولاً تخليص نفسه من
تلك الأذرع القوية ولكنه لم يفلح أبداً، فصناع السلام لم
يكونوا يوماً مقاتلين بارعين، و(إبراهيم) لم يكن ليفلته من
بين أنامله وإن كان ذلك آخر ما يفعله.

اقترب (أرثر ريد) من صانع السلام الآخر محدثاً إياه:
ظننت أنك ستصنع مجدك إذا؟

نطق (فيدور رايكس) بغضب: وما زلت فاعلاً، أتظن أن
الأول سيدعك تفلت بقتلي؟!

ضيق (أرثر ريد) عينيه متفكراً: أعتقد أننا لن نتمكن من
إخضاع سيدك لنا؟

رد (فيدور رايكس): إن حاول رحالتك جميعهم فلن
يتمكنوا من الأول، فهو يملك (إيكول) بظهره!

لفظ (أرثر ريد) وكأنه ينفث السم من بين شفتيه: ومن تجلد
بجبان في ظهره فيجب عليه مراوغة الطعنات من أمامه وخلفه.

رمش (فيدور رايكس) عدة مرات محاولاً استيعاب ما
نفوه به الأخير، وفتح فمه وكأنه على وشك إطلاق تعليق
مستفز آخر ولكن (أرثر ريد) غرز خنجرًا في صدره قبل أن
يتفوه بشيء آخر.

كانت أعين الأول تشع يكاد المرء يخشى النظر إليها،
ورغم البرد الذي سبق وأن كان يحيط بالمكان إلا أن نظراته
ترسل الرعشات أسفل ظهورهم.

وقفت (رعد) مكانها متمسكة بسيفها الدمشقي بتوتر،
بجانبيها وقف (شهاب) يحمل سيفه بين يديه متأهبًا لأي حركة
قد تصدر من الأول بينما وقف على مسافة يسيرة منهما.

كان (شهاب) يعلم في قرارة نفسه بأنهم لا يملكون فرصة
ضد الأول، ولكنه أيضًا لم يملك رفاهية الوقوف والمشاهدة،
كان عليهما التصرف بشكلٍ أو بآخر، كان يفكر بطريقة ما
تمكنهم من نيل الكفة الرابعة ولكن عقله لم يستطع التوصل
لها بعد، كان عليه المماطلة حتى ذلك الوقت.

وضع (شهاب) كفي يديه بعضهما مقابل بعض وأدارهما
لينطلق من بينهما عاصفة عنيفة تكسبت برودة الأجواء
المحيطة بها فدارت قاسية وثلجية متجهة للأول الذي لم
يتحرك من مكانه، بل وقف بينما أحاطته تلك العاصفة التي
أعدمت رؤيته ليتفاجأ بنصل دمشقي يظهر من بين لهفات

الهواء مستهدفًا إياه، فتجنبه ليطلق أسياخًا ثلجية تجاه ذلك التهديد إلا أنها توقفت في مكانها بفعل أنامل باهتة تقيدها.

عقد الأول حاجبيه مشاهدًا العاصفة تهدأ وتختفي ليصر ابنة السماء تقف أمامه ولكنها كانت محتمية وراء ظهر أحدهم، شاب شاحب يمتلك وجهًا مألوفًا.

نطق (نوروي) بشرار يقفز من عينيه: (بريموس)، نلتقي مجددًا.

وقف الأول محدقًا فيه لوهلة، وكأنه في عدم تصديق لرؤيته مرة أخرى: (سايان)... ما الذي أتى بك؟

هز (نوروي) كتفيه: صاروا يلقبوني بـ (نوروي) من بعدك، تعرف معناه؟

وقف الأول مكانه بصمت فأكمل (نوروي): اللعنة، هادا اللي صار فيا من بعدك.

نطق الأول: وما دخل لعنة فيما يحصل هنا؟

قهقه (نوروي) بسخرية: أنا تحت رحمة ابنة السماء، وما حتمسها دامي هنا.

قال الأول بنبرة جدية: أنت لا تعلم ما الذي يحصل، وما هدفي من فعل ما أفعله، وإن فعلت، لأمرتك سيدتك بالعدول عن عداوتك.

رفع (نوروي) أحد حاجبيه: من جد؟ مو هدفك إيادة البشرية ولا؟

دافع الأول عن نفسه: أنا أرغب بخلق عالم يخص الرحالة،
حيث يتمتعون بنعم الحياة والترحال بأمان، دون سيادة أي منهم
على الآخر، ودون هجوم القروء البشرية عليهم.

رد (نوروي): لا يزال الموضوع يشمل إبادة البشر.

تنهد الأول: هذا هو العالم الأمثل لأمثالنا، وذلك يشمل
سيدتك، إن رغبت بما كان خيراً لها لتنجيت عن طريقي.

صرخ (نوروي) بانفعال: قتلت روحك المالكة اللي تبناك
رغم الكل وعاملك كابن! إيش تبريرك!؟

رد الأول بهدوء المعتاد: احتجت الحصول على قوة أكبر،
لو علم هو عن مبتغاي لسر سروره.

ظهر السخط على معالم (نوروي): يا حقير! تتجرأ تقول
كدا بعد دا كلو!؟

لم ينتظر (نوروي) أكثر من ذلك واختفى من مكانه ليظهر
أمام الأول ليقوم بتكثيفه والإطاحة به للأرض بقوة مرعبة
حطمت الجليد من تحتها، ليختفي اثناهما من المكان ليظهرا
في بقعة أخرى حيث تمسك الأول بـ (نوروي) ليدفع وجهه
في الأرض، ثم يختفيا مجدداً ليظهرا متعاركين في بقعة أخرى،
ثم في السماء، حتى أمسك (نوروي) بالأول وأطاح به رامياً
إياه على أحد المباني المجمدة التي أطلت على البحر اليابس
ليتسارع من خلاله محطماً جدرانها ليتباطأ ويستقر منفرد
الذراعين على إحدى الزوايا المتداغية في ذلك المبنى.

في الجانب الآخر من ذلك الصراع الوحشي كانت (رعد) تقف في هول من المنظر بجانب (شهاب) الذي فغر فاهه، فلم يستطع أحدهما الصراع مع الأول بهذه الطريقة من قبل، فـ (نوروي) بكامل قواه قادر على معاداة الأول بجدارة.

وبينما كان اثناهما على ذلك الحال من الدهشة صل صليل سيف متوجه باتجاههما قبل أن يلتقي بسلاح خشبي ثقيل صده عن مراده.

التفت الثنائي ليلقيا أعينهما على قنطور مألوف قام في لحظتها بإدارة تلك العصا الخشبية الغليظة بيده ليسدد ضربة لرأس الجندي الذي ترسم بألوان إمبراطورية (هالكروس) بقوة أطارت رأسه بعيداً ليرتطم بإحدى الموجات المتجلدة بينما تداعى جسده في مكانه تحت حوافر القنطور الذي التفت إليهما سائلاً: أنتما بخير؟

كان اثناهما مشدوهي الوجه من القوة الجبرية التي رآياها للتو ولكنهما أوماً برأسيهما بالموافقة ولكن ذلك الوضع لم يدم طويلاً حين تعالت خطوات جنود إمبراطورية (هالكروس) المدرعة ليظهر أفرادهم من بين الضباب ليحيطوا بهم من جميع الاتجاهات ويشكلوا حلقة من حولهم، سيوفهم مشحوزة ومتعطشة للدماء ليشكلوا دائرة لا يمكن الهرب منها من حولهم، وبينما كانوا على ذلك الحال تعالى صدى صوت بوق عالٍ، بوق بدائي تم النفخ فيه بتذبذبات مربية لثلاث مرات...

ومن ثم ساد الهدوء بشكل تام للحظات بدا فيها وكان
الكل مرتابون ومضطربون.

وفجأة اقتحمت مخالبا ضخمة الضباب لتغرز نفسها
لتخترق صدر أحد الجنود، يتبعها جسد ضخم له ذراعان
طويلان وأكتاف عالية أكثر مما ينبغي، جذعه طويل وتغطيه
العضلات، أعلى جسده غير متساو وتعلوه التواءات المديبة،
ومن بينها تتفرع أسواط طويلة كثيرة الحركة، وجهه يكاد أن
يكون في صدره وملامحه تخامرت ما بين الإنس والوحش.

تجمد كل من (رعد) و(شهاب) في رعب تام من ذلك
المنظر عندما ظهر مخلوق آخر يشابهه، بجسد غير متواز وقرون
طويلة تتعالى من فوق رأسه، وما أن ظهر حتى بدأ يسفك في
دماء الجند من حولهم وسط صرخاتهم العالية، حاول بعض
الجند الفرار ولكن بلا فائدة، فتلك المخلوقات كانت تنمو في
أعدادها لتلاحقهم في الأرجاء وتقضي عليهم تمامًا.

وقف كل من (شهاب)، (رعد)، برعب ظاهر علي
أساريهما، ولكن القنطور أشاح بيده مطمئنًا إياهما.

سألت (رعد) بتخوف: (كاIRON) ما الذي يحصل؟!

رد القنطور بهدوء تام: إنهم أهل مملكة الطاهرين، الحن
والبن، أتوا برفقة الملكة.

نبادل (شهاب) و(رعد) النظرات المرتابة من تلك المخلوقات
التي بدت أكثر عنفًا مما تخيلا في رؤوسهما، ولكن (رعد)

ست (رعد)
فغر فاهه،

من قبل،

شدة صل
رح خشبي

قام في
سدد ضربة
روس) بقوة
لمدة بينما
ي التفت

ي رايها
وضع لم
لكروس)

بهم من
مشحوة
ها من
وت بوق

الرياح الجارية بينما وقف الأول أمام جسد (نوروي) الذي التصق
بمجسم ميزته (رعد) على الفور فكان يسمى بدوار الموجه.

سأل الأول بصوت قاس: أهذا ما تريده؟ قتالي؟

سعل (نوروي): نهايتك على يدي.

حدق الأول فيه ثم التفت إلى الورااء ببطء لتشتبك عيناه
مع أعين (رعد): وكل هذا لأجل تلك الرحالة؟

توسعت حدقتا (نوروي): إياك...

اختفى الأول من مكانه ولم تحتج (رعد) إلى الالتفات
لتشعر بظله من فوقها، تمسكت بمقبض سيفها والتفت
بسرعة وقبل أن تتمكن من ضربه وجدت ملك الوحوش
(كيرنونس) الذي تشكل على صورة ذئب ضارٍ غارزاً أنيابه
في ذراع الأول ساكباً دماء الأول البنفسجية على الأرض من
تحتهم، استغل (شهاب) تلك الفرصة لسحب (رعد) بعيداً
عنهم، لم يعلم لماذا ولكن استهدف الأول لـ (رعد) كان
واضحاً جداً، وكأنه لا يهتم إلا بقتلها هي بشكل خاص.

لوح الأول بذراعه بقسوة نافضاً ملك الوحوش من عليه،
أعينه لا تزال مثبتة على (رعد) بشكل مفرع، شتم (شهاب)
تحت أنفاسه ووقف أمام (رعد) ليفرد ذراعه من أمامه فارداً
أنامله ومضيئاً إياها ببطء مشكلاً حقلاً طاقياً يطوق الأول
ليقيد حركته ولكن الأول حرك ذراعيه بصعوبة لتمدد تلك
الفقاعة الطاقية حتى انفجرت لترسل تيارات هوائية تتلاعب

في خصلات (شهاب) الذي وقف مكانه في صدمة تامة،
غير قادر على تشكيل أي فكرة.

بدأ الأول يخطو باتجاههما لا بسا نواياه الإجرامية قناعاً
على معالمة، وفي لحظتها انفجر المكان بشعاع أبيض يكاد
يعمي الأنظار، صاعقة جبارة تنزلت من السماوات لتصيب
الأول محل وقوفه ولم تنطفئ بل استمرت في كهربته لوهلة
قبل أن تختفي ليسقط الأول على ركبتيه، لم يكن هناك أي
مجال للشك، كان يميز تلك القوة، ذلك الجبروت، كان الأمر
برمته مألوفاً أكثر من اللازم.

- «أتظن أنني سأدعك تمس ابنتي يا مسخ؟!»

صاح صوت أجش غزائبراته السخط التام.

رفع الأول رأسه للسماء ليتحقق من مخاوفه، كان حارس
السماوات، الأب الروحي لـ (رعد)، نفسه الروح المالكة
المدعوة بـ (كايلوما) الذي سبق وأن هزمه من قبل يحوم في
السماء من فوقهم.

ظل الجميع يحدقون به بينما نزل للأرض على عجلة
مستهدفاً الأول الذي تشكل الفزع على معالمة واختفى من
مكانه فجأة لتشعر (رعد) ببرودة مفاجئة وغريبة تكتسح
أطرافها فجأة، مصاحبة لشعور خدر غريب في أصابعها،
لترفع كف يدها اليمنى إلى وجهها لترى أن فراغاً تشكل في
محل وجود سبابتها، توسعت حدقتها ورفعت رأسها لترى

الأول يقف على مسافة يسيرة منها متمسكاً بإصبعها الذي
ارتدى محطم عوالمها بين أنامله.

«تَبَّأ!»

همس (شهاب) قبل أن تنفجر (رعد) في حالة من الصراخ
الهستيري لتهوي على ركبتيها متأوهة من الألم بينما أصبحت
التيارات الهوائية من حولهم تعصف بقسوة حين بدأت أعينها
تشع باللون الأبيض، على الجانب الآخر أصدى صوت
اصطدام الفولاذ بالجليد عندما سقط (كايلوما) على إحدى
ركبتيه محاولاً تمالك نفسه، لكن جسده من تحته كان واهناً
متذبذباً لا يقوى على حمله البتة.

حدق (كايلوما) بـ (الأول) بحنق: أيها المسخ، ما الذي فعلته؟!

أمال الأول رأسه متأملاً في الروح المالكة من أمامه الذي
بدا في أسوأ حالاته ونطق بهدوء: ماذا ظننت أنني كنت أفعل
في سني احتجازي؟ في كل لحظة مارة كنت أفكر بكل الطرق
التي ستمكنني من هزيمتك، إذلالك، كنت أريد جعلك تتوسل
إلي للرحمة، ولكن لفعل ذلك كنت أحتاج إلى عنصر واحد
فقط، ولم أتيقن من وجودها حتى تحررت، لا يمكنك أن تتخيل
مقدار سعادتي عندما اكتشفت أن القدر قد اختار لك ابنة!

ظهر (نوروي) على مقربة منهم، الفرع يتخلل أساريه:
(بريموس) أرجوك! مالها دخل بعداوتك مع (كايلوما)!

هزت تلك الفكرة من رأسها على عجلة وبدأت تتفحص
محيطها: علينا مساعدة (نوروي)!

أوماً (شهاب) برأسه ثم تبادل النظرات مع القنطور الذي
رد: اذهب، فنحن بظهر كما.

ولكن (شهاب) كان لديه طلب أخير: (كايرون)، سنحاول
المماثلة، أخبر (خافير) بأننا بحاجة!

أوماً القنطور برأسه موافقاً قبل أن يسمع (رعد) تنادي
على ملك الوحش الذي لبي نداءها على عجلة لينطلقوا
باحثين عن اللعنة.

حلقت (رعد) على ظهر ملك الوحوش بينما تبعهما
(شهاب)، يتفحصون المباني والشوارع الإسفلتية التي اكتسبت
طبقة جليدية غير مألوفة لمدينة بذلك المناخ، لتقع أعينهم
على (نوروي) الذي اشتبك مع الأول بالأيدي، يختفيان
ويظهرا وفي كل مرة يسدد أحدهما ضربة للآخر أو يقوم
بإقحام رأسه في جماد.

هبط ثلاثتهم على مقربة من ذلك العراق ورغم ذلك لم
يبدُ وكأنهما قادران على التدخل، فكان (نوروي) والأول على
صراع حاد وبمستوى يمثل خطراً كونيّاً على أيّ من كان،
حتى ركل الأول بطن (نوروي) ليرسله خلال عدة جدران.

شهقت (رعد) بصوت عالٍ قبل أن تغطي فمها بيدها، ليعم
الصمت التام في المكان، الشيء الوحيد على الأذان كان أصوات

التفت (بريموس) إلى (نوروي) متحدثًا وكأنه ينفث السم:
لا دخل لها؟ بل هي أساس كل شيء! أليس كذلك؟ مع
النسبة والتناسب اللذين لم يخضعا لموزونية أختك، السبب
الوحيد لعدم قتلي لها كان لأنني أردت استخدامها لإنهاء
وجود (كايلوما) قبل أن أنهي حكم أختك الملكة كذلك!
تلك التي كانت تنعتني بالمسخ وتقوم بعدم الاعتراف
بوجودي هي نفسها مصدر الدعم الرئيس للمسخة ابنة
(كايلوما)، أليس ذلك مضحكًا؟!

صمت (نوروي)، غير قادرٍ على الرد عليه.

صرخ الأول: ماذا بك؟! ألا تستطيع الدفاع عن أختك؟!
ألا يسعك الرد علي؟! لا ألومك، كان يجب عليك الانضمام إلي
يا (سايان)، كنا قادرين على صنع العالم المثالي لنا، ضد غطرسة
أقرانك من الأرواح، كنا نستطيع الوقوف ضد والدتك وكل من
يعترض طريقنا، لكنك اخترت الجانب الأضعف في هذه الحرب!

وبينما كانوا على ذلك الحال، ظهر المستشار بجانب أحد
المباني المتجمدة، ممسكًا بذراعيه بـ (نياري) و(شاهين)، بينما
بدأ الجند، الرحالة، وأهل المملكة الطاهرة بالتوافد إلى تلك
البقعة ليحيطوا بالمنطقة.

- «لا فائدة أيها المستشار، لا يمكن إنقاذها!»

صرخ المؤرخ بصعوبة للمستشار الذي ظل يتفحص محيطه
غير قادرٍ على استيعاب الأحداث التي كشفت عن نفسها أمامه.

«أيها المستشار، أستطيع شفاء (رعد)، علينا فقط استعادة إصبعها ومحطمها من الأول!»

تدخل صوت أنثوي في المحادثة ليلتفت المستشار ليلقي نظره على (سيف) التي وقفت بجانب (ديليار) التي ظهر عليها القليل من التعب.

تدخل (أليكساندر) في تلك المحادثة: وكيف عسانا نفعل ذلك؟! لا يمكننا المساس به!

نظر المستشار للأمام مجددًا ومن ثم إلى الفتى الأشقر: (أليكس)! اجعل أحد أشباحك يأت إلينا بمحطم (رعد)!

كان (أليكساندر) على وشك النطق قبل أن يدوي صوت فرقة وتهشيم في الهواء، يصدي في الأرجاء عندما سحق الأول إصبع (رعد) ومحطمها محوّلًا إياهما إلى فتات مجمد يتنزّل برقة من كف يده.

وقف الجميع مكانهم لحظتها، وكأن الزمن قد توقف عن الجري، متيسين وغير قادرين على الحركة، وكأن الدماء تجمدت في عروقهم جميعهم في آن واحد.

تعالّت صيحات (رعد) لتصبح أكثر صرغًا وتألّمًا بينما سقط (كايلوما) على ركبتيه ويديه غير قادرٍ على تحمل ذلك الشعور الخاوي الذي بدأ بأكل جسده.

صرخ (نوروي): إيش سويت؟! جسم (رعد) ما حيرضى يتقبل كل دا!

رد الأول ببرود تام: بل يستطيع، إن التهمت أباه.

توسعت حدقتا (نوروي) وظل يحدق في الأول بعدم تصديق، برعب تام يجري في جسده، بدأت الأفكار تضخ في رأسه بسرعة حتى توقفت.

نعم، هذا ما كان يريده الأول طوال هذا الوقت، كان يريد صنع المزيد من نوعه، هذا هو لب الأمر كله! نظر (نوروي) إلى (كايلوما) الذي انهار على الأرض ومن ثم إلى (رعد) التي بدأت عروقها تشع باللون الأبيض في هذه النقطة من الزمن، ومن ثم تشكلت فكرة في رأسه، كان يعلم ما عليه فعله لإنقاذها، كان على (رعد) الالتحام بروح مالكة، لم يهم من كانت، حتى يتمكن جسدها من الاستقرار، كان التهام جسد أحدهم هو الخيار الوحيد عند اغتصاب القوة، ولكن لم تكن هذه حالتهم، وإن لقيت هي حتفها فهو كان سيختفي من الوجود على أي حال، فإن اتبع ما تلا عليه رأسه لنجا أحدهم من براثن الموت على الأقل.

تدنى (نوروي) لمستوى (رعد) التي كانت تمر بنوبة عنيفة من الصراخ والألم، وعندما كان على وشك لمسها سمع نداء أحدهم ليلتفت إلى (مينرفا) التي وقفت على مسافة يسيرة منهم بجانب القنطور وعدد من أهل مملكتها الطاهرة.

صرخت (مينرفا) بانفعال لم يعتده: (نوروي) انتظري! أنت لست مضطراً لفعل ذلك!

عقد (نوروي) حاجبيه: إيش بتقولي أنتي؟

ردت (مينرفا): أنت لم تعد خادمها بعد الآن!

تعالى صوت (نوروي): إيش؟!

صاحت (مينرفا): منذ أن استعدت قوتك، بطل عقد
مكما! أنت لم تعد لعنة وهي لم تعد سيدتك، أنت روح
مالكة بكامل أوجهها، أنت الشعلة الزرقاء!

ظل (نوروي) متيسًا مكانه، يكاد لا يصدق ما كان يسمعه، بدا
وكأن أخته تهرطق بهراء لم يسمع مثله من قبل، ولكنه شعر
بذلك منذ وهلة، بالخيط الوثيق الذي ربط ما بينهما يتلاشى،
وأخته لم تكن لتكذب أبدًا، حتى وإن كان لإنقاذ حياته.

كانت محقة، لم يكن مضطرًا لفعل ذلك، كان يمكنه ترك
ذلك الموقف برمته فهو سيظل حيًا يرزق على أي حال.

نظر (نوروي) إلى (رعد) التي كانت في حالة مزرية
تتأرجح ما بين الصراخ والسعال، العروق التي كست رقبتها
وذراعها تنبض بالضوء.

لقد كانت بحاجة ماسة إلى منظم طاقي، شيء ما يستطيع
التحكم بضخ الطاقة ما بينها وبين روحها المالكة، كان قادرًا
على فعل ذلك. عقد (نوروي) عزمه وتدنّى من (رعد) ليمسك
بذراعها بصعوبة، هسهس من الألم والحرارة الصادرة من
جدها ولكنه لم يكن ليتخلى عنها بسهولة، بدأ الضوء يضخ
من عروق (رعد) لعروق (نوروي) مرة تلو الأخرى، وكل مرة
كان يشعر هو أنه أكثر وهنا كانت (رعد) تصبح أكثر استقرارًا.

أمال الأول رأسه بينما شاهد ذلك المنظر أمامه: هل حقًا تنوي ذلك؟

رد (نوروي) بصوت متهدج: سيدتي هي، طالما حييت، إذا ما عادت سيدتي ما عدت أنا حيًا.

تأمل الأول متسائلًا في قرارة نفسه عن السبب القابع وراء إصراره، ولكنه لم يتدخل، بل بدا وكأنه يحمل القليل من الفضول تجاه نتيجة هذا القرار المتسرع، فظل مكانه واقفًا محددًا ولم يطل الأمر حتى بدأ (نوروي) يختفي تدريجيًا، في كل مرة كان بدنه يصبح أكثر شفافية، حتى اختفى من الوجود تمامًا وسط أنظار الجميع، ما تبقى من أثره كان خصلات بيضاء زينت شعر (رعد) البني فحسب.

أمال الأول رأسه تارة يمينًا وتارة يسارًا بينما جلست (رعد) على ركبتيها بهدوء وبأعين مغلقة، وما أن تفرق جفناها بعضهما عن بعض حتى انبثق من بينهما ضوء أبيض ساطع لتنطلق موجة من الرياح القوية التي هزت جميع الموجودين بعنف، وقبل أن يدرك الأول ما كان يجري وجد يدًا تقبض على رقبته لتطيح به بقوة هائلة لتكسر الجليد الواقع تحته، عقد حاجبيه من تلك القوة العارمة لتشتبك أعينه بذلك الضوء الصادر عن أعين (رعد)

وللحظة، شعر بالخوف.

وبينما ثبتته في الأرض بيدها اليسرى رفعت يدها اليمنى لتستعر من بين أناملها أسواط كهربائية تلتف حول ذراعها

كالأفاعي وكادت أن تنزلها على صدره العاري لولا انتقاله من مكانه لحظتها، ليظهر على أعلى مجسم الموجة المجمد يحاول التقاط أنفاسه، ولكن ما لم يتوقعه كان أن (رعد) اختفت من مكانها مباشرة لتظهر مرة أخرى وراءه، وقبل أن يتمكن من التصرف قامت بالقبض على خصلات شعره البيضاء بسخط لتسحبه إلى الوراء بعنف ليهوي إلى الأرض وبينما كان جسده يتسارع للوراء، وبدأ وجهه بمقابلة السماء، رأى قبضة يد تحوط جبينه لتنتقل من بينها تيارات كهربائية هائجة تسري في شرايينه كالنيران، ولكنه وفي لحظة من محاولة النجاة رفع ذراعه لينزل بقبضته بقوة على وجهها مرسلاً إياها محلقة في أحد الاتجاهات ليصطدم بدنهما بأحد الجدران المحيطة وتستقر مكانها للحظة.

شتم المستشار: بئاً!

أمسك المؤرخ بكتف المستشار ببصيص من الأمل يتشكل في أعينه الغائصة: انتظر، نحن نملك فرصة!

شاهد المستشار جسد (رعد) يتفرض ومن ثم ينهض لينطلق باتجاه الأول مرة أخرى ليشتبكا بالأيدي مجدداً، ولكن القلق كان يركب أعصاب المستشار، كان هناك شيء غريب.

تدخل (شهاب): إنها غير واعية، إنها تقاتل وكأن بدنهما يتحرك من تلقاء نفسه!

التفت المستشار إلى (شهاب) ومن ثم إلى (رعد)، كان محقاً، وجهها بليد لا يحمل أي صفة، وتحركاتها كانت غير

مألوفة، أسلوبها القتالي بدا مشابهاً لتحركات (نوروي) أكثر من تحركاتها المعتادة، لم تكن تعير أيًا ما كان اهتمامًا، أعينها تصب على التخلص من الأول.

«حاذروا!!!»

صرخ أحد الجنود مشيرًا إلى أحد المباني الذي هوى ساقطًا بعد ما استعملته (رعد) كمنصة قامت بلطم الأول عليها بقوة عارمة، لتعالى الصيحات من الأنحاء بينما جرى كل من كان يقف تحت ظل ذلك الخطر بعيدًا ليتناثروا في الأرجاء قبل أن يسقط على الجليد مخلفًا رياحًا وضبابًا باردًا.

رفع المستشار ذراعيه من أمامه ليحمي وجهه من تلك الموجة التي أرسلت القشعريرة في الأبدان، ثم أنزلهما ليحاول التقاط صورتها من بين الضباب، كانا لا يزالان يتعاركان من بقعة لأخرى بعنف شديد ودون كبح أنفسهما بتاتا.

التفت المستشار إلى (شهاب) والمؤرخ بعد تفكير: إنها تقاتل في حالة غير واعية، قد تقتل نفسها أو الأسوأ، تقتلنا!

سأل (شهاب): ما العمل إذا؟

تدخل المؤرخ: هي قادرة على الإطاحة به الآن، أنا متيقن!

أشاح المستشار بيده: ... نحن لا نستطيع تركها في هذه الحالة الوحشية، ولكننا نستطيع مساعدتها! لنقم بتكثيف

الأول، تبيته في بقعة واحدة لتتمكن هي من إعطائه الضربة القاضية، أعتقد أنها ستستيقظ بعد تحقيق غايتها هذه!

سأل المؤرخ بقلق يتخلل نبرته: وهل ستمكن من فعل ذلك مع أعدادنا هذه؟

ما أن قال ذلك حتى تزلزلت الأرض بقسوة ليسقط عدد من الجند فاقردين توازنهم، البعض الآخر يتمسكون بما يستطيعون، باتت المدينة تهتز حتى أصبحت معالم المكان أكثر ظلمة عندما وقع ظلٌ عظيمٌ عليهم، التفت الجميع ليلقوا أنظارهم على برج بابل الذي انبثق من بين موجات جليدية، ظهر عليه ما بدا كعدة بقع بيضاء اللون بينما تمسك عدد من الرحالة المتحكمين بتقوءات ذلك البرج متدثرين بمعاطفهم البيضاء التي وحدثهم.

بدأت البقاع البيضاء بالاختفاء ليظهر عدد لا بأس به من الرحالة المتحكمين حول المستشار والآخرين، حتى التقت أعين المستشار بأعين (ليلي) الباردة التي نطقت: هذا ما يحدث عندما لا تتبع الخطة.

أشاح المستشار بيده: بغض النظر عن تعليقك، إلا أنني ممنن لرؤية البرج.

سأل (شهاب) مقاطعاً: وما فائدته من الأصل؟

تأمل المستشار في ذلك المبنى الذي ظل يهرب من ظله لسنين طوال، والآن يتشوق لرؤيته: إنه علامة المتحكمين،

غرضه في أي مكان يعني أنه تحت نطاقهم وحمايتهم، وعلاوة على ذلك فهو يعمل كمولد طاقي للمتحمسين، يشابه محطات عوالم المتأقلمين، فهو يمنح للمتحمك تيارًا أكبر.

قاطع رجل عجوز يرتدي معطفًا أبيض حديثهم: لا وقت الآن للدروس، عوضًا عن مشكلة بات لدينا مشكلتان، كيف عسانا نتصرف؟!

التفت المستشار للرجل: تسعدني رؤيتك إيجابيًا كالعادة يا (كليم)، ليوضح الأمر في عقلك العتيق، فـ (رعد) من أفرادنا، وهي أملنا الوحيد الآن في التخلص من الأول، ما علينا فعله هو إعطاؤها فرصة للتمكن منه فحسب.

عقد (كليم) حاجبيه: أنت عقيم الفكر كعادتك، إنهما من النوع نفسه، دعهما يقتلا بعضهما بعضًا!

لم يتمكن (كليم) من التنفس حتى بعد إنهائه لجملته تلك، فقبضة (شهاب) التي تمسكت بتلابيب لباسه كانت خانقة.

أشاح المستشار بيده ناهيًا (شهاب): ما يعنيه تلميذي هو أننا سنقوم بإلقاءك ككبش فداء أنت وبقية أفرادك من الرجعيين إن حصل أي مكروه لإحدى أفرادني، أتمنى أن يكون كلامي واضحًا.

ظل (شهاب) متشبثًا على وضعه للحظات مطولة قبل أن يطلق سراح الرجل الذي وضع يديه على ركبتيه متنفسًا الصعداء.

في الجهة المقابلة من ذلك الحديث كانت (رعد) تغرز ركبتيها
بظهر الأول، ممسكة بذراعيه من كل جانب مطوقة حركته بينما بدأ
بالتسارع تجاه الأرض ليقوم الأول بالميلان للأمام حتى انقلب
ليجعل (رعد) من تحته لتضطدم هي في الجليد من تحتها
ويكسو الضباب الأبيض المكان إثر اصطدامها المروع، شرع
الأول محاولاً الوقوف على رجليه إلا أن (رعد) تمسكت بذراعه
بسرعة خاطفة لترسل تيارات كهربائية حادة خلال جسده، تأوه
الأول متألماً ولكنه سرعان ما بدأ الحقد يظهر على أساريره ليبدأ
الثلج يتشكل على ذراعها حتى تبيست ذراعها في مكانها وأفلت
منها ليأخذ عدة خطوات إلى الوراء، ولكن لم يسعه التمتع
بانتصاره حتى شعر بحرارة غريبة صادرة منها لتشتعل ذراعها بنيران
زرقاء أذابت ذلك البرد عن بكرة أبيه لتعود ذراعها كما كانت.

ارتسم السخط على معالمه وشتم اللعنة في قرارة نفسه،
فهو كان يشعر بأنه يواجه آلة تدمير شامل وليس رحالة، فهي
تفتقر لجميع أنواع الحياة!

وبينما كان على ذلك الحال تعالى على مسامعه نغمات موسيقية
ماء، أراد الالتفات ليرى مصدرها ولكنه لم يستطع، كان وكأن جسده
رفض الحراك من مكانه، حينها رأى أمامه شاباً يتدثر بالسواد، لم
يميزه باسمه ولكنه كان يعلم بأنه من صفوفه إثر لباسه.

أدخل الشاب يده داخل ردائه ليخرج من بين طياته
خنجرًا معقوفًا يلمع تحت الضوء، ما أن رآه الأول حتى اختفى
من مكانه ليظهر مرة أخرى فوق أحد المباني العالية التي

أحاطت بدوار الموجة المجلد، وما أن تشكل حتى اتكأ بيديه على ركبتيه، نظره موجه للأسفل، في محاولة لالتقاط أنفاسه، ولكن أعينه التقطت حركة غريبة عندما بدأ شيء ما بالظهور، كيان غريب هلامي الهيئة بلون أخضر شفاف يخترق السقف الذي وقف عليه ليظهر رأسه فقط من بين الأرض، رأى الأول خوذة جندي دامية مالت ليظهر وجهه يحمل أعينًا ذابلة ليحرق به. توسعت حدقاته مفزوعًا مما رآه ليبدأ وفد من تلك الأشباح بالتكاثر من حوله ليتمسكوا به ويطيحوا به للأرض مقيدين حركته، وفي ثانية اختفى الأول من مكانه محاولاً الفرار ليظهر في بقعة أخرى، ولكن ما قبله كان المزيد من الأشباح التي حاولت الإمساك ببدنه والإطاحة به، مهما انتقل من مكان لآخر، في كل مكان يظهر به كان هناك وفد من الأشباح لاستقباله، ومهما حاول قتلهم أو تجميدهم، فكل هجماته تمر من خلالهم كالهواء.

تفحص الأول محيطه محاولاً البحث عن صاحب ذلك المحطم المزعج حتى التقطت عيناه شابًا أشقر يقف في مكان ما على الأرض ومن حوله يشع الضوء الفاضح، لم يتظر ولوح بيده ليرسل عددًا مهولًا من الأسياخ الجليدية المدببة كوابل من الأسهم مستهدفًا (أليكساندر)، ولكن جدارًا من النار ارتفع من الأرض لحظتها لتسقط هجماته كمياء مسكوبة بسبب فتاة تملك خصلات حمراء وقفت لتحمي صديقها.

شتم الأول تحت أنفاسه عندما شعر بحقل طاقي يحيط به ليرسله متسارعًا للأسفل ولكنه كان يعلم هذه الخدعة فمدد

ذراعيه ليقوم بتبديد ذلك الحقل من حوله وما أن فعل حتى ظهرت من حوله أربعة جبال عظيمة، على كل واحد منها رجال متحكم يقوم بتحريكه، فما أن أدرك ذلك حتى وجد الجبال تلتقي بعضها ببعض لتحبسه في المتصف، بدأت الجبال بالتجمد والتداعي من حوله ولكن أعيناً مشعة شابكت مع أعينه في ثانية من الزمن، توسعت حدقتا الأول مفزوعاً قبل أن تفرقع (رعد) إصبعيها لتنشب نار عظيمة زرقاء في جسد الأول جعلته يطلق صرخات مدوية بينما بدأت الشعلات بتناول جسده جزءاً تلو الآخر، ولم تتوقف عن التراقص بوحشية، ومثلها لم تتحرك الجبال التي أحاطت به بتأناً، ظل يصرخ ويتوسل الرحمة، ولكنه لم يجد من يعينه، حتى عندما نادى على (إيكول)، لم يجد جواباً لندائه.

انخفضت صيحاته تدريجياً حتى توقفت عندما تلاعبت الرياح بالرماد الذي نتج عن احتراق جسده تماماً.

ما أن حققت (رعد) هدفها حتى هوى رأسها للأسفل فاقدة الوعي لتبدأ بالتسارع للأسفل ولكن (شهاب) التقطها برقة ليحملها بين ذراعيه ويقوم بوضعها أرضاً بجانب (سيف) التي هرعت لجانبها.

وضعت (سيف) أذنهما عند صدر (رعد) وأومأت برأسها: إنها حية...

تنفس (شهاب) الصعداء ولكن القلق لم يفارقه: ولكنها تعرضت لإصابات عديدة، أرجوك!

وضعت (سيف) يديها على جسد (رعد) لتشع كفا يديها:
ستكون بخير، لا تقلق!

لم تستطع أعين (شهاب) مفارقة (رعد) بتاتا، رغم الفوضى
التي أحاطت بهم من تحركات الجند، ونقاش الرحالة، رفض
(شهاب) الحراك حتى بدأ محيطه بالتصبغ بلون مألوف.

تخشب (شهاب) للحظات قبل أن يلتفت للوراء ليلقي بأعينه
على ذلك القمر الدموي الذي ألقى بضوئه القرمزي على كل ما
تحتة، بدأت رؤية (شهاب) بالاهتزاز، وبدأت جفونه بالسقوط
ومهما حاول قتالها لم يفلح، سقط على وجهه مغشياً عليه كما
سقط جميع الرحالة بمختلف أنواعهم للأرض وكأن غيبوبة ما
أتت لتبتلعهم جميعهم في آن واحد.

من وقف كان الأرواح المألقة وبعض الكيانات الأخرى فحسب.
غزا الخوف أسارير القنطور الذي سرعان ما التفت
لملكته: جلالتك، ما الذي يحصل؟!

تأملت الملكة (مينرفا) في تلك الأجساد المترامية في
الأرجاء بهدوء ثم رفعت رأسها للسماء: لقد انتهت مهمة
الرحالة في خدمة الكون.

في حياة أخرى

- (رعد)!

نادى صوت خافت باسمها ولكنها لم تستطع اتباعه.

- (رعد)!

نادى الصوت مرة أخرى، هذه المرة كان صدها أعلى.

تفرق جفناها بعضهما عن بعض لتلقي بنظرها على شارع إسفلتي من أمامها بينما أحست بتحركات العجلات من تحتها، وضعت يدها على جبينها وكأن فعلها ذاك كان سيداوي صداها الشديد.

- «استيقظي، لقد كدنا نصل!»

قالت أختها بحماسها المعتاد بينما تمسكت بعجلة القيادة بين أناملها بجانبها.

حاولت (رعد) مسح النعاس عن عينيها، كانت تشعر بتعب شديد وكأنها استيقظت من أطول حلم حظيت به في حياتها، ولكنها لسبب ما لم تكن قادرة على تذكر فحواه، بل بدا وكأنه وميض لمشاهد عديدة كانت أكثر مما تستطيع استيعابه.

لم تعر ذلك الأمر اهتمامًا وقامت بتمرير أصابعها خلال خصلات شعرها الذي تضاربت ألوانه ما بين بني وأبيض في محاولة لتهديب مظهرها قبل وصولهما لوجهتهما.

«ها نحن تان!»

قالت أختها بحماس طفل يجري في ممر الحلوى، تكاد تقفز خارج العربة ملتقطة حاجياتها على عجلة شديدة.

تنهدت (رعد) بنوع من أنواع التذمر المكتوم ولكنها رمت بأرجلها خارج السيارة بكسل لتتبع أختها التي كانت تكاد تجري أمامها، ولكنها توقفت للحظة رافعة ذراعها فوق رأسها لتحجب أشعة الشمس، عيناها ملتصقتان تجريان على سطح ذلك البناء العظيم، لسبب ما كانت ذاكرتها ضبابية للغاية، فلم تعلم إن كان ذلك البرج هنا منذ زمن أم إن كان قد ظهر من العدم.

أشارت أختها بلهفة: إنهم يدعونه بـ برج بابل، أليس ذلك رائعاً؟!

تأملت (رعد) بصمت تام، لم تعلم لمَ كان قلبها يكاد يقفز خارج قفصها الصدري ولكنه كان ينبض بسرعة جنونية،

ناولتها أختها هاتفها المحمول: خذي صورة لي معه!

أمسكت (رعد) بالهاتف لتمر كزه ولكن ذلك البرج كان كبيراً للغاية، أخذت بضع خطوات للوراء لتحاول التقاطه بكامله عندما اصطدم ظهرها بما كانت تظن أنه جدار في بادئ الأمر قبل أن تلتفت لترى شاباً طويلاً يقف محدقاً في ذلك البرج هو الآخر.

تلعثمت (رعد): أ- أسفة لم أقصد...

نظر الشاب للأسفل لتشتبك أعينه الذهبية مع أعينها
ليتابها شعور غريب للغاية، ولكنها لم تكن تعلم ماهيته.
تلك الأعين...

كان يبدو مألوفًا للغاية ولكنها لم تستطع أن تتذكر أين رآته
بتأّمهما حاولت، ومما يبدو كان يراوده الشعور نفسه، فظلا
يحدقان بعضهما في بعض بحدة لوهلة من الزمن دون أن
يتبادلا أيًا من الأحاديث.

حاولت (رعد) هز تلك الأفكار من رأسها على عجلة:
أنا أسفة، أنت فقط تبدو مألوفًا للغاية، لا أعلم لماذا.

هز صاحب الأعين الذهبية رأسه نفيًا: لا تعتذري، يراودني
الشعور نفسه بالضبط!

عقدت (رعد) حاجبها بدون أن تشيح بنظرها عنه: لا أعلم
ولكنني أشعر وكأننا سبق وأن التقينا من قبل.
قال الشاب: وكأننا تقابلنا في...

قال الاثنان في آن واحد بأعين تحمل ما بين طياتها دفنًا
مألوفًا: في حياة أخرى!

